

كتاب الأربعين

في أصول الدين للإمام الهمام حجة الاسلام
أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفي سنة ٥٠٥ هـ

قال في كشف الظنون وهو قسم من كتابه المسمى
بجواهر القرآن * وقد أجاز أن يكتب مفردا
فكتبوه وجعلوه كتابا مستقلا لهذا طبعناه مستقلا

طبع على نفقة حضرة الفاضل * الشيخ محي الدين *
صبري الكردي الكاظمي

﴿ تنبيه ﴾

أعلم أن النسخة التي طبع عليها هذا الكتاب من
أجل النسخ حيث كانت مكتوبة بخط أحد الأئمة
الكبار في القرن السابع الهجري * وفضلا عن
ذلك قابلناها ببعض النسخ الموجودة بالعراق

—————

فكل من نجاسر على طبعه يحاكم قانونا ويلزم بالتعويض

طبع بمطبعة * كردستان العلمية * لصاحبها.

فرج الله زكي الكردي بمصر * سنة ١٣٢٨

كتاب الأربعين

في أصول الدين للإمام الهمام حجة الاسلام
أبي حامد محمد بن محمد الغزالي المتوفى سنة ٥٠٥

قال في كشف الظنون وهو قسم من كتابه المسمى
بجواهر القرآن * وقد أجاز أن يكتب مفردا
فكتبوه وجعلوه كتابا مستقلا لهذا طبعناه مستقلا

طبع على نفقة حضرة الفاضل * الشيخ محي الدين *
صبري الكردي الكاظمي

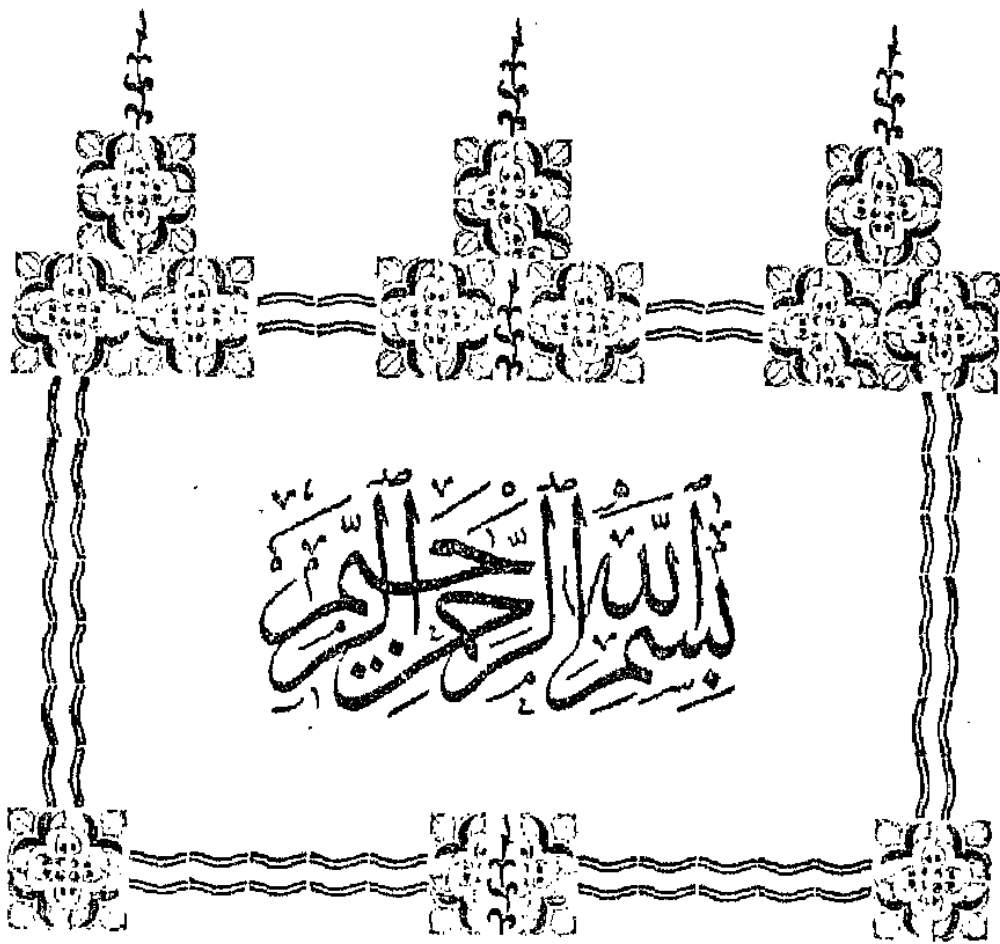
﴿ تنبيه ﴾

ليعلم أن النسخة التي طبع عليها هذا الكتاب من
أجل النسخ حيث كانت مكتوبة بخط أحد الأئمة
الكبار في القرن السابع الاسلامي * وفضلا عن
ذلك قابلتها ببعض النسخ الموجودة بالعراق

فكل من تجاسر على طبعه يحاكم قانونا ويلزم بالتعويض

طبع بمطبعة * كردستان العلمية * لصاحبها.

فرج الله زكي الكردي بمصر * سنة ١٣٢٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين
(أما بعد) ولعلك تقول هذه الآيات التي أوردتها
في القسم الثاني تشتمل على أصناف مختلطة من العلوم والأعمال
فهل يمكن تمييز مقاصدها وشرح جملها على وجه من التفصيل
والتحصيل يمكن التفكير في كل واحدة منها على حياها ليعلم
الإنسان تفصيل أبواب السعادة في العلم والعمل ويتيسر عليه
تحصيل منافعها بالمجاهدة والتفكير (فأقول) نعم ذلك يمكن
فانه ينقسم جل مقاصدها إلى علوم وأعمال * والأعمال تنقسم

الى ظاهرة وباطنة * والباطنة تنقسم الى تركية وتحلية فهي
 أربعة أقسام . علوم وأعمال ظاهرة وأخلاق مذمومة تجب
 التزكية عنها * وأخلاق محمودة تجب التحلية بها * وكل قسم
 يرجع الى عشرة أصول واسم هذا القسم ﴿ كتاب الأربعين
 في أصول الدين ﴾ فمن شاء أن يكتبه مفرداً فليكتب فإنه يشتمل
 على زبدة علوم القرآن ﴿ القسم الاول ﴾ في جمل العلوم
 وأصولها وهي عشرة *

﴿ الأصل الاول في الذات ﴾

﴿ فنقول ﴾ الحمد لله الذي تعرف الى عبادته بكتابه المنزل
 على لسان نبيه المرسل بأنه في ذاته واحد لا شريك له . فرد لا
 مثل له . صمد لا ضد له . متوحد لا ند له . وأنه قديم لا أول
 له . أزلي لا بداية له . مستمر الوجود لا آخر له . أبدى لا
 نهاية له . قيوم لا انقطاع له . دائم لا انصرام له . لم يزل ولا
 يزال موصوفاً بنعوت الجلال لا يقضى عليه بالانقضاء
 والانفصال بتصرم الآماد وانقراض الآجال . بل هو الاول
 والاخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم *

﴿ الاصل الثاني في التقديس ﴾

وأنه ليس بجسم مصور . ولا جوهر محدود مقدر . وأنه لا يماثل الاجسام لافي التقدير ولا في قبول الانقسام . وأنه ليس بجوهر ولا تحله الجواهر ولا بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل موجوداً . ولا يماثله موجود . وليس كمثله شيء ولا هو مثل شيء * وأنه لا يحده المقدار . ولا تحويه الاقطار ولا تحيط به الجهات . ولا تكتنفه السموات . وأنه مستو على العرش على الوجه الذي قاله وبالمعنى الذي أراده استواء منزلها عن الماسة والاستقرار والتمكن والتحول والانتقال لا يحمله العرش بل العرش وحملته محمولون بلطف قدرته ومقهورون في قبضته . وهو فوق العرش وفوق كل شيء الى تخوم الثرى فوقية لا تزيد قربا الى العرش والسماء * بل هو رفيع الدرجات على العرش كما أنه رفيع الدرجات على الثرى وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو أقرب الى العبيد من حبل الوريد . وهو على كل شيء شهيد * اذ لا يماثل قربه قرب الاجسام كما لا يماثل ذاته ذات الاجسام * وأنه لا يحل

في شيء ولا يحل فيه شيء . تعالى عن أن يحويه مكان كما تقدس
 عن أن يحده زمان بل كان قبل أن خلق الزمان والمكان . وهو
 الآن على ما عليه كان . وأنه باين بصفاته من خلقه ليس في
 ذاته سواه ولا في سواه ذاته * وأنه مقدس عن التغيير
 والانتقال لا تحله الحوادث . ولا تمتريه العوارض بل لا يزال
 في نعوت جلاله منزها عن الزوال * وفي صفات كماله مستغنيا
 عن زيادة الاستكمال * وأنه في ذاته معلوم الوجود بالعقول مرئي
 الذات بالابصار نعمة منه ولطفها بالابرار في دار القرار واتماما
 للنعم بالنظر الى وجهه الكريم *

﴿ الاصل الثالث في القدرة ﴾

وأنه حي قادر جبار قاهر لا يمتريه قصور ولا عجز ولا تأخذه سنة
 ولا نوم . ولا يمارضه فناء ولا موت . وأنه ذو الملك والمالكوت
 والعزة والجبروت . له القدرة والسلطان والقهر والخلق والامر
 والسموات مطويات بيمينه . والخالق مقهورون في قبضته
 وأنه المتفرد بالخلق والاختراع . المتوحد بالابجاد والابداع
 خلق الخلق وأعمالهم وقدر أرزاقهم وآجالهم لا يشذ عن قبضته

مقدور ولا يعزب عن قدرته تصارييف الامور . لا يحصى
مقدوراته ولا يتناهى معلوماته *

﴿ الاصل الرابع في العلم ﴾

وانه عالم بجميع المعلومات محيط بما يجري في تخوم الارضين
الى أعلى السموات . لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الارض
ولا في السماء بل يعلم ديب النملة السوداء . على الصخرة الصماء
في الليلة الظلماء . ويدرك حركة الذر في جوّ الهواء . ويعلم السر
وأخفى . ويطلع على هواجس الضمائر وحركات الخواطر وخفيات
السرائر . يعلم قديم أزلي لم يزل موصوفاً به في أزل الآزال لا يعلم
متجدد حاصل في ذاته بالتحوّل والانتقال *

﴿ الاصل الخامس في الإرادة ﴾

وأنه مرید للكائنات مدبر للحادثات فلا يجري في الملك
والملكوت قليل ولا كثير ولا صغير ولا كبير * خير أو شر
نفع أو ضرر * إيمان أو كفر . عرفان * أو نكر . فوز أو خسر
زيادة أو نقصان . طاعة أو عصيان . الإبقاء أو الإهلاك وقدره وحكمه
ومشيئته فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن . لا يخرج عن مشيئته

لغة ناظر ولا فلة خاطر * بل هو المبدى المعيد . الفعال لما يريد
لا راد لحكمه ولا معقب لقضائه . ولا مهرب لعبد عن معصيته
الا بتوفيقه ورحمته . ولا قوة له على طاعته الا بمعونته واراادته
لو اجتمع الانس والجن والملائكة والشياطين على ان يحركوا
في العالم ذرة أو يسكنوها دون ارادته ومشيته عجزوا عن
ذلك * وان ارادته قائمة بذاته في جملة صفاته لم يزل كذلك
موصوفا بها مريداً في ازالة لوجود الاشياء في اوقاتها التي
قدرها * فوجدت في اوقاتها كما اراده في ازالة من غير تقدم
ولا تأخر * بل وقعت على وفق علمه واراادته من غير تبدل
ولا تغير * دبر الامور بلا ترتيب افكار وتربص زمان فلذلك
لا يشغله شأن عن شأن *

﴿ اعلم ﴾ ان هذا المقام منزلة الاقدام . ولقد زلت فيه أقدام
الاكثرين لان تمام تحقيقه مستمد من تيار بحر عظيم وراء
بحر التوحيد وهم يطلبونه بالبحث والجدال * ولقد قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ما ضل قوم بعد هدى الا أوتوا
الجدل ﴾ ويستدلون بآيات القرآن مأولين وليسوا من أهل

التأويل ولو نال كل واحد مقام التأويل لما قال صلى الله عليه وسلم
 داعيا لابن عباس رضي الله عنهما اللهم فقهه في الدين وعلمه
 التأويل . ولما قال يعقوب ليوسف على نبينا وعليهما السلام
 ﴿ كذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الاحاديث ﴾
 قال صاحب الكشف في تفسيرها يعني معاني كتب الله
 وسنن الانبياء عليهم السلام وما غمض واشتبه على الناس من
 أغراضها ومقاصدها تفسرها لهم وتشرحها . وتدلهم على مودعات
 حكمها * وانما زلت أقدام الاكثرين في هذا المقام لانهم يتبعون
 الذين يتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله
 الا الله والراسخون في العلم * وهؤلاء ليسوا براسخين فيه
 بل هم قاصرون عاجزون فلقصورهم لم يطيقوا ملاحظة كنه هذا
 الامر . فألجوا عما لم يطيقوا خوض غمراته بلبجام المنع مع سائر
 القاصرين . ففيل لهم اسكتوا فلما لهذا خلقتم لا يستل عما يفهم
 وهم يستلون * عن أبي هريرة رضي الله عنه انه قال خرج علينا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نتنازع في القدر . فغضب
 عليه السلام حتى احمر وجهه الشريف . فقال أبهذا أمرتم أم

بهذا أرسلت إليكم إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا
 في هذا الأمر . عزمت عليكم عزمت عليكم في هذا الأمر
 أن لا تنازعوا فيه * وعن أبي جعفر قال قلت ليوانس بن عبيد
 سررت بقوم يختصمون في القدر . فقال لو همتهم ذنوبهم
 ما اختصموا في القدر . وامتلاً مشكاة بعضهم نوراً مقتبساً من
 نور الله . وكان زيتهم صافياً حتى يكاد يضيء . ولو لم تمشسه نار
 فاشتعل نوراً على نور فاشترقت أقطار الملكوت بين أيديهم بنور
 ربها فادر كوا الأمور كما هي عليه . فقليل لهم تأدبوا بأداب الله
 واسكتوا وإذا ذكر القدر فامسكوا — فلذلك أمسك عمر لما سئل
 عن القدر فقال للسائل بحر عميق لا تاجه . ولما كرر السؤال فقال
 طريق مظلم لا تسلكه . ولما كرر ثالثاً . فقال سر الله قد خفي عليك
 فلا تفتشه . ومن أراد معرفة أسرار الملكوت فليلازم بابهم بالمحبة
 والاخلاص والصدق والاعراض عن أعدائهم . والامتنال
 بأوامرهم والسعي فيما يرضيهم — وكذلك من أحب معرفة أسرار
 الربوبية فليلازم باب الله عز وجل بالمحبة والاخلاص والصدق
 والتعظيم والحياء والامتنال بالأوامر والانهاء عن المعاصي

والمجاهدة والاقبال بكنه الهممة والتعرض لنفحاته لقوله عليه السلام
 ان ربكم في أيام دهركم نفحات . ألا فتعرضوا لها والسعي فيما يرضي
 وان لم يطق ذلك فعليه أن يمتقد في هذا البحث ما عليه أبو
 حنيفة رحمه الله وأصحابه . حيث قالوا احداث الاستطاعة في العبد
 فعل الله . واستعمال الاستطاعة المحدثة فعل العبد حقيقة لا مجازاً .
 ﴿ والقدرية ﴾ انكروا قضاء الله ورأوا الخير والشر من أنفسهم
 أرادوا بذلك تنزيه الله عن الظلم وفعل القبيح * ولكنهم ضلوا
 اذ نسبوا المعجز الى الله تعالى في ضمن ذلك ولم يدروا ﴿ والجبرية ﴾
 اعتمدوا على القضاء ورأوا الخير والشر من الله ولم يروا من أنفسهم
 فعلاً كما لم يروا من الجمادات أرادوا بذلك تنزيه الله تعالى
 عن المعجز فضلوا اذ نسبوا الظلم اليه تعالى في ضمن ذلك وأضلوا
 سفهاً لهم . فكانوا يمسكون الله وينسبون الى الله ويبرؤن أنفسهم
 عن الذم واللوم كالشيطان حيث قال * فما أغويتني لأقعدن لهم
 صراطك المستقيم ﴿ فالخاصل أن القدرية ﴾ أثبتوا الاختيار
 الكلي للعبد في جميع أفعال العباد وأنكروا قضاء الله تعالى
 وقدره بالكلية في الأفعال الاختيارية ﴿ والجبرية ﴾ نفوا

الاختيار بالكلية في أفعال العباد واعتمدوا على القضاء والقدر
فينبغي للباحث معهم أن يضر بهم ويمزق ثيابهم وعمائمهم
ويخدش وجوههم وينتف أشعارهم وشواربهم ولحائمهم ويعتذر
بما اعتذر هؤلاء السفهاء في سائر أفعالهم القبيحة الصادرة منهم
﴿ والمعزلة ﴾ أضافوا الشر فقط الى أنفسهم. وأثبتوا لا أنفسهم
الاختيار الكلي تحرياً عن نسبة القبح والظلم الى الله ولا كن
نسبوا الى الله العجز في ضمن ذلك ولم يدروا * فتعالى الله عن
ذلك علواً كبيراً ﴿ وأما أهل السنة ﴾ والجماعة فتوسطوا
بينهم فلم ينفوا الاختيار عن أنفسهم بالكلية ولم ينفوا القضاء
والقدر عن الله تعالى بالكلية. بل قالوا أفعال العباد من الله من
وجه ومن العبد من وجه وللعبد اختيار في إيجاد أفعاله *
﴿ واعلم ﴾ أن قضاء الله تعالى على أربعة أوجه قضاء الطاعات وقضاء
المعاصي وقضاء النعم وقضاء الشدائد * والمذهب المستقيم في ذلك اذا
قضى للعبد الطاعة فعليه أن يستقبله بالجهد والاخلاص حتى يكرمه
الله بالتوفيق والهداية لقوله تعالى (والذين جاهدوا فينا لنهدينهم
سبلنا) يعني الذين جاهدوا في طاعتنا وفي ديننا لنوفقهم لذلك

وإذا قضى المعصية فعليه أن يستقبله بالاستغفار والتوبة والندامة
 من صميم الفؤاد لقوله تعالى (ان الله يحب التوابين ويحب
 المتطهرين) وإذا قضى النعمة فعليه أن يستقبله بالشكر والسجاء
 حتى يكرمه بالزيادة لقوله تعالى (ائن شكرتم لأزيدنكم)
 وإذا قضى الشدة فعليه أن يستقبله بالصبر والرضا حتى يعطيه
 الكرامة في الدار الآخرة لقوله تعالى (ان الله يحب الصابرين)
 وقال (انما يوفي الصابرون أجرهم بغير حساب) وذكر الفاضل
 الامام مولانا علاء الدين في شرحه للمصباح * الفرق بين
 القضاء والقدر هو أن القضاء وجود جميع الموجودات في اللوح
 المحفوظ اجمالا لا تفصيلا * والقدر هو تفصيل قضائه السابق
 بإيجادها في المواد الخارجية واحدا بعد واحد * وقيل القضاء
 هو الإرادة الأزلية والعناية الإلهية المقتضية لنظام الموجودات
 على ترتيب خاص . والقدر تعلق تلك الإرادة بالاشياء في
 أوقاتها الخاصة * ثم ان المسلمين في القدر على اختلاف *
 (منهم) من ذهب الى ان كل ما يجري في العالم من الخير والشر
 والأفعال والأقوال بقضاء الله وقدره ولا اختيار للعباد فيه

ويسمى هذا القوم جبرية * والجبر هو القهر والا كراه
 فيقولون اجبر الله عباده على أقوالهم وأفعالهم من غير اختيار
 منهم فيها * ويزعمون ان اضافتها اليهم اضافتها الى الجمادات
 في مثل قولنا دارت الرحا وجري اليزاب * وهذا المذهب
 باطل لانهم ان قالوا هذا القول ليسقطوا من أنفسهم
 التكليف * وشبهوا أنفسهم بالصبيان والمجانين في عدم جريان
 الخطاب بهم . فقد كفروا لأن مذهبهم يفضي الى ابطال
 الكتب والرسل وان قالوا ذلك لتعظيم الله وتحقير أنفسهم
 وعجزهم عن دفع قضاء الله . فهم مبتدعون لمخالفتهم الاجماع
 (ومنهم) من ذهب الى ان كل ما يصدر عن العباد عقيب
 قصدهم وارادتهم يكون واقعا بقدرتهم واختيارهم ولا يتعلق
 بها بخصوصها قدرة الله وارادته * ويسمى هؤلاء قدرية
 لنفيهم القدر لا لاتبائهم - وهذا المذهب أيضاً باطل لانهم ان
 قالوا هذا القول عن اعتقاد جواز المعجز عن التقدير لله تعالى
 فهم كفرون * تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً * وان قالوا
 عن خطأ اجتهداتهم وتنزيه الحق عن تقدير أفعالهم القبيحة

وخلفها * فهم مبتدعون لمخالفتهم الاجماع ﴿ومن هذه الطائفة﴾
 من يقول الخير بتقدير الله والشر ليس بتقديره (والمذهب
 الحق) هو ان المؤثر مجموع القدرتين قدرة الله وقدرة العباد *
 فالافعال الصادرة عن العباد كلها بقضاء الله وقدره * ولكن للعباد
 اختياره فالتقدير من الله والكسب من العباد — وهذا المذهب
 وسط بين الجبر والقدر * وعليه اهل السنة والجماعة انتهى
 كلامه وذكرنا في كتاب المقصد الاقصى ﴿تدبير رب الارباب
 ومسبب الاسباب اصل وضع الاسباب ليتوجه الى المسببات
 حكمه ونصبه الاسباب الكلية الاصلية الثابتة المستقرة التي
 لا تزول ولا تحول كالارض والسموات السبع والكواكب
 والافلاك وحركاتها المتناسبة الدائمة التي لا تتغير ولا تنعدم الى
 ان يبلغ الكتاب أجله . قضاؤه كما قال فقضاها من سبع سموات
 في يومين وأوحى في كل سماء أمورها . وتوجيه هذه الاسباب
 بحركاتها المناسبة المحدودة المقدرة المحسوبة الى مسببات الحادثة
 منها لحظة بعد لحظة قدره * فالحكم هو التدبير الاول الكلي
 والامر الازلي الذي هو كليح البصر ﴿والقضاء﴾ هو الوضع

الكلبيّ للأسباب الكليّة الدائمة ﴿والقدر﴾ هو توجيه
الأسباب الكليّة بحركاتها المقدرة المحسوبة إلى مسبباتها
المعدودة المحدودة بقدر معلوم لا يزيد ولا ينقص — ولذلك
لا يخرج شيء عن قضائه وقدره * ولا تفهم ذلك إلا بمثال
وأعلك شاهدت صندوق الساعات التي بها تعرف أوقات
الصلوات وإن لم تشاهده . فجملة ذلك أنه لا بد فيه من آلة
على شكل اسطوانة تحوي مقدارا من الماء معلوما . وآلة
أخرى مجوفة موضوعة فيها فوق الماء وخيط مشدود أحد
طرفيه في هذه الآلة المجوفة . وطرفه الآخر في أسفل
ظرف صغير موضوع فوق الآلة المجوفة وفيه كرة وتحت
طاس بحيث لو سقطت الكرة وقعت في الطاس وسمع طنينها
ثم تثقب أسفل الآلة الاسطوانية ثقباً بقدر معلوم ينزل
الماء منه قليلا قليلا * فإذا انخفض الماء انخفضت الآلة
المجوفة الموضوعة على وجه الماء فامتد الخيط المشدود بها
فحرك الطرف الذي فيه الكرة تحريكاً يقربه من الانتكاس
إلى أن يتركس فيتدحرج منه الكرة وتقع في الطاس وتطنّ

وعند انقضاء كل ساعة تقع واحدة * وانما يتقدر الفصل
 بين الوقتين بتقدير خروج الماء وانخفاضه — وذلك بتقدير
 سعة الثقب الذي يخرج منه الماء ويعرف ذلك بطريق
 الحساب . فيكون نزول الماء بمقدار مقدر . معلوم بسبب
 تقدير سعة الثقب بقدر معلوم . ويكون انخفاض اعلی الماء
 بذلك المقدار وبه يتقدر * وانخفاض الآلة المجوفة وانجرار
 الخيط بها المشدود . وتولد الحركة في الظرف الذي فيه
 الكرة * وكل ذلك يتقدر بتقدر سببه لا يزيد ولا ينقص
 ويمكن أن يجعل وقوع الكرة في الطاس سبباً لحركة
 أخرى . ويكون الحركة الاخرى سبباً لحركة ثالثة — وهكذا
 الى درجات كثيرة حتى يتولد منها حركات عجيبة مقدره
 بمقادير محدودة . وسببها الأول نزول الماء بقدر معلوم . فاذا
 تصورت هذه الصورة ﴿ فاعلم ﴾ ان واضعها يحتاج الى ثلاثة
 أمور ﴿ اولها ﴾ التدبير وهو الحكم بانهما الذي ينبغي أن يكون من
 الآلات والأسباب والحركات حتى يؤدي الى حصول ما ينبغي
 أن يحصل . وذلك هو الحكم ﴿ والثاني ﴾ ايجاد هذه الآلات

التي هي الأصول * وهي الآلة الاسطوانية لتجوى الماء والآلة
المجوفة لتوضع على وجه الماء . . والخيط المشدود بها والظرف
الذي فيه الكرة والطاس الذي تقع فيه الكرة — وذلك هو
القضاء (الثالث) نصب سبب يوجب حركة مقدرة محسوبة
محدودة وهو ثقب اسفل الآلة ثقبه مقدرة الساعة ليحدث
بنزول الماء منها حركة في الماء تؤدي الى حركة وجه الماء
بنزوله * ثم الى حركة الآلة المجوفة الموضوعة على وجه الماء
بنزوله * ثم الى حركة الخيط * ثم الى حركة الظرف الذي فيه
الكرة * ثم الى حركة الكرة * ثم الى الصدمة بالطاس اذا
وقع * ثم الى الطنين الحاصل منها * ثم الى تنبيه الحاضرين
واستماعهم * ثم الى حركاتهم في الاشتغال بالصلوات والأعمال
عند معرفتهم بانقضاء الساعة * وكل ذلك يكون بقدر معلوم
ومقدار مقدر بسبب تقدر جميعها بقدر الحركة الاولى . وهي
حركة الماء * فاذا فهمت ان هذه الآلات اصول لا بد منها
للحركة * وان الحركة لا بد من تقدرها ليتقدر ما يتولد منها
فكذلك فافهم حصول الحوادث المقدر التي لا يتقدم منها شيء

ولا يتأخر اذا جاء أجلهم أى حضر سيئها * وكل ذلك بمقدار
المعلوم ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا *
فالسماوات والأفلاك والكواكب والأرض والبحر والهواء
وهذه الأجسام العظام فى العالم كمتلك الآلات * والسبب
المحرك للأفلاك والكواكب والشمس والقمر بحساب معلوم
كتملك الثقبه الموجبة لنزول الماء بقدر معلوم * وافضاء حركة
الشمس والقمر والكواكب الى حصول الحوادث فى الارض
كافضاء حركة الماء الى حصول تلك الحركات المفضية الى
سقوط الكرة المعروفة لا تقضاء الساعة * ومثال تداعى حركات
السما الى تغيير الارض هو ان الشمس بحركتها اذا بلغت الى
المشرق فاستضاء العالم وتيسر على الناس الابصار * فيتيسر
عليهم الانتشار فى الأشغال * فاذا بلغ المغرب تعذر عليهم
ذلك فيرجعوا الى المساكن * واذا قربت من وسط السماء
وسامت رؤس أهل الأقاليم حى الهواء واشتد القيظ
وحصل نضج الفواكه * واذا بعدت حصل الشتاء واشتد
البرد * واذا توسطت حصل الاعتدال فظهر الربيع وانبتت

الارض وظهرت الخضرة * وقس به هذه للمشهورات التي
تعرفها الغرائب التي لا تعرفها * فاختلاف هذه الفصول كلها
مقدرة بقدر معلوم لانها منوطة بحركات الشمس والقمر
(والشمس والقمر بحسبان) اي حركتهما بحساب معلوم —
فهذا هو التقدير * ووضع الاسباب الكلية هو القضاء
والتدبير الاول الذي هو كليح البصر هو الحكيم * وكما ان
حركة الآلة والخيط والكرة ليست خارجة عن مشية واضع
الآلة * بل ذلك هو الذي اراد بوضع الآلة — فكذلك كل
ما يحدث في العالم من الحوادث شرها وخيرها نفعها وضرها
غير خارج عن مشية الله تعالى * بل ذلك مراد الله تعالى
ولا أجله دبر اسبابه * وتفيهم الامور الالهية بالامثلة العرفية
عسير * وليكن المقصود من الامثلة التنبيه * فدع المثال وتنبيه
للفرض * واحذر من التمثيل والتشبيه *

﴿ الاصل السادس في السمع والبصر ﴾

وانه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه سمع
وان خفي . ولا يغيب عن رؤيته مرئى وان دق . ولا يحجب

سمعه بعد ولا يدفع رؤيته ظلام * يرى من غير حدة ولا أجفان
 وبسمع من غير أصمخة ولا آذان كما يعلم من غير قلب ويبطش
 بغير جارحة ويخلق بغير آلة اذ لا تشبه صفاته صفات الخلق
 كما لا تشبه ذاته ذات الخلق *

(الاصل السابع في الكلام)

وأنه متكلم أمر ناهي واعد متوعد بكلام أزلي قديم * قائم بذاته
 لا يشبهه كلامه كلام الخلق كما لا يشبه ذاته ذوات الخلق فليس
 بصوت يحدث من انسلال هواء واصطكاك اجرام . ولا
 حرف ينقطع باطباق شفة أو تحريك لسان . وان القرآن والتوراة
 والانجيل والزبور كتبه المنزلة على رساله . وأن القرآن مقروء
 بالاسنة مكتوب في المصاحف محفوظ في القلوب وأنه مع
 ذلك قديم قائم بذات الله تعالى لا يقبل الانفصال والافتراق
 بالانتقال الى القلوب والاوراق وأن موسى عليه السلام سمع
 كلام الله بغير صوت ولا حرف كما يرى الابرار ذات الله سبحانه
 من غير جوهر ولا شكل ولا لون ولا عرض * واذا كانت
 له هذه الصفات كان حيا عالما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما

بالحيوة والعلم والقدرة والارادة والسمع والبصر والكلام
لا بمجرد الذات

﴿ الاصل الثامن في الأفعال ﴾

وأنه لا موجود سواه الا وهو حادث بفعله وفائض
من عدله على أحسن الوجوه واكملها وأتمها وأعدلها . وأنه حكيم
في أفعاله . عادل في أقضيته . لا يقاس عدله بعدل العباد . اذ العبد
يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك غيره ولا يتصور الظلم من
الله تعالى سبحانه فانه لا يصادف ان غيره ملكا حتى يكون
تصرفه فيه ظلما . فكل ما سواه من انس وجن وشيطان وملك
وسماء وأرض وحيوان ونبات وجوهر وعرض ومدرک
ومحسوس حادث اخترعه بقدرته بعد العدم اختراعا وانشاء
بعد ان لم يكن شيئا اذ كان في الازل موجودا وحده ولم يكن
معه غيره . فاحدث الخلق اظهارا لقدرته وتحقيقا لما سبق من
ارادته ولما حق في الازل من كلمته (وهي قوله كنت كنزا مخفيا
فأحييت أن أعرف) لا لافتقاره اليه ولا لحاجته وأنه متفضل
بالخلق والاختراع والتكليف لا عن وجوب ومتطول بالانعام

والإصلاح لا عن لزوم * فله الفضل والاحسان والنعمة والامتنان
 اذ كان قادراً على أن يصب على عباده أنواع العذاب ويبتليهم
 بضروب الآلام والأوصاب * ولو فعل ذلك لكان منه عدلاً
 ولم يكن منه قبيحاً ولا ظالماً. وأنه يثيب عباده على الطاعات بحكم
 الكرم والعدل لا بحكم الاستحقاق واللزوم. اذ لا يجب عليه
 فعل ولا يتصور منه ظلم ولا يجب لأحد عليه حق وإن حقه
 في الطاعات وجب على الخلق بإيجابه على لسان أنبيائه لا بمجرد
 العقل * ولكنه بعث الرسل وأظهر صدقهم بالمعجزات الظاهرة
 فبلغوا أمره ونهيه ووعدوه ووعدوه * فوجب على الخلق
 تصديقهم فيما جاؤا به *

(الأصل التاسع في اليوم الآخر)

وأنه يفرق بالموت بين الأرواح والأجسام ثم يعيدها
 إليها عند الحشر والنشور فيبعث من في القبور ويحصل
 ما في الصدور * فيرى كل مكلف ما عمله من خير أو شر محضراً
 ويصادف دقيق ذلك وجليه مسطراً * في كتاب لا يغادر
 صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها * ويعرف كل واحد مقدار عمله

خيره وشهره بمقيار صادق يعبر عنه بالميزان وان كان لا يساوي
 ميزان الاعمال ميزان الاجسام الثقال كما لا يساوي الا صطرلاب
 الذي هو ميزان المواقيت والمسطرة التي هي ميزان المقادير
 والعروض الذي هو ميزان الاشعار سائر الموازين * ثم يحاسبهم
 على افعالهم واقوالهم وسرائرهم وضمائرهم ونياتهم وعقائدهم مما
 أبدوه أو أخفوه . فانهم يتفاوتون فيه الى مناقش في الحساب والى
 مسامح فيه والى من يدخل الجنة بغير حساب * وانهم يساقون
 الى الصراط وهو جسر ممدود بين منازل الاشقياء ومنازل
 السعداء . أحد من السيف . وأدق من الشعر . يخف عليه من
 استوى في الدنيا على الصراط المستقيم الذي يوازيه في الخفاء
 والدقة ويتعثر به من عدل عن سواء السبيل المستقيم الا من عفى عنه
 بحكم الكرم * وأنهم عند ذلك يسئلون فيسئل من شاء من الانبياء
 عن تبليغ الرسالة ومن شاء من الكفار عن تكذيب المرسلين
 ومن شاء من المبتدعة عن السنة * ومن شاء من المسلمين عن
 اعمالهم . فيسئل الصادقين عن صدقهم . والمنافقين عن نفاقهم *
 ثم يساق السعداء الى الرحمن وفدا * والمجرمون الى جهنم

وردا * ثم يأمر باخراج الموحدين من النار بعد الانتقام حتى لا يبقى في النار من في قلبه مثقال ذرة من الايمان ويخرج بعضهم قبل تمام العقوبة والانتقام بشفاعه الانبياء والعلماء والشهداء * ومن له رتبة الشفاعة * ثم يستقرا أهل السعادة في الجنة منعمين أبد الآبدين . ممتعين بالنظر الى وجهه الله تعالى * ويستقر أهل الشقاوة في النار مرددين تحت أنواع العذاب . مبعدين عن النظر بالحجاب الى وجه الله تعالى ذي الجلال والاكرام *

﴿ الاصل العاشر في النبوة ﴾

وأنه تعالى خلق الملائكة وبعث الانبياء . وأيدهم بالمعجزات وأن الملائكة كلهم عباد له لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون * يسبحون الليل والنهار لا يفترون . وأن الانبياء رساله الى خلقه . وينتهي اليهم وحيه بواسطة الملائكة فينطقون عن وحي يوحى لا عن الهوى * وأنه بعث النبي الامي القرشي محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم برسالاته الى كافة العرب والعجم والجن والانس فذبح بشرعه الشرائع . وجعله سيد البشر

ومنع كمال الايمان بشهادة التوحيد . وهو قوله لا اله الا الله
 ما لم يقترن بها شهادة الرسول * وهو قوله محمد رسول الله
 والزم الخلق تصديقه في جميع ما أخبر به عنه في أمر الدنيا
 والآخرة والزمهم اتباعه والافتداء به فقال (وما آتاكم
 الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) فلم يغادر شيئا يقربهم
 من الله سبحانه الا أمرهم به ودلهم على سبيله . ولا شيئا يقربهم
 الى النار ويبعدهم عن الله تعالى الا نهاهم عنه وعرفهم طريقه .
 وان ذلك أمور لا يرشد اليها مجرد العقل والرأي والذكاء بل
 هي اسرار يكشف بها من حظيرة القدس قلوب الانبياء .
 والحمد لله على ما أرشد وهدى وأظهر من أسمائه الحسنى *
 وصفاته العليا * والصلاة والسلام على محمد المصطفى خاتم الانبياء
 وعلى آله وأصحابه وسلم كثيرا آمين يارب العالمين *
 (خاتمة في التنبيه على الكتب التي تطلب فيها حقيقة هذه العقيدة)
 (اعلم) أن ما ذكرناه هو الحاصل من علوم القرآن أعني
 جمل ما يتعلق منها بالله واليوم الآخر وهي ترجمة العقيدة التي
 لا بد أن ينطوي عليها قاب كل مسلم بمعنى أنه يعتقد ويصدق به

تصديقاً بجزء ما وراء هذه العقيدة الظاهرة رتبتان ﴿أحدها﴾
 معرفة أدلة هذه العقيدة الظاهرة من غير خوض على أسرارها
 ﴿والثانية﴾ معرفة أسرارها ولباب معانيها وحقائق ظواهرها
 والرتبتان جميعاً ليستا واجبتين على جميع العوام * أعني أن نجاتهم
 في الآخرة غير موقوفة عليهما. ولا فوزهم موقوف عليهما * وإنما
 الموقوف عليهما كمال السعادة * وأعني بالنجاة الخلاص من العذاب
 وأعني بالفوز الحصول على أصل النعيم * وأعني بالسعادة نيل غايات
 النعيم * فالسلطان إذا استولى على بلدة وفتحها عنوة * فالذي لم
 يقتله ولم يعذبه فهو ناج وإن أخرجه عن البلدة * والذي لم يعذبه
 ومع ذلك مكّنه من المقام في بلده مع أهله وأسباب معيشته فهو
 مع ذلك فائز بالنجاة * والذي خلع عليه وأشركه في ملكه واستخافه
 في مملكته وأمارته فهو مع النجاة والفوز سعيد * ثم زيادة درجات
 السعادات لا تنحصر * واعلم أن الخلق في الآخرة ينقسمون إلى
 هذه الأصناف بل إلى أصناف أكثر منها * وقد شرحنا ما
 أمكن من شرحها في كتاب التوبة فاطلبه فيه ﴿والرتبة الأولى﴾ من
 الرتبتين وهي معرفة أدلة هذه العقيدة * وقد أودعناها الرسالة

القديسية في قدر عشرين ورقة * وهي أحد فصول كتاب قواعد
 العقائد من كتاب الاحياء * وأما أدلتها مع زيادة تحقيق وزيادة
 تأنيق في ايراد الاسئلة والاشكالات * فقد أودعناها في
 كتاب الاقتصاد في الاعتقاد في مقدار مائة ورقة فهو
 كتاب مفرد برأسه يحوي باب علم المتكلمين . ولكنه
 أبلغ في التحقيق وأقرب الى قرع أبواب المعرفة من الكلام
 الرسمي الذي يصادف في كتب المتكلمين * وكل ذلك يرجع
 الى الاعتقاد لا الى المعرفة * فان المتكلم لا يفارق العامي الا في
 كونه عارفا وكون العامي معتقداً بل هو أيضاً معتقد عرف
 مع اعتقاده أدلة الاعتقاد ليؤكد الاعتقاد ويستمره ويحرسه
 عن تشويش المبتدعة ولا تنحل عقيدة الاعتقاد الى التشرّاح
 المعرفة * فان أردت أن تستنشق شيئاً من روائج المعرفة
 صادفت منها مقداراً يسيراً مشبوتاً في كتاب الصبر والشكر .
 وكتاب المحبة وباب التوحيد من أول كتاب التوكل وجملة
 ذلك من كتاب الاحياء . وتصادف منها قدراً صالحاً يعرفك
 كيفية قرع باب المعرفة في كتاب المقصد الاقصى في معاني

أسماء الله الحسنى - لا سيما في الأسماء المشتقة من الأفعال
 وإن أردت صريح المعرفة بحقائق هذه العقيدة من غير مجمحة
 ولا مراقبة . فلا تصادفها إلا في بعض كتبنا المضمون بها على
 غير أهلها * وإياك أن تغتر وتحدث نفسك بأهليته فتشرب
 لطلبه . فتستهدف للمشافهة بصريح الرد إلا أن تجمع ثلاث
 خصال (أحداها) الاستقلال في العلوم الظاهرة ونيل رتبة
 الإمامة فيها (والثانية) انقلاع القلب عن الدنيا بالكلية بعد
 محو الأخلاق الذميمة حتى لا يبقى فيك تعطش إلا إلى الحق .
 ولا اهتمام إلا به . ولا شغل إلا فيه ولا ترجع إليه *
 (والثالثة) أن يكون قد أتيح لك السعادة في أصل الفطرة
 بقرينة صافية وفطنة بليغة لا تسكن عن درك غوامض العلوم
 ومشكلاتها على سبيل البديهة والمبادرة فإن البليد إذا أتعب
 خاطره واكد نفسه ربما أدرك بعض الغوامض أيضاً ولكن
 يدرك منها شيئاً يسيراً في مدة طويلة فلن يصلح لاقتباس
 المعرفة الحقيقية إلا قلب صاف كأنه مرآة مجلوة . وإنما يصير
 كذلك بقوة الفطرة وصحة القصد ثم بزالة كدورات الدنيا عن

وجهه فانه الرين والطبع الذي يمنع الله به القلوب عن معرفته وأن
الله يحول بين المرء وقلبه * (القسم الثاني في الاعمال الظاهرة)
وهي عشرة أصول *

(الاصل الاول في الصلاة)

قال الله تعالى (وأقم الصلاة لذكري) وقال النبي عليه السلام
الصلاة عماد الدين * واعلم أنك في صلاتك مناج ربك فانظر
كيف تصلي * وحافظ فيها على ثلاثة أمور لتكون من جملة
المحافظين على الصلاة والمقيمين لها فان الله تعالى انما يأمر
بالاقامة ويقول (أقم الصلاة وأقيموا الصلاة) وليس يقول
صل أو صلوا * ويثني على المحافظين على الصلاة فيقول (والذين
يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون) *
(الاول) المحافظة على الطهارة بان يسبغ الوضوء قبل الصلاة
واسباغها أن يأتي بجميع سننها وأذكارها المروية عند كل
وظيفة منها ويحتاط أيضا في طهارة ثيابه وطهارة بدنه وطهارة
الماء الذي يتوضأ به احتياطا لا يفتح عليه باب الوسواس فان
الشيطان يوسوسه في الطهارة فيضيع أكثر أوقات العبادة *

﴿واعلم﴾ أن المقصود من طهارة الثوب وهو القشر الخارج ثم من طهارة البدن وهو القشر القريب * ثم طهارة القلب وهو اللب الباطن * وطهارة القلب عن نجاسات الاخلاق المذمومة أنهم الطهارة كما سذكرها في القسم الثالث لكن لا يبعد أن يكون الطهارة الظاهرة أيضا تأثير في اشراق نورها على القلب * فانك اذا أسبغت الوضوء واستشعرت نظافة ظاهرك صادفت في قلبك انشراحا وصفاء كنت لا تصادفه من قبل — وذلك لسر العلاقة التي بين عالم الشهادة وعالم الملكوت . فان ظاهر البدن من عالم الشهادة . والقلب من عالم الملكوت باصل فطرته * وانما هبوطه الي عالم الشهادة كالغريب عن جيلته وكما تنحدر من معارف القلب آثار الى الجوارح — فكذلك يرتفع من أحوال الجوارح أنوار الى القلب — ولذلك أمروا بالصلاة مع أنها حركات الجوارح التي هي من عالم الشهادة * ولذلك جعلها رسول الله صلى الله عليه وسلم في الدنيا ومن الدنيا * وقال حبيب الى من دنياكم ثلاث الحديث * فلا يستبعد أن يفيض من طهارة الظاهر أثر

على الباطن * ففي بدائع صنع الله أمور أعجب من هذا
 إذ قد عرف بالتجربة ان المجامع في حال المباشرة لو أدمن النظر
 الى بياض مشرق أو حمرة قانية حتى غابت تلك الصورة على
 نفسه ما ن لون المولود الى ذلك اللون الذي غلب عليه * وان
 الجنين أول ما يتحرك في البطن تميل صورته الى الحسن ان
 كانت الأم مشاهدة في تلك الحالة لصورة حسنة بحيث غلبت
 تلك الصورة على نفسها * ولذلك أمر رسول الله صلى الله
 عليه وسلم المباشر عند مباشرته أن يحضر في قلبه ارادة اصلاح
 المولود * ويدعو الله بذلك فيقول * اللهم جنبنا الشيطان
 وجنب الشيطان عما رزقنا * حتى يفيض الله سبحانه مبادي
 الصلاح على الروح التي يخلقها عندلقاء البذر في محل الحرث
 بواسطة الصلاح الغالب على قلب الحارث كما يفيض الله
 النور بواسطة المرآة المحاذية للشمس على بعض الاجسام
 المحاذية للمرآة * وهذا الآن نقرع بابا عظيما من معرفة عجائب
 صنع الله في الملك والملايكوت . والى قريب منه يرجع سر
 الشفاعة في الآخرة فلنجاوزه . فغرضنا الآن ذكر الاعمال دون

المعارف * وقد أشممناك شيئاً يسيراً من أسرار الطهارة الظاهرة *
 فان كنت لا تصادف بعد الطهارة واسباغ الوضوء شيئاً
 من الصفاء الذي وصفناه * فاعلم أن الدرن الذي عرض على
 قلبك من كدورات شهوات الدنيا وشواغلها اقتضى كلال
 حس القلب فصار لا يحس باللطائف . والاشياء الخفية اللطيفة
 ولم يبق في قوته الا إدراك الجليات ان بقي * فاشتغل بجلاء قلبك
 وتصفيته — فذلك أوجب عليك من كل ما أنت فيه *

﴿ المحافظة الثانية ﴾ أن تحافظ على سنن الصلاة وأعمالها الظاهرة
 وأذكارها وتسبيحاتها حتى تأتي فيها بجميع السنن والآداب
 والهيئات كما جمعناها في ﴿ كتاب بداية الهداية ﴾ فان لكل واحد
 منها سرّاً وله تأثير في القلب كما نبهنا عليه في تأثير الطهارة بل
 أشد وأبلغ وشرح ذلك بطول * وأنت اذا أتيت بذلك انتفعت
 به وان لم تعلم أسرارها كما ينتفع شارب الدواء بشربه وان لم
 يعرف طبائع اخلاطه ووجود مناسبتها لمرضه ﴿ واعلم ﴾ أن الصلاة
 صورة صورها رب الارباب كما صور الحيوان مثلاً * فروحها
 النية والاخلاص وحضور القلب * وبدنها الاعمال * وأعضاؤها

الاصابة الاركان* وأعضاؤها الكمالية الابعاض* فلا خلاص
والنية فيها يجري مجرى الروح* والقيام والقعود يجري مجرى
البدن* والركوع والسجود يجري مجرى الرأس واليد والرجل
واكمال الركوع والسجود والطمأنينة وتحسين الهيئة يجري مجرى
حسن الاعضاء وحسن اشكالها وألوانها* والاذكار والتسبيحات
المودعة فيها تجري مجرى آلات الحس المودعة في الرأس
والاعضاء كالعينين والاذنين وغيرها* ومعرفة معاني
الاذكار وحضور القلب عندها يجري مجرى قوة الحس المودعة
في آلات الحسي كقوة السمع وقوة البصر والشم والذوق
واللمس في معادنها*

﴿واعلم﴾ أن تقربك بالصلاة كتقرب بعض خدام
السلطان باهداء وصيفة الى السلطان ﴿واعلم﴾ أن فقد النية
والاخلاص من الصلاة كفقده الروح من الوصيفة* والمهدي
للجيفة الميتة مستهزئ بالسلطان* فيستحق سفك الدم*
وفقد الركوع والسجود يجري مجرى فقد الاعضاء* وفقد
الاذكار يجري مجرى فقد العينين من الوصيفة* وجدع الانف

والاذنين وعدم حضور القلب في غفلته عن معرفة معاني القرآن
والاذا كان كفقده السمع والبصر مع بقاء جرم الحدة والاذن *
ولا يخفى عليك أن من أهدي وصيفة بهذه الصفة كيف يكون
حاله عند السلطان ﴿ واعلم ﴾ أن قول الفقيه في الصلاة الناقصة
الفاظها وسننها أنها صحيحة كقول الطبيب في الوصفة المقطوعة
أطرافها أنها حية وليست بميتة * فان كان ذلك كافيا في التقرب بها
الى السلطان ونيل الكرامة منه ﴿ فاعلم ﴾ أن الصلاة الناقصة
صالحة أيضا للتقرب بها الى الله سبحانه ونيل الكرامة وان
أوشك أن ترد ذلك على المهدي ويزجر فلا يبعد مثل ذلك في
الصلاة * فانها قد ترد على المصلي كالخرقة الخلقة كما ورد في الخبر
﴿ واعلم ﴾ أن أصل الصلاة التعظيم والاحترام واهمال آداب
الصلاة يناقض التعظيم والاحترام ﴿ المحافظة الثالثة ﴾ أن تحافظ
على روح الصلاة وهي الاخلاص وحضور القلب في جملة الصلاة
واتصاف القلب في الحال بمعانيها * فلا تسجد ولا تركع الا وقلبك
خاشع متواضع على موافقة ظاهره * فان المراد خضوع القلب
لا خضوع البدن * ولا تقول ﴿ الله اكبر ﴾ وفي قلبك شيء اكبر

من الله تعالى ولا تقول ﴿وجهت وجهي﴾ الا وقلبك متوجه
 بكل وجهه الى الله ومعرض عن غيره * ولا تقول ﴿الحمد لله﴾ الا
 وقلبك طافح بشكر نعمه عليك فرح به مستبشر . ولا تقول
 ﴿واياك نستعين﴾ الا وانت مستشعر ضعفك وعجزك . وأنه
 ليس اليك ولا الى غيرك من الامر شيء — وكذلك في جميع
 الاذكار والاعمال * وشرح ذلك يطول * وقد شرحناه في كتاب
 الاحياء فجاهد نفسك في أن ترد قلبك الى الصلاة حتى لا
 تغفل من أولها الى آخرها * فانه لا يكتب للرجل من صلاته
 الا ما عقل منها . فان تعذر عليك الاحضار وما أراك الا
 كذلك * فانظر فان كان قدر الغفلة مقدار ركعتين فلا تعد
 الصلاة ولكن افهم أن النوافل جواهر الفرائض * فتغفل
 بمقدار أن يحضر القلب فيها في مقدار ركعتين . فكلما
 زادت الغفلة زد في النوافل حتى يحضر قلبك * مثلاً في
 عشر ركعات بمقدار أربع ركعات وهو قدر فرضك فمن رحمة
 الله عليك ان قبل منك جبران الفرائض بالنوافل * فهذه
 أصول المحافظة على الصلاة *

﴿ الاصل الثاني في الزكاة والصدقة ﴾

قال الله سبحانه ﴿ مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مائة حبة والله يضاعفها لمن يشاء ﴾ وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ هلك الاكثرون الا من قال بالمال هكذا وهكذا ﴾ ﴿ فاعلم ﴾ أن انفاق المال في الخيرات أحد أركان الدين ﴿ وانما سر التكليف به بعد ما يرتبط به من مصالح البلاد والعباد . وسد الخلات والفاقات فان المال محبوب الخلق وهم مأمورون بحب الله ويدعون الحب بنفس الايمان ﴾ فجعل بذل المال معيارا لحبهم وامتحانا لصدقهم في دعواهم فان المحبوبات كلها تبذل لاجل المحبوب الا غاب حبه على القلب فانقسم الخلق فيه الى ثلاث طبقات ﴿ الطبقة الاولى ﴾ الاقوياء وهم الذين انفقوا جميع ممالكهم ولم يدخروا لانفسهم شيئا فهو لا يصدقوا ما عاهدوا الله عليه من الحب كما فعل أبو بكر الصديق اذ جاء بماله كله . فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ذا أبقيت لنفسك ؟ فقال الله ورسوله ﴿ وقال لعمر رضي الله عنه ما ذا أبقيت لنفسك ؟ قال مثله أي مثل ما أتيت به ﴾ فقال

صلى الله عليه وسلم بينكما مثل ما بين كلمتيكما ﴿ الطبقة الثانية ﴾
 المتوسطون وهم الذين لم يقدرُوا على اخلاء اليد عن المال دفعة
 واحدة . ولكن أمسكوه لا للتعم بل للانفاق عند ظهور
 محتاج اليه . فهم يقنعون في حق أنفسهم بما يقوِّمهم على العبادة
 واذا عرض محتاج بادرُوا الى سد خلته وحاجته ولم يقتصروا
 على قدر الواجب من الزكاة وانما غرضهم الاظهر في الامساك
 ترصد الحاجات ﴿ الطبقة الثالثة ﴾ الضعفاء وهم المقتصرون على
 أداء الزكاة الواجبة فلا يزيدون عليها ولا ينقصون منها * فهذه
 درجاتهم وبذل كل واحد على مقدار حبه لله . وما أراك تقدر
 على الدرجة الاولى والثانية . ولكن اجتهد حتى تجاوز الدرجة
 الثالثة الى أواخر طبقات المقتصدين المتوسطين * فزيد
 على الواجب ولو شيئاً يسيراً . فان مجرد الواجب حد البخل
 قال الله سبحانه وتعالى ﴿ ان يسئلكموها فيحلفكم بئخلوا ﴾ أي
 يستقصي عليكم فتبخلوا * فاجتهدوا أن لا ينقضي عليك وقت
 الا وتتصدق بشيء وراء الواجب ولو بكسرة خبز فترفع بذلك
 عن درجة البخل * فان لم تملك شيئاً فليست الصدقة كلها

في المال لكن كل كلمة طيبة وشفاعة ومعمونة في حاجة وعبادة
 مريض وتشجيع جنازة . وفي الجملة أن تبذل شيئا مما تقدر
 عليه من جاه ونفس وكلام لتطيب قلب مسلم فيكتب جميع ذلك
 لك صدقة . وحافظ في زكوتك وصلاتك وصدقتك على خمسة
 أمور ﴿ الاول الاسرار ﴾ فان في الخبر أن صدقة السر تطفي
 غضب الرب . والذي يتصدق يمينه بحيث لا تعلم شماله وهو
 أحد السبعة الذين يظلمهم الله يوم لا ظل الا ظله . وقد قال
 الله تعالى ﴿ وان تحفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم ﴾
 وبذلك تتخلص عن الرياء فانه غالب على النفس وهو مهلك
 ينقلب في القلب اذا وضع الانسان في قبره في صورة حية
 أي يؤلم ايلام الحية * والبخل ينقلب في صورة عقرب *
 والمقصود في كل الانفاق الخلاص من رذيلة البخل * فاذا
 امتزج به الرياء كان كأنه جعل المقرب غذاء الحية . فما
 تخلص من المقرب ولكن زاد في قوة الحية . اذ كل صفة
 من الصفات المهلكات في القلب انما غذاؤها وقوتها في اجابتها
 الى مقتضاها ﴿ الثاني ﴾ ان تحذر من المن . وحقيقته ان ترى

نفسك محسناً الى الفقير متفضلاً عليه * وعلامته ان تتوقع منه
 شكراً أو تستنكر تقصيره في حقك وممالاته عدوك استنكاراً
 يزيد على ما كان قبل الصدقة — فذلك يدل على انك رأيت
 لنفسك عليه فضلاً * وعلاجه ان تعرف انه المحسن اليك
 بقبول حق الله منك . فان من اسرار الزكوة تطهير القلب
 وتزكيتة عن رذيلة البخل وخبث الشح — ولذلك كانت الزكاة
 مطهرة اذ بها حصلت الطهارة فكانها غسالة نجاسة — ولذلك
 ترفع رسول الله صلى الله عليه وسلم واهل بيته من أخذ
 الزكاة * وقال عليه السلام انها اوساخ اموال الناس * واذا أخذ
 الفقير منك ما هو طهرة لك فله الفضل عليك * أرايت لو
 كان فساد افسدك مجاناً واخرج من باطنك الدم الذي تخشى
 ضرره في الحياة الدنيا أكان الفضل لك ام له * فالذي يخرج
 من باطنك رذيلة البخل وضررها في الحياة الآخرة أولى بان
 تراه متفضلاً ﴿ الثالث ﴾ ان تخرجه من أطيب أموالك
 وأجودها قال الله تعالى (ويجعلون لله ما يكرهون) وقال الله
 ﴿ ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون ولستم بآخذيه ﴾ الآية * وقال

صلى الله عليه وسلم ان الله طيب لا يقبل الا الطيب يعنى
 الحلال * فان المقصود من هذا اظهار درجة الحب والانسان
 يؤثر الا أحب اليه الا نفس دون الاخس (الرابع) ان
 تعطى بوجه طلق مستبشر وانت به فرحان غير مستكره
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (سبق درهم مائة الف) وانما
 أراد ما يعطيه عن بشاشة وطيبة نفس من أنفـس ماله وأجوده
 فذلك افضل من مائة الف مع الكراهة (الخامس) ان
 تتخير لصدقك محلاتزكو به الصدقة وهو المتقى العالم الذي
 يستغني بها على طاعة الله عز وجل وتقواه * أو الصالح المعيل
 ذو الرحم * فان لم يجتمع هذه الأوصاف * فتزكوا الصدقة
 بأحاديها ايضاً * ورعاية الصلاح اصل الأمور . فما الدنيا الا
 البلغة للعباد وزاد لهم الى المعاد . فليصرف الى المسافرين اليه
 المتخذين هذه الدار منزلاً من منازل الطريق . قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم (لاتأكل الا طعام تقي ولا يأكل
 طعامك الا تقي) *

﴿الأصل الثالث في الصيام﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله سبحانه
كل حسنة بعشر أمثالها الى سبع مائة ضعف الا الصيام فانه
لى وأنا أجزى به * وقال عليه السلام لكل شىء باب وباب
العبادة الصوم * وانما كان الصوم مخصوصاً بهذه الخواص
لأمرين ﴿أحدهما﴾ انه يرجع الى كف وهو عمل سر لا
يطلع عليه أحد غير الله تعالى لا كالصلوة والزكاة وغيرها
﴿والثاني﴾ انه قهر لعدو الله فان الشيطان هو العدو ولن
يقوى العدو الا بواسطة الشهوات . والجوع يكسر جميع
الشهوات التى هى آلة الشيطان — فلذلك قال عليه السلام ﴿ان
الشيطان ليجرى من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجارى
الشيطان بالجوع﴾ وهو سر قوله صلى الله عليه وسلم * اذا دخل
رمضان فتحت أبواب الجنان . وغلقت أبواب النيران .
وصفدت الشياطين * ونادى مناد * يا باغي الخير هلم
ويا باغي الشر اقصر ﴿واعلم﴾ ان الصوم بالاضافة الى مقداره
على ثلاث درجات وبالاضافة الى اسراره على ثلاث

درجات * اما درجات مقداره فاقها الاقتصار على شهر
رمضان . وأعلها صوم داود عليه السلام . وهو أن تصوم
يوماً وتفطر يوماً * في الخبر الصحيح أن ذلك أفضل من
صوم الدهر وأنه أفضل الصيام * وسره أن من صام الدهر
صار الصوم له عادة فلا يحس بوقعه في نفسه بالانكسار . وفي
قلبه بالصفاء وفي شهواته بالضعف * فإن النفس إنما تتأثر بما يرد
عليها لا بما مرت عليه فلا يبعد هذا * فإن الأطباء أيضاً ينهون
عن اعتياد شرب الدواء * وقالوا من تعود ذلك لم ينتفع به إذا
مرض إذ يألفه مزاجه فلا يتأثر به ﴿ واعلم ﴾ أن طب القلوب
قريب من طب الأبدان . وهو سر قوله صلى الله عليه وسلم
لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما لما كان يسأله عن الصوم * فقال
عليه السلام ﴿ صم يوماً وأفطر يوماً ﴾ فقال أريد أفضل من
ذلك * فقال عليه السلام لا أفضل من ذلك — ولذلك لما قيل
لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلاناً صام الدهر . فقال
عليه السلام لا صام ولا أفطر * كما قالت عائشة رضي الله عنها
لرجل كان يقرأ القرآن بهزيمة إن هذا ما قرأ القرآن ولا سكت

﴿ وأما الدرجة المتوسطة ﴾ فهو أن تصوم ثلث الدهر ومهما صمت
الاثنين والخميس وأضفت اليه رمضان * فقد صمت من السنة
أربعة أشهر وأربعة أيام . وهو زيادة على الثالث . لكن لا بد
أن ينكسر يوم من أيام التشريق * وترجع الزيادة الى ثلاثة أيام
ويتصور أن ينكسر في العيدين يومان فتكون ثلاثة أيام . فترجع
الزيادة الى يوم واحد فتأمل حسابه تعرفه * فلا ينبغي أن ينقص
من هذا القدر صومك فانه خفيف على النفس وثوابه جزيل
﴿ وأما درجات اسراره ﴾ فثلاث ﴿ أدناها ﴾ أن يقتصر على
الكف عن المفطرات ولا يكف جوارحه عن المكاره وذلك
صوم العموم وهو قناعتهم بالاسم ﴿ الثانية ﴾ أن تضيف اليه كف
الجوارح فتحفظ اللسان عن الغيبة والعين عن النظر بالزينة —
وكذا ساثر الاعضاء ﴿ الثالثة ﴾ أن تضيف اليه صيانة القلب عن
الفكر والوسواس * وتجعله مقصوداً على ذكر الله عز وجل
وذلك صوم خصوص الخصوص وهو الكمال . ثم للصيام
خاتمة بها يكمل وهو أن يفطر على طعام حلال لا على شبهة
وان لا يستكثر من اكل الحلال بحيث يتدارك ما فاتته ضحوة

فيكون قد جمع بين اكلتين دفعة واحدة فتثقل معدته وتقوى شهوته ويبطل سر الصوم وفائده * ويفضى الى التكاسل عن التهجّد * وربما لم يستيقظ قبل الصبح * وكل ذلك خسران وربما لا توازيه فائدة الصوم *

﴿ الاصل الرابع في الحج ﴾

قال الله تعالى (والله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا) وقال صلى الله عليه وسلم (من مات ولم يحج فليمت ان شاء يهوديا وان شاء نصرانيا) وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ بني الاسلام على خمس ﴾ الحديث * ولالحج أعمال ظاهرة ذكرناها في كتاب الاحياء * وتنبيهك الآن على آداب دقيقة * وأسرار باطنة ﴿ أما الآداب ﴾ فسبعة ﴿ الاول ﴾ ان ترتاد للطريق رفيقا صالحا ونفقة طيبة حلالا * فالزاد الحلال ينور القلب والرفيق الصالح يذكر الخير ويزجر عن الشر ﴿ الثاني ﴾ ان يخلي يده عن مال التجارة كيلا يتشعب فكره * وينقسم خاطره ولا يصفو الزيارة قصده ﴿ الثالث ﴾ ان يوسع في الطريق بالطعام ويطيب الكلام مع الرفقاء والمكاري ﴿ الرابع ﴾ ان

يترك الرفث والجدال والتحدث بالفضول في أمر الدنيا بل
 يقصر لسانه بسد مهات حاجاته على الفكر وتلاوة القرآن
 ﴿الخامس﴾ ان يركب راحلة دون الحمل ويكون رث الهيئة
 اشعت اغبر غير متزين بل على هيئة المساكين حتى لا يكتب
 في جملة المترفين ﴿السادس﴾ ان ينزل عن الدابة احيانا
 ترفيها للدابة وتطيبها لقلب المكاري * وتخفيفا للاعضاء بالتحرك
 ولا يحمل الدابة مالا تطيق بل يرفق بها ما أمكن ﴿السابع﴾
 أن يكون طيب النفس بما اتفق من تفقة وبما أصابه من
 تعب وخسران * وان يرى ذلك من آثار قبول الحج
 فيحتسب الثواب عليه ﴿واما أسرارہ﴾ فكثيرة نرمن منها
 الى فنين ﴿أحدهما﴾ انه وضع بدلا عن الرهبانية التي كانت
 في الملل كما ورد به الخبر * فجعل الله سبحانه الحج رهبانية
 لامة محمد صلى الله عليه وسلم فشرف البيت العتيق و اضافه
 الى نفسه ونصبه مقصدا لعباده * وجعل مع ما حو اليه حرما لبيته
 تفخما لامره * وجعل عرفات كالميدان على فناء حرمه وأكد
 حرمة الموضع بتحريم صيده وشجره * ووضع على امثال

الملوك ليقصده الزوار من كل فج عميق ضعفاء غبراء متواضعين
 لرب العالمين خضوعا لجلاله واستكانة لعزته مع الاعتراف
 بتنزهه عن ان يكتنفه بيت أو يحويه مكان ليكون ذلك أبلغ
 في رقهم وعبوديتهم - ولذلك كلفهم اعمالا غريبة لاتنا سبب
 الطبع والعقل ليكون أقدامهم بحكم محض العبودية * وامثال
 الامر من غير معاونة باعث آخر * وهذا سر عظيم في الاستعباد
 ولذلك قال صلى الله عليه وسلم * ابيك بحجة حقا تعبدوا ورقا
 ﴿ الفن الثاني ﴾ ان هذا السفر وضع على مثال سفر الآخرة
 فليتذكر المرید بكل عمل من اعماله أمر من أمور الآخرة موازيا له
 فان فيه تذكرة للمتذكر وعبرة للمعتبر المستبصر * فتذكر من
 أول سفرك عند وداعك اهلك وداع الاهل في سكرات الموت
 ومن مفارقة الوطن الخروج من الدنيا * ومن ركوب الجمل
 ركوب الجنازة * ومن الالتفاف في أثواب الاحرام الالتفاف
 في أثواب الكفن * ومن دخول البادية الى الميقات ما بين
 الخروج من الدنيا الى ميقات القيامة * ومن هول قطاع الطريق
 سؤال منكرو نكير * ومن سباع البوادي عقارب القبر وديدانه

ومن انفرادك عن اهلك واقاربك وحشة القبر ووحدته
ومن التلبية اجابة داعي الله عز وجل عند البعث — وكذلك
في سائر الأعمال فان في كل عمل سرا وتحتة رمزا * يتنبه
له كل عبد بقدر استعداده للتنبه بصفاء قلبه وقصور همه
على مهات الدين *

﴿ الاصل الخامس في قراءة القرآن ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم * أفضل عبادة أمتي
قراءة القرآن * وقال عليه السلام لو كان القرآن في اهاب ما
مسته النار * وقال عليه السلام ما من شفيع افضل منزلة عند
الله يوم القيمة من القرآن لا نبي ولا ملك ولا غيره * وقال
عليه السلام يقول الله سبحانه من شغله قراءة القرآن عن
دعائي ومسئتي اعطيته أفضل ثواب الشاكرين ﴿ واعلم ﴾
ان لقراءة القرآن آدابا ظاهرة واسراراً باطنة * اما الآداب
الظاهرة فشلاثة ﴿ الاول ﴾ أن تقرأه باحترام وتمظيم ولن
تازم الحرمة قلبك ما لم تازم هيئة الحرمة ظاهر لك * وقد عرفت
كيفية علاقة القلب بالجوارح ووجه ارتفاع الانوار منها اليه

﴿ وهيئة الحرمة ﴾ ان تجلس وانت على الطهارة بما كنا منطرقا
مستقبل القبلة غير متكئ ولا متربع ولا نائم كما تجلس بين
يدي المقرئ وتقرأه بترتيل وتفخيم * وتؤدّه حرفا حرفا من
غير هذمة * قال ابن عباس رضي الله عنه لأن أقرأ إذا
زالت والقارعة تدبرهما أحب الي من أن أقرأ البقرة وآل
عمران تهذيرا ﴿ الثاني ﴾ ان تتشوق في بعض الاوقات
الى اقصى درجات الفضل فيه * وذلك بان تقرأه في الصلوة
قائما خصوصا في المسجد وبالليل لان القلب في الليل اصفى
لانه افرغ * فانك وان خاوت بالنهار فتزد الخلق
وحرركاتهم في أشغالهم تحرك باطنك وتشغلك خصوصا
عن ان كنت تتوقع ان تطلب شغلا من الاعمال والاشغال
﴿ وكيف ﴾ ما قرءته ولو مضطجعا من غير طهارة
فلا تخلو عن الفضل . فان الله تعالى اثنى على الجميع * وقال
(الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم) الآية ولكن
ما ذكرناه في زيادة الفضل * فان كنت من مردي الآخرة
فلا يسهل عليك ترك الفضل * وقد قال علي رضوان الله عليه

من قرء القرآن وهو قائم في الصلوة فله بكل حرف مائة
 حسنة * ومن قرء القرآن في غير صلاة وهو على طهارة خمسين
 وعشرون حسنة * ومن قرأه على غير وضوء فمئة حسنة
 ﴿ الثالث ﴾ في مقدار القراءة وله ثلاث درجات ﴿ ادناها ﴾
 ان يختم في الشهر مرة ﴿ وأقصاها ﴾ ان يختم في ثلاثة أيام
 مرة * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ من قرء القرآن في أقل من
 ثلاث لم يفقه ﴾ ﴿ وأعدلها ﴾ أن يختم في الاسبوع مرة * وأما
 الختم في كل يوم فخير مستحب * وإياك ان تتصرف بعقلك
 فتقول ما كان خيرا ونافعاً فكلما كان أكثر كان أنفع . فان
 عقلك لا يهتدي الى اسرار الأمور الالهية * وإنما تتلقاها قوة
 النبوة * فعليك بالاتباع فان خواص الأمور لا تدرك بالقياس
 او ما ترى كيف نديت الى الصلوة ونهيت عنها جميع النهار
 وأمرت بتركها بعد الصبح وبعد العصر وعند الطلوع وعند
 الغروب والزوال — وذلك ينتهي الى قدر ثلث النهار
 وكيف وأثر الفساد ظاهر على قياسك هذا . فانه كقول القائل
 الدواء نافع للمريض فكلما كان أكثر كان أنفع * وانت تعلم

ان كثرة الدواء ربما يقتل ﴿ وأما الاسرار الباطنة ﴾ خمسة
 ﴿ الاول ﴾ ان تستشعر في أول قرائتك عظمة الكلام باستشعار
 تعظيم المتكلم فتحضر في قلبك العرش والكرسي والسموات
 والارض وما بينهما من الملائكة والجن والانس والحيوانات
 والنباتات والمعادن وتذكر ان الخالق لجميعها واحد * وان
 الكل في قبضة قدرته متردد بين فضله ورحمته وانك تريد
 ان تقرء كلامه وتنظر به الى صفة ذاته وتطالع جمال علمه
 وحكمته وتعلم انه كما لا يمس ظاهر المصحف الا المطهرون
 بظواهرهم وهو محبوب عن غيرهم — فكذلك حقيقة معناه
 وباطنه محبوب عن باطن القلب الا اذا كان مطهرا من كل
 رجس وخبث من خبائث الباطن * وبمثل هذا التعظيم كان
 عكرمة اذا نشر المصحف ربما غشي عليه ويقول هذا كلام
 ربي هذا كلام ربي ﴿ واعلم ﴾ انه لولا ان أنوار كلامه العزيز
 وعظمته غشيت بكسوة الحروف لما أطاق القسوة البشرية
 سماعه لعظمته وسلطانه وسبحاته نوره . ولولا تثبيت الله عز
 وجل موسى عليه السلام لما أطاق سماعه مجردا عن كسوة

الحروف والاصوات كما لم يطق الجبل مبادي تجليته حتى صار
دكادكا ﴿ الثاني ﴾ ان تقرأ بتدبر معانيه ان كنت من أهله
وكل ما يجري لسانك به في غفلة فاعده ولا تعدده من عمالك
لان الترتيل في الظاهر للتمكن من التدبر * قال علي عليه
السلام لا خير في عبادة لا فقه فيها * ولا في قراءة لا تدبر
فيها * واياك ان تصير مشغوفاً بعدد الختمات على نفسك فلان
تردد آية واحدة ليلة تتدبرها خير لك من ختمتين * فقد قرأ
رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾
فرددتها عشرين مرة * وقال ابو الدرداء رضي الله عنه
قام رسول الله صلى الله عليه وسلم بنا ليلة * فقام بآية
يرددوها ﴿ ان تعذبهم فاعذبهم عذابك ﴾ وقام تميم الداري ليلة
بقوله سبحانه ام حسب الذين اجترحوا السيئات الآية وقام
سميد بن جبير ليلة بقوله وامتازوا اليوم ايها المجرمون * ولعل
الايق بك ما قاله بعض العارفين اذ قال ﴿ لي ﴾ في كل جمعة ختمة
ولي في كل شهر ختمة . وفي كل سنة ختمة . ولي ختمة منذ
ثلاثين سنة ما فرغت منها بعد - وذلك بحسب درجات

التدبر * فان القلب في بعض الاوقات لا يحتمل التدبر الطويل
فليكن للتدبر الطويل ختمة خاصة ﴿الثالث﴾ ان تجتني في
تدبرك ثمار المعرفة من اغصانها وتقتبسها من أوطانها * ولا
تطلب الترياق من حيث تطالب منه الجواهر * ولا الجواهر
من حيث يطلب منه المسك والعود * فان لكل ثمرة غصنا *
ولكل جوهر معدنا. وانما يتيسر لك هذا بان تعرف الأصناف
العشرة التي حصرنا فيها أقسام القرآن * وهي عشرة معادن *
﴿فما يتعلق﴾ من القرآن بالله تعالى وبصفاته وافعاله فاقتبس منه
معرفة الجلال والعظمة ﴿وما يتعلق﴾ بالارشاد الى الصراط
المستقيم فاقتبس منه معرفة الرحمة والعطف والحكمة ﴿وما يتعلق﴾
باهلاك الاعداء فاقتبس منه معرفة العزة والاستغناء والقهر
والتجبر ﴿وما يتعلق﴾ بأحوال الانبياء فاقتبس منه معرفة
اللطف والنعمة والفضل والكرم - وكذلك في كل صنف
ما يليق به * فلا تنظرن اليه بعين واحدة * وشرح ذلك يطول
﴿الرابع﴾ أن تتخلي عن موانع الفهم وهي الاكنة التي تمنع
من الفهم * قال الله عز وجل ﴿انا جعلنا على قلوبهم أكنة ان

يفقهوه وفي آذانهم وقرا) الآية . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿لولا ان الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء﴾ ﴿واعلم﴾ ان معاني القرآن من جملة الملكوت . وانما حروفها من عالم الشهادة والا كنهة التي يتلى بها المتقى المتعطر الى الحق نوعان ﴿اما ما ابتلي﴾ به ضعيف الايمان من حجاب الشك والجحود ﴿واما ما ابتلي﴾ به المهمل في الدنيا من حجاب الشهوات المستغرة للقلب فذلك جلي لا يخفى كونه مانعا من فهم لطائف القرآن واقتباس أنواره فيها حجب أكثر الخلق ﴿وأما العباد﴾ المتجردون لطريق الله عز وجل يحجبون بنوعين آخرين ﴿أحدهما﴾ الوسواس الصارف للقلب الى التفكير في النية كيف كانت في الابتداء هل بقيت الان * وهل هو مخلص في الحال هذا ان كان في الصلاة أو الوسواس الصارف لهم الى تصحيح مخارج الحروف والتشكك فيها واعادتها لاجل ذلك * وهذا يجري في الصلاة وغيرها فكيف يطالع أسرار الملكوت قلب محبوب مصروف الى مطالعة الشفتين وكيفية انطباقهما واللسان والحنك

وكيفية انسالال الهواء من اصطكاكهما . وهو معنى تقطيع
الحروف وتصحيحها ﴿ النوع الثاني ﴾ التقليد لظواهر معاني
القرآن والجمود عليها - وذلك بحجاب عظيم عن الفهم . ولست
أعني به التقليد الباطل كتقليد المبتدع بل التقليد الحق أيضاً
فان الحق الذي كلف الخلق اعتقاده له درجات وله مبدء
ظاهر وهو كالقشر والمثال وله غور باطن وهو كاللباب * قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ ان للقرآن ظاهراً وباطناً وحداً
ومطالعاً ﴾ فالجامد على الظاهر الظان انه ليس وراءه مرقى
يرتقى اليه كيف يتصور أن تنكشف له الاسرار * فقد كلف
الخلق مثلاً أن يعتقدوا أن الله تعالى يرى ولكن للرؤية ظاهر
وسر * فمن اعتقد أن رؤية الله تعالى مناسبة للرؤية التي يأنفها
الانسان في هذا العالم كيف يتصور أن يتطلع على سرّ قوله
تعالى ان تراني * وكيف يفهم ان ذلك ممتنع في هذه الحياة
الدنيا بهذه العين الموقوفة على ملاحظة الجهات والاقطار * وكيف
يدرك قوله لا تدركه الابصار مع قوله ﴿ وجوه يومئذ ناضرة الى
ربها ناظرة ﴾ ويكفيك هذا المثال الواحد * فلسنا نكشف لك

اكثر من هذا * ولسنا نقصد في هذا الاصل الا التاويحات
 لمبادى الاسرار تشويقا للمستعدن لها * (الخامس) ان لا تقتصر
 على اقتباس الانوار * بل تضيف اليها اقتباس الاحوال والآثار
 وذلك ان لا تقرأ آية الا وان تصير بصفاتها * فتكون لك بحسب
 كل فهم حال ووجد * فعند ذكر الرحمة وعند المغفرة تستبشر
 كانك تطير من الفرح * وعند ذكر الغضب وشدة العقاب
 تتضاءل كانك تموت من الفزع * وعند ذكر الله واسمائه
 وعظمته تتطأطأ وتتصاغر حتى كانك تنمحق من مشاهدة
 الجلال وعند ذكر الكفار ما يستحيل عليه من ولد وصاحبة
 تنكسر وتغض صوتك كانك تنطمس من الحياء * وكذلك في
 كل صنف من الاصناف العشرة * وذلك ايضا يطول * وليظهر
 اثر ذلك على جوارحك من بكاء عند الحزن * وعرق جبين
 عند الحياء * واقشعرار الجلد وارتعاد الفرائص عند الهيبة
 والجلال * وانبساط في الاعضاء واللسان والصوت عند
 الاستبشار واتقباض فيها عند الاستشعار * فاذا فعلت ذلك
 اشترك في نيل حظ القرآن جميع أعضائك * وفاضت آثار

القرآن على عوالمك الثلاثة * أعني عالم الملكوت وعالم الجبروت
 وعالم الشهادة ﴿واعلم﴾ أنك مركب من العوالم الثلاثة ففيك
 من كل عالم جزء ﴿واعلم﴾ أن محض أنوار المعرفة تفيض من
 عالم الملكوت إلى سر القلب لأنه أيضا من الملكوت * وأما آثارها
 من الخشية والخوف والسرور والهيبة وسائر الأحوال فأنها
 تهبط من عالم الجبروت * ومهبطها الصدر الذي هو عالم
 الجبروت * وهو عالم آخر من عوالمك كنيينا عنه بالصدر كما
 كنيينا عن الأول بالقلب لأن عالم الجبروت بين عالم الملكوت
 وعالم الشهادة كما أن الصدر بين القلب والجوارح ﴿وأما البكاء﴾
 والشهيق والاقشعرار وارتعاد الفرائص فتزل من عالم
 الشهادة ومهبطها الجوارح لأنها من عالم الشهادة * وما أراك
 تفهم من القلب غير اللحم الصنوبري الشكل * ومن الصدر
 غير العظم المحيط به * فانك لا تدرك من كل شيء إلا غلافه
 وقشره * وما أبعدك عن درك الحقائق . فان هذا يوجد للبهائم
 والميت ولا تنزل عليه أنوار المعارف والمعلوم ولا آثارها من
 الخشية والهيبة والسرور * فان أردت أن تستنشق شيئا من

روائح هذه الاسرار وما أراك تريد فقد أخذ الشيطان
 بمخنةك بمجال الشهوات . فعليك باب التوحيد من أول كتاب
 التوكل ان أردته ﴿ واعلم ﴾ ان القرآن كالشمس * وفيضان
 أسرار المعارف منه على القلب كفيضان أنوار الشمس على
 الأرض * وسريان آثار الخوف والخشية والهيبة وسائر الأحوال
 منه على الصدر كسريان حرارة الشمس في باطن الأرض تابعا
 لاشراق الأنوار * فان الخشية أثر نور المعرفة * وانما يخشى الله
 من عباده العلماء * فانتشار الحركات والتغيرات الى الجوارح
 من البكاء والعرق والاقشعرار والارتعاد منبعث من آثار
 الخشية * وسائر الأحوال كحركة أجزاء الأرض بتصاعد
 الابخرة والادخنة منها بتصعيد حرارة الشمس فالحركة تبع
 الحرارة * والحرارة تبع النور * والنور تبع وقوع المحاذات
 بين الأرض والشمس * فاجتهد بان تحاذي بوجه قلبك شطر
 شمس القرآن وتستضيء بأنواره — كذلك فان لم تطق ذلك
 فاصنع الى النداء الوارد من جانب الطور الايمن * فان آنت
 من جوانبه نارا نخذ منه قبسا واشعل منه سراجا * فان كان

زيتك صافيا يكاد يضيء ولولم تمسسه نار * فاذا مسته النار انبعث
منه الضياء ووجدت على النار هدى * وقام في حقتك مقام
الشمس المنتشرة الاشراق والضياء *

﴿ الاصل السادس ﴾

ذكر الله عز وجل في كل حال * قال الله سبحانه ﴿ واذكروا
الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ وقال لنبيه صلى الله عليه وسلم
﴿ واذكر اسم ربك وتبتل اليه تبتيلا ﴾ وقال صلى الله عليه
وسلم لذكر الله بالغداة والعشي أفضل من حطم السيوف في
سبيل الله ومن اعطاء المال سخاء * وقال صلى الله عليه وسلم ألا
أشهدكم بخير أعمالكم واذكاها عند مليكم وارفعها في درجاتكم
وخير لكم من اعطاء الورق والذهب * وخير لكم من أن
تلقوا أعدائكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم * قالوا وما
ذاك يا رسول الله * فقال ذكر الله * وقال صلى الله عليه وسلم
﴿ سبق المفردون سبق المفردون ﴾ فقل ومن هم يا رسول الله
فقال المستهترون بذكر الله وضع ذكر الله عنهم او زارهم
فوردوا القيامة خفافا ﴿ واعلم ﴾ انه قد انكشف لارباب

البصائر ان الذكر أفضل الاعمال ولكن له أيضا قشور ثلاثة بعضها أقرب الى اللب من بعض * وله لب وراء القشور الثلاثة وانما فضل القشور لكونها طريقا اليه ﴿ فلقشر الاعلى منه ﴾ ذكر اللسان فقط ﴿ والثاني ﴾ القلب اذا كان القلب يحتاج الى موافقته حتى يحضر مع الذكر * ولو ترك وطبعه لاسترسل في أودية الافكار ﴿ والثالث ﴾ ان يستمكن الذكر من القلب ويستولى عليه بحيث يحتاج الى تكلف في صرفه عنه الى غيره كما احتيج في الثاني الى تكلف في قرار معه ودوامه عليه ﴿ والرابع وهو اللباب ﴾ ان يستمكن المذكور من القلب وينمحي الذكر ويخفي وهو اللباب المطلوب * وذلك بان لا يلتفت الى الذكر ولا الى القلب بل يستغرق المذكور جملة * ومهما ظهر له في اثناء ذلك التفات الى الذكر فذلك حجاب شاغل * وهذه الحالة التي يعبر عنها العارفون بالفناء * وذلك بان يفني عن نفسه حتى لا يحس بشيء من ظواهر جوارحه * ولا من الاشياء الخارجة عنه ولا من العوارض الباطنة فيه بل يغيب عن جميع ذلك

ويغيب عنه جميع ذلك ذاهبا الى ربه اولا * ثم ذاهبا فيه
آخراً * وان خطر له في اثناء ذلك انه فني عن نفسه بالسكينة
فذلك شوب وكدورة . بل الكمال في ان يفني عن نفسه
ويفني عن الفناء ايضا * فان الفناء عن الفناء غاية الفناء — وهذا
قد يظنه الفقيه الرسمي انه طامات غير معقولة * وليس
كذلك بل هذه الحالة لهم بالاضافة الى محبوبهم كحالتك
في اكثر الاحوال بالاضافة الى محبوبك من جاء او مال او
معشوق فانك قد تصير مستغرقا لشدة الغضب بالفكر في
عدوك ولشدة التفكير في معشوقك حتى لا يكون فيك
متسع لشيء أصلا * فتخاطب فلا تفهم . ويجتاز بين يديك
غيرك فلا تراه وعينك مفتوحتان . ويتكلم عندك فلا تسمع
وما باذنك صمم * وانت في هذا الاستغراق غافل عن كل
شيء وعن الاستغراق ايضا . فان الملتفت الى الاستغراق
معرض عن المستغرق به * وانما سموا هذه الحالة فناء وان
كان الشخص والظلال باقيا لان الاشخاص والاظلال بل
سائر المحسوسات ليس لها حقيقة الوجود بل الوجود الحقيقي

لعالم الامر والملكوت * والقلب من عالم الامر * قال الله تعالى
﴿ قل الروح من امر ربي ﴾ والقوالب من عالم الخلق واعنى
بالقلب اللطيفة الذاكرة العارفة التي هي مهبط الأنوار الالهية
دون القلب الظاهر * فان ذلك من عوالم الخلق فلا يفهم من
هنا اشارة الى قدم الروح وحدوث القلب بل هما جميعا
حادثان * وانما اعنى بالخلق ما تقع عليه المساحة والتقدير وهي
الاجسام وصفاتها * واعنى بعالم الامر مالا يتطرق اليه
التقدير * والعالم الجسماني ليس له وجود حقيقي بل هو من
ذلك العالم كالظل من الاجسام * وليس لظل الانسان
حقيقة الانسان . وليس للشخص حقيقة الوجود بل هو
ظل الحقيقة والكل من صنع الله تعالى * قال الله تعالى
﴿ ولله يسجد من في السموات والارض طوعا وكرها ﴾
وظلالهم بالغدو والاصال وسجود عالم الامر طوع لله * وسجود
الظلال كره * وتحتة سر بل اسرار تحرك اوائلها سلسلة
المجانين الحمقى فضلا عن اواخرها فلتتجاوزها * فقد افهمناك
ما ارادوه بالفناء * فدع عنك الغيبة والتكذيب بما لم تحط

بعلمه كما قال تعالى ﴿ بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ﴾ وقال تعالى
 ﴿ واذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم ﴾ فاذا فهمت
 الفناء في المذكور ﴿ فاعلم ﴾ انه اول الطريق * وهو الذهاب
 الى الله عز وجل * وانما الهدى بعده اعني بالهدى هدى
 الله كما قال الخليل صلوات الله عليه ﴿ اني ذاهب الى ربي
 سيهدين ﴾ فاول الامر ذهاب الى الله * ثم ذهاب في الله -
 وذلك هو الفناء والاستغراق به * ولكن هذا الاستغراق
 اولا يكون كبرق خاطف قل ما يثبت ويدوم * فان دام ذلك
 صارت عادة راسخة وهيئة ثابتة عرج به الى العالم الاعلى وطالع
 الوجود الحقيقي الاصفى * والطبع له نقش المالكوت وتجلي
 له قدس اللاهوت * واول ما يتمثل له من ذلك العالم جواهر
 الملائكة وارواح الانبياء والاولياء في صورة جميلة يفيض اليه
 بواسطتها بعض الحقائق - وذلك في البداية الى ان تملو
 درجته عن المثال . فيكافح بصرح الحق في كل شي * فاذا رد
 الى هذا العالم المجازي الذي هو كالظلال * نظر الى الخلق
 نظر مترحم عليهم لحرمانهم عن مطالعة جمال حظيرة القدس

وتعجب منهم في قناعتهم بالظلال وانخداعهم بعالم الغرور وعالم
الخيال فيكون معهم حاضرا بشخصه غائبا بقلبه متعجبا . هو
من حضورهم ويتعجبون هم من غيبته * فهذه ثمرة لباب
الذكر وانما مبدءها ذكر اللسان * ثم ذكر القلب تكلفا * ثم
ذكر القلب طبعاً * ثم استيلاء المذكور وانمحاء الذكر * وهذا
سر قوله صلى الله عليه وسلم ﴿ من احب ان يرتع في رياض
الجنة فليكثر ذكر الله عز وجل ﴾ بل سر قوله ﴿ يفضل الذكر
الخفي على الذكر الذي تسمعه الحفظة سبعمين ضعفا ﴾ ﴿ واعلم ﴾
ان كل ذكر يشعر به قلبك تسمعه الحفظة فان شعورهم
تقارن شعورك وفيه سر حتى اذا غاب ذكرك عن شعورك
بذهابك في المذكور بالكلية . فيغيب ذكرك عن شعور الحفظة
وما دام القلب يشعر بالذكر ويلتفت اليه فهو معرض عن
الله عز وجل * وغير منفك عن شرك خفي حتى تصير
مستغرقا بالواحد الحق * فذلك هو التوحيد — وكذلك
القول في المعرفة * فمن طالب المعرفة للمعرفة فقد قال بالثاني *
ومن وجدها كمثله ان لا يجدها بل يجد المعروف بها فهو

الذي استمكن من حقيقة الوصال * وحل بحبوحة حظيرة
القدس * فان قلت فلم اختصت هذه المكاشفات بحال الفناء
﴿ فاعلم ﴾ ان هذه قصة يطول فيها نظر الناظر — وذلك اذا
تأملت لم تقصر عن ان تدرك كون الحواس وعوارض النفس
وشهواتها جاذبة الى هذا العالم المحسوس * وهو عالم الزور
والغرور — ولذلك يكشف صريح الحق بالموت لبطالان
سلطان الحواس والخيالات المولية بوجه القلب الى عالم السفلى *
فان قصر عنك سلطان الحواس بالنوم طواعت بشيء من
الغيب على قدر استعدادك وقبولك وهمتك * ولكن بمثال
يحتاج الى التعبير * وما عندي انك لم تصادف من نفسك
رؤيا صادقة اطلعت بها على امر مستقبل * لكن الخيال لا يفتر
في النوم وان ركبت الحواس * فلذلك يضعف الاطلاع
ولا يخلو من شوب المثال * واما الفناء فعبارة عن حالة ترك
فيها الحواس ولا تشتغل * ويسكن فيها الخيال ولا يشوش *
فان بقيت في الخيال بقية مغلوقة لم يؤثر الا في محاكات
ما يتجلى من عالم القدس حتى يتمثل الانبياء والملائكة والارواح

المقدسة في قوالب الخيال * فهذه امور نهيت عليها لتكون
متشوقا الى ان تصير من اهل الذوق لها * فان لم تكن فمن
اهل العلم بها * فان لم تكن فمن اهل الايمان بها ﴿ ويرفع الله
الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ﴾ واياك
ان تكون من المنكرين لها فتلقى العذاب الشديد اذا
كوشفت بالحق عند سكرات الموت الذي كنت منه تحيد
وقيل لك لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك
غطائك فبصرك اليوم حديد ﴿ واعلم ﴾ ان الايمان والعلم والذوق
ثلاث درجات متباعدة * فان العنين مثلا يتصور ان يصدق
بوجود شهوة الواقع لغيره بان يقبل ذلك ممن يحسن ظنه به
ولا يتهمه بالكذب — وذلك ايمان ويتصور ان يعلم بالبرهان
وجوده لغيره * وهو علم * وما أخذه قياس ان ينظر الى
شهوته للطعام مثلا فيقيس بها شهوة الواقع * وكل ذلك بعيد
عن أدراك حقيقة الشهوة بوجودها له — وكذلك المرض
يعرفه العامي الصحيح ويؤمن به * ويعرفه الطبيب الصحيح
بالبرهان وهو علم * ومن لم يصبر مريضا لم يحصل له الذوق فكذلك

القول في الفناء في التوحيد ﴿ فالذوق ﴾ مشاهدة ﴿ والعلم ﴾ قياس
 ﴿ والایمان ﴾ قبول بحسن الظن مع الانفكاك عن التهمة * فاجتهد
 أن تصير من أهل المشاهدة * فليس الخبر كالماينة * فان قلت
 فقد عظمت أمر الذكر فهو أفضل ام قراءة القرآن ﴿ فاعلم ﴾ ان
 قراءة القرآن أفضل للخلق كلهم الا للذاهب الى الله عز وجل
 وهو أفضل للذاهب الى الله في جميع أحوال بدايته وفي بعض
 احواله في نهايته * فان القرآن هو المشتمل على صنوف المعارف
 والاحوال والارشاد الى الطريق * فادام العبد مفتقرا الى
 تهذيب الاخلاق وتحصيل المعارف * فالقرآن أولى به . فان
 جاوز ذلك واستولى الذكر على قلبه بحيث يرتجى له ان
 يفضى به ذلك الى الاستغراق * فمداومة الذكر أولى به
 فان القرآن يجاذب خاطره ويسرح به في رياض الجنة *
 والمريد الذاهب الى الله تعالى لا ينبغي أن يلتفت الى الجنة
 ورياضها * بل ينبغي أن يجعل همه هما واحدا وذكره ذكرا
 واحدا حتى يدرك درجة الفناء والاستغراق — فلذلك قال
 الله عز وجل (ولذكر الله أكبر) وكذلك من ينتهي الى

درجة الاستغراق ولا يدوم ولا يثبت عليه فاذا رد الى
 نفسه فقد ينفعه تلاوة القرآن * وهذه حالة نادرة عزيزة
 كالكبريت الأحمر يتحدث به ولا يوجد * فتكون تلاوة
 القرآن أفضل مطلقا لانه أفضل في كل حال الا في حال من
 شغله المتكلم عن الكلام * اذ لباب القرآن معرفة المتكلم بالقرآن
 ومعرفة جماله والاستغراق به * والقرآن سائق اليه وهاد
 نحوه ومن أشرف على المقصد لم يلتفت الى الطريق * فان قلت
 فاي الاذاكار أفضل ﴿ فاعلم ﴾ ان الأفضل كما ذكرناه استيلاء
 المذكور على القلب وهو شيء واحد لا كثرة فيه حتى يختار
 افضله * وذلك عين الجمع والتوحيد * وانما التفرقة والكثرة قبل
 ذلك فذلك ما دمت في مقام الذكر باللسان والقلب * وعند هذا
 قد ينقسم الذكر الى الافضل وغير الافضل * وفضله بحسب
 الصفات التي يعبر عنها بالاذكار * والصفات والاسماء الواردة
 في حق الله سبحانه تنقسم الى ما هو حقيقة في حق العباد
 ومأولة في حقه سبحانه كالصبور والشكور والرحيم والمنتقم
 والى ما هو حقيقة في حقه سبحانه * واذا استعمل في حق

غيره كان مجازاً * فمن أفضل الأذكار ﴿ لا اله الا الله الحي القيوم ﴾
فان فيه اسم الله الأعظم اذ قال صلى الله عليه وسلم اسم الله
الأعظم في آية الكرسي واول آل عمران * ولا يشتركان الا
في هذا * وله سرّ يدق عن فهمك ذكره والقدر الذي يمكن
الرمز اليه ان قولك (لا اله الا الله) يشعر بالتوحيد * ومعنى
الوحدانية في الذات والريّة حقيقى في حق الله عز وجل غير
مأول بل هو في حق غيره مجاز ومأول — وكذلك ﴿ الحي ﴾
فان معنى الحي هو الذى يشعر بذاته ويعلم ذاته * والميت هو الذى
لا خبر له من ذاته — وهذا أيضا حقيقى لله تعالى غير مأول
﴿ والقيوم ﴾ يشعر بكونه قائماً بذاته وان كل شىء قوامه به —
وهذا أيضا حقيقى لله عز وجل غير مأول ولا يوجد لغيره
وما عداها من الاسماء الدالة على الافعال كالرحيم والمقسط
والعدل وغيره فهو دون ما يدل على الصفات لان مصادر
الافعال هي الصفات والصفات أصل والافعال تبع * وما
عداها من الصفات التى تدل على القدرة والعلم والارادة
والكلام والسمع والبصر » فذلك مما يظن ان الثابت منها لله

عن وجل مفهوم من ظواهرها * وهيئات فان المفهوم من
ظواهرها امور تناسب صفات الانسان وكلامه وقدرته وعلمه
وسمعه وبصره * بل لها حقائق يستحيل ثبوتها للانسان
فيستخرج من هذه الاسامي بنوع من التأويل * فهذا
ينبئك على ما يحتمله فهمك من اختصاص هذه الكلمات
بكونها أعظم * ويقرب منه قولك ﴿سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر﴾ لان سبحان الله للتقديس وهو
حقيقي في حقه فان القدس الحقيقي لا يتصور الا له تعالى
وقولك ﴿الحمد لله﴾ يشعر باضافة النعم كلها اليه وهو حقيقي اذ
هو المتفرد بالافعال كلها تفردا حقيقيا بلا تأويل * وهو
تبارك وتعالى المستوجب الحمد وحده * اذ لا شركة لاحد
معه في فعله اصلا كما لا شركة للقلم مع الكاتب في استحقاق
المحمدة عند حسن الخط * ﴿واعلم﴾ ان كل من سواه
ممن ترى منه نعمة فهو تعالى مسخر له كالقلم فهذا مثال ينبئك
على تفرد باستحقاق الحمد * وقولك ﴿لا اله الا الله﴾ فقد
عرفت انه التوحيد الحقيقي * وقولك ﴿الله اكبر﴾ فليس

المعنى به انه أكبر من غيره اذ ليس معه سبحانه غيره حتى
 يقال أكبر منه * بل كل ما سواه فهو نور من أنوار قدوته *
 وليس لنور الشمس مع الشمس رتبة المعية حتى يقال انها
 أكبر منه بل رتبة التبعية بل معناه انه عز وجل * أكبر من
 أن ينال بالحواس أو يدرك بجلاله بالعقل والقياس * بل أكبر
 من أن يدرك كنهه بجلاله غيره * بل أكبر من أن يعرفه
 غيره * فانه لا يعرف الله تبارك وتعالى الا الله * فان انتهى
 معرفة عباده ان يعرفوا انه يستحيل منهم معرفته الحقيقية *
 ولا يعرف ذلك أيضا بكماله الا نبي او صديق ﴿ اما النبي ﴾ فيعبر
 عنه ويقول ﴿ لا أحصي ثناء عليك أنت كما اثنيت على نفسك ﴾
 وأما الصديق فيقول ﴿ العجز عن درك الادراك ادراك ﴾ فان
 تشوقت الى زيادة تحقيق في هذا المعنى واستنكرت قولي لا
 يعرف الله الا الله * فاطلب معرفة حقيقته بالبرهان من كتاب
 ﴿ المقصد الاقصى في معاني اسماء الله الحسنى ﴾ وكيفيك الآن
 هذا القدر من الرموز الى اسرار الذكر وفضل الاذكار منها *

﴿الأصل السابع في طلب الحلال﴾

قال الله سبحانه ﴿كلوا من الطيبات واعملوا صالحا﴾ والحرام
 خبيث وليس بطيب * فقد قرن عز وجل أكل الطيبات
 بالعبادات * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿طلب الحلال
 فريضة على كل مسلم بعد الفريضة﴾ أي بعد فريضة الايمان
 والصلوة * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿من أكل الحلال اربعين
 يوما نور الله قلبه واجرى ينايع الحكمة من قلبه على لسانه﴾
 وفي رواية اخرى زهده الله في الدنيا * وقال صلى الله عليه
 وسلم ﴿ان لله ملكا على بيت المقدس ينادي كل ليلة من أكل
 حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل﴾ فالصرف النافلة * والعدل
 الفريضة * وقال صلى الله عليه وسلم من اشترى ثوبا بعشرة
 دراهم وفي ثمنه درهم حرام لم يقبل الله صلاته مادام عليه منه
 شيء * وقال عبد الله ابن عمر رضي الله عنه لو صليتم حتى
 تكونوا كالحنايا وصمتتم حتى تكونوا كالآوتار لم يقبل الله
 ذلك منكم الا بورع حاجز * وقيل العبادة مع أكل الحرام
 كالبنيان على السرقين *

❦ فصل ❦

اعلم ان طيب المطعم له خاصية عظيمة في تصفية القلب وتنويره
وتأكيد استعداده لقبول أنوار المعرفة * وفيه سر لا يحتمل
هذا الكتاب ذكره * ولكن ينبغي ان تفهم ان درجات
الورع أربعة ﴿ الدرجة الاولى ﴾ هي التي يجب الفسق
بافتحامها * وتزول العدالة بزوالها * وهي التي يحرمها فتوى
الفقهاء ﴿ الثانية ﴾ ورع الصالحين وهو الحذر عما يتطرق
اليه احتمال التحريم * وان افق المفتي بحله بناء على الظاهر
وهو الذي قال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ دع ما
يريبك الى ما لا يريبك ﴾ ﴿ الثالثة ﴾ ورع المتقين قال النبي
صلى الله عليه وسلم ﴿ لا يبلغ العبد درجة المتقين حتى يترك ما
لا بأس به حذارا ومخافة مما به بأس ﴾ وقال عمر رضي الله عنه
كننا ندع تسعة أعشار الحلال مخافة الوقوع في الحرام * ومن
هذا الاصل كان بعضهم اذا استحق مائة درهم اقتصر على
تسعة وتسعين * ويترك الواحد حاجزا بينه وبين النار خوفاً
الزيادة * وكان بعضهم يأخذ ما يأخذ بنقصان حبة ويعطي

ما يعطى بزيادة حبة — ولذلك اخذ عمر بن عبد العزيز رحمة الله عليه أنفه حذرا من ريح المسك لبيت المال كان يوزن بين يديه * وقال هل ينتفع الا بريحه * ومن ذلك ان يتورع عن الزينة واكل الشهوات خيفة من ان تغلب النفس فتدعوه الى الشهوات المحظورة * ومن ذلك ترك النظر الى تجمل اهل الدنيا فانه يحرك دواعي الرغبة في الدنيا — ولذلك قال الله تعالى (ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به ازواجنا منهم زهرة الحياة الدنيا) ولذلك قال عيسى ابن مريم عليه السلام لا تنظروا الى أموال أهل الدنيا فان بريق أموالهم يذهب بحلاوة ايمانكم — ولذلك قال السلف من رق ثوبه رق دينه فالحلال الطيب كل حلال انفق عن مثل هذه المخافة ولم يوجد فيها (الرابعة) ورع الصديقين وهو الحذر عن كل مالا يراد بتناوله القوة على طاعة الله تعالى اذا كان قد يتطرق الى بعض اسبابها معصية . فمن ذلك ما حكى ان ذا النون المصري كان محبوسا جائعا * فبعثت اليه امرأة صالحة من طيب مالها طعاما على يد السجان * فلم يأكل منه واعتذر أنه جاءني على

طبق ظالم أى يد السجنان * ومن ذلك ان بشر الحافى كان لا
 يشرب الماء من الانهار التى حفرها السلاطين * وأطفا بعضهم
 سراجا اشعله غلامه من بيت ظالم * وشرب بعضهم دواء
 فاشارت اليه امرأته بالمشى والتردد * فقال هذه مشية لا أعرف
 لها وجها * وانا احاسب نفسي على جميع حركاتي — وهذه
 رتبة أقوام وفوا بقوله تعالى (قل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون)
 فعدوا كل مالم يكن لله تعالى حراما * وايس هذا من عشك وعش
 ناصحك * فادرج واجتهد ان تقيء بورع المدول الذى تفتى به
 الفقهاء * نعم ينبغى ان تضيف اليه شيئين (احدهما) ان تحذر
 عن مواقع غرورهم ولا تلتفت الى قولهم (من وهب فى آخر السنة
 ماله زوجته واستوهب منها ماله اسقطت الزكاة عنها) فانهم
 ان عنوا به ان السلطان لا يطالبهم بالزكاة لان مطمح نظره
 ظاهر الملك فهو صدق ودرجة الفقهاء وفتواهم ذكر ما يتلاق
 بالظواهر فيحكمون بالبراءة عن الزكاة اذا سقط طلب الساعي
 ويحكمون بصحة الصلوة اذا امتنع القتل على السلطان بجريان
 صورة الصلوة * اذ ليس بايديهم من القوانين الا القانون

الذى يستعمله السلطان في السياسة لينتظم امر المعيشة الدنيوية
التي هي منزل من منازل الطريق كما سبق ﴿ واما انت ﴾ اذا
كنت تنظر فيما ينفعك غدا عند جبار الجبارة وسلطان
السلطين فلا تلتفت الى هذا ﴿ واعلم ﴾ ان مقصود الزكاة
ازالة رذيلة البخل فانه مهلك كما قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم ﴿ ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع واعجاب
المرء بنفسه ﴾ وهبة مال الزكاة لاجل درء الزكاة تجعل الشح
مطاعا فانه يصير مطاعا باجابته الى ما يقتضيه * وقبل هذا لم
يكن مطاعا فكيف يكون ذلك منجيا * وكذلك من يسيء
معاشرة زوجته حتى تنفك له من المهر فلا يحل له المهر بينه
وبين الله عز وجل وان كان الفقيه يفتي بسقوط المهر وصحة
الابراء لان الله تعالى قال ﴿ فان طبن لكم عن شيء منه نفسا
فكلوه هنيئا مريئا ﴾ وليس هذا طيبة النفس بل طيبة
القلب * والفقيه لا يميز بين الأمرين لان شغفه بقطع
الخصومات الظاهرة لا غير ﴿ والحجامة ﴾ وشرب الدواء البشيع
لا تطيب به النفس بل يطيب به القلب - وكذلك كل ما ياباه

الطبع ويريده العقل لمصلحة البدن في العاقبة * وهذا باب
طويل * واصله ان لا تستحل مال غيرك الا برضاء مطلق
صاف * وينبغي ان لا تأكل من السؤال * فان سألت فاحذر
ان تسأل على المأأ فربما يعطى بالحياء - وذلك ليس مقرونا
بالرضاء * فان المستحي يؤثر الم ازالة الملك على الم الحياء * ولا
فرق بين ان تأخذ ماله بضرب ظاهره بالسوط * وبين ان
تأخذه بضرب باطنه بسوط الحياء * فالكل مصادرة واحذر
ايضا ان يعطيك بالدين * وذلك بان يعطيك لظنه انك ورع
تقي فتا كل بالدين * ويكون من شرط حله ان لا يكون في
باطنك مالوا طلع عليه المعطى لامتنع من الاعطاء * فلا فرق
بين من يأخذ بالتصوف والتقوى * وليس هو متصفا به باطنا
وبين من يزعم انه علوي اعطى وهو كاذب * وكل ذلك حرام
عند ذوي البصائر وان افتى الفقيه بالحل بناء على الظاهر في الفن
الثاني ان تراجع قلبك وان افتوك فان الاثم حراز القلوب
فالذي يضرك ما حاك في قلبك - ولذلك قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم استفت قلبك وان افتوك وافتوك * وهذا السر

طويل ذكره * واكن اعلم على الجملة ان المحذور من الحرام
 اظلام القلب والمطلوب من الحلال تنويره — وذلك يتشعب
 من اعتقادك لا من نفس المعتقد * فمن وطىء امرأة على ظن
 انها اجنبية * فاذا هي منكوحته حصل اظلام القلب * ولو
 وطىء اجنبية على ظن انها زوجته لم يحصل — وكذلك في
 النجاسات والطهارات المؤثرة في تنوير القلب وهمك واعتقادك
 فما أمرت بان تصلي وثوبك طاهر بل ان تصلي وانت تعتقد
 انه طاهر فاستشعار الطهارة مؤثر في اشراق القلب وان
 لم يكن على وفق الحال — ولذلك نقول ان من صلى ثم تذكر
 انه كان معه نجاسة فليس عليه الاعداء على الاصح لانه صلى
 الله عليه وسلم خلع نعليه في اثناء صلاته لما اخبره جبريل عليه
 السلام بان عليهما قدرا واستمر فيها * ولذلك يشدد الامر
 على الموسوس فانه ما لم يطمئن قلبه باعتقاده الطهارة فيجب
 عليه الاستقصاء والمعاودة * وأرائك قوم شددوا على انفسهم
 فشدد الله عليهم * فهاكوا باستقصائهم كما قال عليه السلام ﴿ هلك
 المنتطمعون ﴾ — فكذلك في الحلال انت متعبد بما يطمئن اليه

قلبك لا بما يفتي به المفتي فاستفت قلبك *

❦ فصل ❦

اياك ان تشدد على نفسك فتقول اموال الدنيا كلها
 حرام * وقد اخبثتها الأيدي العادية * والمعاملات الفاسدة
 فاقنع بالحشيش مترهباً او تتناول من الجميع متوسعاً * لا افصل
 فيه بين حلال وحرام بل اعلم قطعاً ان الحلال بين والحرام
 بين * وبينهما امور متشابهات - كذلك كان في عصر رسول
 الله صلى الله عليه وسلم - وكذلك يكون ابد الدهر * فاستمد من
 السر الذي ذكرناه فانك غير متعبد بما هو في نفسه حلال
 بل بما هو في اعتقادك حلال لا تعرف سبباً ظاهراً في تحريمه
 فقد توضحاً رسول الله صلى الله عليه وسلم من مزادة مشرك
 وتوضاً عمر رضي الله عنه من جرة نصرانية * ولو عطشوا
 لشربوا منه * وشرب الماء النجس حرام ولكن استصحبوا
 يقين الطهارة ولم يتركوها لتوهم النجاسة ﴿ وكذلك ﴾ كل
 مال صادفته في يد رجل مجهول عندك حاله * فلك ان تشتري
 منه وتأكل من ضيافته * تحسبنا للظن بالمسلم * فان الاصل

ان ما في يده فهو حلال * وما تصادفه في يد رجل عرفته
 بالصالح فهو اولى بان تعتقده حلالا ﴿ نعم ﴾ يجب الحذر مما
 تصادفه في يد سلطان ظالم او رجل عرفته بالربا او بيع الخمر
 فيجب الحذر منه حتى تسئل وتستقصي وتعرف انه من اين
 حصل له * فان ظهر لك جهة حصوله وانه حلال فلك اخذه
 والا فلا * فالاعتماد على العلامة الظاهرة وهي قرينة حاله * وهذا
 اذا كان اكثر امواله كذلك * فان كان اكثرها حلالا فلك ان
 تأكل منه وان تركته فذلك ورع * فقد كتب بعض وكلاء
 ابن المبارك من البصرة اليه * يسئله عن معاملة رجل يعامل
 السلطان * فقال ان كان لا يعامل غير السلطان فلا تعامله * وان
 كان يعامل غيره ايضا فعامله * وبالجملة الناس في حقاك ستة
 اقسام ﴿ احدها ﴾ ان يكون مجهولا فكل من ماله والحذر
 ليس بواجب بل هو محض الورع ﴿ الثاني ﴾ ان تعرفه بالصالح
 فكل منه ولا تتورع * فالورع فيه وسوسة * فان ادى الى
 الاذى والايحاش فهو معصية وحرام لما فيه من الايذاء * ولما
 فيه من سوء الظن بالرجل الصالح ﴿ الثالث ﴾ ان تعرفه بالظلم

والربا حتى علمت ان كل ماله او اكثره حرام كالسلاطين
الظلمة وغيرهم فإلهم حرام ﴿الرابع﴾ ان تعرف ان اكثر
امواله حلال ولكن لا يخلو عن حرام كرجل له تجارة
وميراث وهو مع هذا في عمل السلطان فلك الاخذ بالاغلب
لكن الترك من الورع المهم ﴿الخامس﴾ ان يكون مجهولا
عندك لكن ترى عليه علامة الظلم كالقباة والقلنسوة وهيئة
الظلمة * فهذه علامة ظاهرة توجب الحذر فلا تأكل
من ماله الا بعد التفطيش ﴿السادس﴾ ان ترى عليه
علامة الفسق لا علامة الظلم كطول الشارب وانقسام شعر
الرأس قزعا او رأيته يشتم غيره او ينظر الى امرأة * فان
علمت له مالا موروثا او تجارة لم يحرم ماله بذلك * وان كان
امره مجهولا عندك فهذا فيه خطر لان علامة الفسق أضعف
دلالة من علامة الظلم ولكن الا ظهر عندي انه لا يحرم ماله
لان ظاهر اليد والاسلام يدل على الملك دلالة اظهر من
دلالة هذه العلامات على التحريم * وليست هذه الدلالة
اقوى من دلالة النصرانية والمجوسية على نجاسة الماء * ولم

يلتفت اليهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا عمر رضي الله
 عنه * اما علامة الظلم فتضاهي ما اذا رأينا ظبية تبول في ماء
 ثم وجدنا الماء متغيرا فامكن ان يكون من طول المكث
 وامكن ان يكون من البول فانه يجب اجتنابه احالة على
 السبب الظاهر * ثم وراء ذلك كله عليه ان يستفتي قلبه * فاذا
 وجد في قلبه حزازة فليجتنبه * فالأثم حزازة القلوب
 وحكاكات الصدور * ولكن ههنا دقيقة يغفل عنها اهل
 الورع * وهي انه حيث يكون الترك من الورع او من
 حزازة في النفس فلا يجوز الترك والسؤال بحيث يؤدي
 فالمجهول اذا قدم اليك طعاما فان سألته انه من اين استوحش
 وتأذى * والايذاء حرام * وسوء الظن حرام * وان سألته
 عن غيره بحيث يدري زاد الايذاء * وان سألت بحيث
 لا يدري فقد تجسست وأسأت الظن * وبعض الظن اثم
 وتساهلت بالغيبة والتهمة وكل ذلك حرام * وترك الورع
 ليس بمحرام * فليس لك الا التلطف بالترك فان لم يكن الا
 بايذاء * فعليك ان تأكل فان ظبية قلب المسلم وصيانه عن الايذاء

اهم من الورع * فايك أن تكون من القراء المغرورين الذين لا
 يدركون دقائق الورع ﴿ واعلم ﴾ ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم أكل من صدقة بريرة ولم يسئل عن المتصدق * وكان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يحمل اليه الهدايا فيقبل ولا
 يسئل * نعم سئل في اول قدومه الى المدينة عما حمل اليه هل
 هو صدقة او هدية لان ذلك ليس فيه ايداء ولان قرينة الحال
 كانت تقتضى الامكان في الصدقة والهدية على وتيرة واحدة
 وكان صلى الله عليه وسلم يدعى الى الضيافات فيجيب ولا
 يسئل ولم ينقل السؤال الا نادرا في محل الريبة * فان قلت فان
 وقع طعام حرام في سوق فهل يشتري من ذلك السوق
 ﴿ فاقول ﴾ ان تحققت ان الحرام هو الاكثر فلا تشتري الا
 بعد التفتيش * وان علمت ان الحرام كثير وليس بالاكثر
 فلك الشراء * والتفتيش من الورع * ولقد كان رسول الله صلى
 الله عليه وسلم واصحابه رضوان الله تعالى عليهم اجمعين يشترون
 في اسفارهم من الاسواق مع علمهم بان فيهم اهل الربا والغصب
 واهل الغلول في الغنيمة * وكانوا لا يتركون المعاملة معهم * وهذا

الباب يستدعي شر حا طويلا * فان رغب في فطام كتاب الحلال
والحرام من كتب الاحياء لتشهد عند مطالعته بانه لم يصنف
في فنه مثله في التحقيق والتحصيل والاحاطة بجميع التفاصيل
﴿ الاصل الثامن في القيام بحقوق المسلمين ﴾

وحسن الصحبة معهم وهو ركن من أركان الدين اذ الدين
معناه السفر الى الله تعالى * ومن أركان السفر حسن الصحبة
في منازل السفر مع المسافرين والخلق كلهم سفر يسير بهم
العمر سير السفينة بركابها ﴿ واعلم ﴾ ان الانسان في الدنيا اما
أن يكون وحده أو يكون مع خواصه من اهل وولد وقريب
وجار أو يكون مع عموم الخلق * فهذه ثلاثة أحوال وعليه
حسن الصحبة واداء الحقوق في جميع هذه الاحوال ﴿ الحالة
الاولى ﴾ ان يكون وحده وليعلم انه بنفسه عالم وان
باطنه يشتمل على اصناف من الخلق مختلفي الطباع والاخلاق
فان لم يحسن صحبتهم ولم يقيم بحقوقهم هلك * واصناف جنود
الباطن كثيرة ﴿ وما يعلم جنود ربك الا هو ﴾ وقد استقصينا
بعض ذلك في كتاب عجائب القلب * ونذكر الآن أمراء الجنود

ورؤسها * فنقول فيك شهوة تجذب بها الى نفسك النافع وغضب
تدفع به عن نفسك الضار * وعقل تدبر به الامور وترعى به
الرعية * فانت باعتبار غضبك كلب وباعتبار شهوتك بهيمة
كالفرس مثلاً * وباعتبار عقلك ملك وانت مأمور بالعدل بينهم
والقيام بحقوقهم والاستعانة بهم لتقتنص بمعونتهم سعادة
الابد * فان رضت الفرس ^(١) وادبت الكلب وسخرتهما للملك
تيسر لك الظفر بما طلبت * وان سخرت العقل في استنباط
الحيل لتحصيل ما يتقاضاه الكلب بغضبه ^(٢) ولحاجه * والفرس
بحرصه وجشعه اوفيت على العطب ^(٣) فضلاً عن ادراك
مقصود الطاب فصرت منكوساً معكوساً فاجراً ظالماً لان
الظلم وضع الشيء في غير موضعه * ولو رأيت شخصاً جعل
في طاعته ملك وكنب وخنزير فلم ينزل يضطر الملك الى ان
يسجد للخنزير والكلب * فهل تراه ظالماً مستوجباً لعنة * ولو
كوشفت بحالك عند منامك او عند فنائك عن نفسك كما

(١) من الرياضة يقال راض المهر اذا ذلله (٢) وفي نسخة بعضه

(٣) عطب عطباً من باب تعب أى هلك

وصفناه في الاستغراق بالله لرأيت كل من اطاع شهوته
وغضبه ساجدا للكلب وخنزير اذ لم يكن الكلب كلبا لصورته
بل لمعناه* وكذلك ترى نفسك بعد الموت لان المعاني في عالم
الآخرة تستتبع الصور ولا تتبعها فيتمثل كل شيء بصورة
توازي معناه فيحشر المتكبرون في صغر الذر يطوهم من اقبل
وادبر* والمتواضعون اعزاء (واما هذا العالم) فعالم التلبيس فقد
يودع معنى الخنزير والكلب في صورة الانسان فلا تغتر به
فان ذلك ينكشف يوم تبلى السرائر* فعليك ان تحسن صحبة
رفقائك الثلاثة فتكسر شره الشهوة بسطوة الغضب وتقل
من غلواء الغضب بخداع الشهوة* وتسلط احدهما على الآخر
فان ذلك يبلغ جدا في تقويةهما حتى ينقادا للعقل والشرع
فيستعملهما العقل بحيث يتفجع بهما كما يستعمل الصايد الفرس
والكلب عند الحاجة ويسكنهما عند الاستغناء* وشرح هذه
الرياضة والصيد طويل ذكرناه في كتاب رياضة النفس*

﴿ الحالة الثانية ﴾

صحبتك مع عموم الخلق فأقل درجات حسن الصحبة كف

الاذى عنهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿المسلم من
 سلم المسلمون من لسانه ويده﴾ وفوق ذلك ان تنفعهم وتحسن
 اليهم قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿الخلق كلهم عيال الله واحبهم
 الى الله انفعهم لعياله﴾ وفوق ذلك ان تحتمل الاذى منهم
 وتحسن مع ذلك اليهم * وذلك درجة الصديقين قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لعلي رضي الله عنه ﴿ان اردت ان تسبق
 الصديقين فصل من قطعك واعط من حرمك واعف عن
 ظلمك﴾ هذه جملة الامر وتفصيل هذه الحقوق كثيرة
 وتقتصر من جملتها على عشرين وظيفة ﴿فمنها﴾ ان لا تحب
 للناس الا ما تحب لنفسك قال عليه السلام من سره ان
 يرحل عن النار فليأته منيته وهو يشهد ﴿ان لا اله الا الله وان
 محمدا رسول الله﴾ وليأت الى الناس ما يحب ان يؤتي اليه ﴿ومنها﴾
 ان يتواضع لكل احد ولا يفتخر عليه فان الله لا يحب كل
 مختال فخور * وان تكبر عليه غيره فليحتمل قال الله تعالى * خذ
 العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ﴿ومنها﴾ ان
 يوقر المشايخ ويرحم الصبيان قال عليه السلام ليس منا من

لم يرحم صغيرنا ولم يوقر كبيرنا* وقال عليه السلام من اجلال الله
 تعالى اكرام ذي الشيبة المسلم* وقال صلى الله عليه وسلم ما وقر
 شاب شيخا لسنه الا قيقض الله له في شيبته من يوقره وهذا
 يبشره بطول الحياة مع الاجر* (ومنها) ان تكون مع كافة الخلق
 مستبشر اطلق الوجه وقال صلى الله عليه وسلم اتدرون على
 من حرمت النار قال الله ورسوله اعلم قال (على الهين اللين
 السهل القريب) وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يحب السهل
 الطلق* (ومنها) اصلاح ذات البين بين المسلمين ولو بالمبالغة
 والزيادة في الكلام قال صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من
 اصالح بين الاثنين* فقال خيرا او نى خيرا* وقال صلى الله عليه
 وسلم الا اخبركم بافضل من درجات القيام والصلاة والصدقة
 قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين* وفساد ذات البين هي
 الخالقة* (ومنها) ان لا تسمع بلاغات الناس بعضهم على بعض ولا
 يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض قال صلى الله عليه وسلم (لا يدخل
 الجنة قتات) وقيل من نم اليك نم عليك* (ومنها) ان لا تزيد
 في الهجرة عند الوحشة على ثلاثة ايام قال صلى الله عليه وسلم

لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلاث * وقال صلى الله عليه
 وسلم من اقال مسلما عشرته اقاله الله تعالى عشرته يوم القيامة
 ﴿ومنها﴾ ان تحسن الى كل احد كان اهلا لذلك او لم يكن *
 قال صلى الله عليه وسلم اصنع المعروف الى من هو اهله والى
 من ليس اهله فان لم يصب اهله فانت من اهله ﴿ومنها﴾
 ان تخالق كل صنف باخلاقهم ولا تلتمس من الجاهل والغبي
 ما تلتمس من الورع العالم * قال داود عليه السلام الهي كيف لي
 ان يحبني الناس واسلم فيما بيني وبينك فاوحى الله سبحانه
 اليه ﴿خالق اهل الدنيا باخلاق الدنيا وخالق اهل الآخرة
 باخلاق الآخرة﴾ ﴿ومنها﴾ ان تنزل الناس منازلهم فتزيد في
 اكرام ذي المنزلة وان كانت منزلته في الدنيا فان رسول الله
 صلى الله عليه وسلم بسط رداءه لبعضهم * وقال اذا جاءكم كريم
 قوم فاكرموه ﴿ومنها﴾ ان تستر عورات المسلمين * قال
 صلى الله عليه وسلم لا يرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها
 عليه الا دخل الجنة * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿يامعشر من
 آمن بلسانه ولم يدخل الايمان في قلبه لا تغتابوا المسلمين

ولا تتبعوا عوراتهم ﴿١﴾ * فان من يتبع عورة اخيه المسلم يتبع الله
 عورته ومن يتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته
 ﴿٢﴾ ومنها ﴿٣﴾ ان تتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء
 الظن والسنتهم عن الغيبة * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ﴿٤﴾ اتقوا مواضع التهم ﴿٥﴾ وكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم
 احدي نسائه فمر به رجل * فسلم عليه فلما مر دعاه * فقال يا فلان
 هذه زوجتي صفية فقال يا رسول الله من كنت اظن فيه فاني
 لا اظن فيك * فقال ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى
 الدم ﴿٦﴾ ومنها ﴿٧﴾ ان تسمى في قضاء حوائج المسلمين ولو بشفاعة
 قال صلى الله عليه وسلم * اشفعوا اليّ تؤجروا فاني اريد
 الأمر فأؤخره كي تشفعوا الي فتؤجروا * وقال صلى الله
 عليه وسلم ﴿٨﴾ من مشى في حاجة اخيه ساعة من ليل او نهار
 فضاها او لم يقضها كان خيرا له مع اعتكاف شهرين ﴿٩﴾ وقال
 صلى الله عليه وسلم ﴿١٠﴾ قيامك مع اخيك ساعة خير من اعتكافك
 سنة ﴿١١﴾ ومنها ﴿١٢﴾ ان تبادر بالسلام على كل مسلم وتصافحه
 ليكون لك فضل البداية * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

اذا التقى المسلمان فتصافحا قسمت بينهما سبعون رحمة تسع
 وستون لا احسنهما برا ﴿ومنها﴾ ان ينصر اخاه في غيبته فيرد
 عن عرضه وماله * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مامن
 احد ينصر مسلما في موضع يهتك فيه من عرضه وتستحل
 حرمة الا نصره الله في موطن يحب فيه نصرته * وما من
 احد يخذل مسلما في موضع تهتك فيه حرمة الا خذله الله
 في موضع يحب فيه نصرته ﴿ومنها﴾ ان تداري اهل الشر
 لتسلم منهم * قالت عائشة رضي الله عنها استأذن رجل على
 رسول الله صلى الله عليه وسلم * فقال اذنوا له فبئس رجل
 العشيرة * فلما دخل الآن له القول حتى ظننت ان له عنده
 منزلة * فلما خرج راجعته في ذلك فقال يا عائشة ان شر الناس
 منزلة عند الله يوم القيامة من يكرمهم الناس اتقاء فحشه * وقال
 صلى الله عليه وسلم ﴿ما وقي المرء به عرضه فهو له صدقة﴾
 وقال صلى الله عليه وسلم * خالطوا الناس باعمالهم وزايلوهم
 بالقلوب ﴿ومنها﴾ ان تحذر مجالسة الاغنياء وتكثر مجالسة
 المساكين * قال صلى الله عليه وسلم ﴿اياكم ومجالسة الموتى﴾

قيل ومن هم قال الاغنياء * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ اللهم
 احيني مسكينا وامتنى مسكينا واحشرنى في زمرة المساكين ﴾
 وكان سليمان عليه السلام اذ رأى في المسجد مسكينا جالس اليه
 وقال مسكين جالس مسكينا * وقال موسى عليه السلام ﴿ الهى
 اين اطلبك قال عند المنكسرة قلوبهم من اجلى ﴾ ﴿ ومنها ﴾
 ان لا يجالس الا من يفيد فى الدين فائدة او من يستفيد
 منه * فاما اهل الغفلة فيتحذر منهم * قال صلى الله عليه وسلم
 الوحدة خير من المجلس السوء * والمجلس الصالح خير من
 الوحدة * فاذا اكثر من مجالسة اهل الغفلة فينتقص من دينه
 بكل جلسة شئ فليقدر ان كل واحد منهم لو كان يأخذ منه
 فى كل جلسة سلكا من ثوبه او شعرة من شعر لحيته اما كان
 يحذره خيفة ان يصير على القرب امر داعاريا * فالحذر لاجل
 الدين اولى ﴿ ومنها ﴾ ان يعود مرضاهم * ويشيع جنازتهم
 ويزور قبورهم * ويدعوا لهم فى الغيبة * ويشمت العاطس
 وينصف الناس من نفسه * وينصح اذا استنصح الى غير ذلك
 من حقوق كثرت فيها الاخبار آثرنا فيها الاختصار * وجملتها

ان تعمل في حقهم ما تحب ان يعمل في حقك من احسان
واهتمام وكف اذى *

﴿ الحالة الثالثة ﴾

الصحبة مع من يدلي سوى عموم الاسلام بخاصية كجوار او
قراة او ملك قال صلى الله عليه وسلم ﴿ اذارميت كلب جارك
فقد اذيتة ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ اول خصمين يوم
القيامة جاران ﴾ وقيل له صلى الله عليه وسلم ان فلانة تصوم
النهار وتصلّي الليل وتؤذي الجيران فقال ﴿ هي في النار ﴾
وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ اتدرون ما حق الجار ان استعان
اعنته * وان استقرضك اقرضته * وان افتقر جدت عليه
وان مرض عده * وان مات اتبعت جنازته * وان اصابه
خير هنأته * وان اصابته مصيبة عزيتة * ولا تستطيل
عليه بالبناء فتحجب عنه الريح الا باذنه * واذا اشترت
فاكهة فاهد له وان لم تفعل فادخلها سرا ولا يخرج بها ولدك
ليغيظ بها ولده * ولا تؤذ به بقطار قدرك الا أن تعرف له منها
اتدرون ما حق الجار والذي نفسي بيده لا يباغ حق الجار الا

من رحمه الله (﴿ واما القرابة ﴾) فقد قال صلى الله عليه وسلم قال
 الله تبارك وتعالى ﴿ انا الرحمن ﴾ وهذه الرحم شقت لها
 اسما من اسمي . فمن وصلها وصلته . ومن قطعها قطعته * وقال
 صلى الله عليه وسلم ﴿ صلة الرحم تزيد في العمر ﴾ وقال صلى الله
 عليه وسلم توجد رائحة الجنة على مسيرة خمس مائة عام ولا
 يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم * وقال صلى الله عليه وسلم برّ
 الوالدين أفضل من الصلاة والصيام والحج والعمرة والجهاد
 في سبيل الله عز وجل * وقال صلى الله عليه وسلم بر الوالدة
 على الولد ضعفان * وقال صلى الله عليه وسلم ساووا بين
 اولادكم بالعطية ﴿ واما المملوك ﴾ فقد قال فيهم صلى الله عليه وسلم
 اتقوا الله فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تأكلون واكسوهم
 مما تلبسون ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون * فان الله
 ملككم اياهم ولو شاء لملككم اياكم * وقال صلى الله عليه وسلم
 اذا كنفي احدكم مملوكه طعاما فكفاه حره وعلاجه وقرّبه
 اليه فليجلسه فليأكل معه او لياخذ لقمة فليروغها وليضعها
 في يده وليقل كل هذه * وسئل صلى الله عليه وسلم كم نعفو

عن المملوك في اليوم والليلة * قال سبعين مرة * فجعله حق
 الملوك ان يشرّكه في طعمته وكسوته * ولا يكلفه فوق طاقته
 ويعفو عن زلته ولا ينظر اليه بعين الكبر والازدراء * ويعلمه
 مهمات دينه ﴿ وأما حقوق المنكوحة ﴾ فتزيد على هذا اذ يجب
 لها مع القيام بواجباتها حسن العشرة والمطايبة * قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ﴿ خيركم خيركم لاهله * وأنا خيركم
 لأهلي ﴾ وكان صلى الله عليه وسلم من أفكك الناس مع نسائه
 والأخبار في ذلك أكثر من أن تحصى *

❦ فصل ❦

من أصول الدين في أمر الصحبة اتخاذا الإخوان في الله
 عز وجل قال الله تعالى لبعض أنبيائه ﴿ أما زهدك ﴾ في الدنيا
 فقد استعجلت الراحة ﴿ وأما انقطاعك الى ﴾ فقد تعزّزت بي
 فهل واليت فيّ وليا * وهل عاديت فيّ عدوا * وقال صلى
 الله عليه وسلم يقول الله يوم القيامة ﴿ أين المتحابون لجلالي اليوم
 اظلمهم في ظلي يوم لا ظل الا ظلي ﴾ واوحى الله سبحانه الى عيسى
 عليه السلام ﴿ لو انك عبدتني بعبادة اهل السموات والارض

وحب في الله ليس وبنقض في الله ليس ما اغنى عنك ذلك شيئاً
 وقال صلى الله عليه وسلم ان حول العرش منابر من نور
 عليها قوم لباسهم نور ووجوههم نور وليسوا بانبياء ولا شهداء
 يغطهم النبيون والشهداء * فقالوا يا رسول الله حلهم لنا من هم
 فقال المتحابون في الله * والمتجالسون في الله * والمتزاورون
 في الله عز وجل ﴿واعلم﴾ ان كل حب لا يتصور دون الايمان
 بالله واليوم الآخر فهو حب في الله * ولكنه على درجتين
 ﴿احدهما﴾ ان تحبه لتنال منه في الدنيا نصيباً يوصلك الى
 الآخرة كحبك استاذك وشيخك * بل تلميذك الذي ينمو
 علمك بتعليمه * بل خادمك الذي يفرغ قلبك عن كدس
 يديك وغسل ثوبك لتتفرغ بسببه لطاعة الله تعالى بل المنفق
 عليك من ماله اذا كان غرضك من ذلك افراغ القلب لعبادة
 الله تبارك وتعالى * ﴿الثانية﴾ وهي أعلى أن تحبه لانه محبوب
 عند الله عز وجل ويحب الله وان لم يتعلق غرض به لك
 في الدنيا والآخرة من علم او معونة على دين او غيره * وهذا
 أكمل لان الحب اذا غلب تعدى الى كل من هو من

المحبوب بسبب حتى يحب الانسان محب محبوبه ومحبوب محبوبه * بل يميز بين الكلب الذي هو في سكة محبوبه وبين سائر الكلاب * وانما سراية الحب بقدر غلبة الحب * ومن احب لقاء الله لم يمكنه ان لا يحب عباده الصالحين المرضيين عنهم الا ان ذلك قد يقوى حتى يحمل على ان يسلك بهم مسلك نفسه بل يؤثرهم على نفسه * وقد يقصر عن ذلك وفضلهم عنده ينقسم بقدر درجته وقوته * وكذلك يبغض لا محالة من يعصيه ويخالف أمره ويظهر أثر ذلك في مجانبته ومهاجرته له وتقطيعه الوجه عند مشاهدته * ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اللهم لا تجعل لفاجر عليّ يداً فيحبه قلبي حذراً من ان يقدح ذلك في البغض في الله * وبالجملة من لا يصادف من نفسه الحب في الله والبغض في الله بهذه الاسباب فهو ضعيف الايمان * وهذا له تفصيل وتحقيق * فاطلبه من كتاب الصحبة والاخوة في الله تعالى *

— الأصل التاسع —

في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر * قال الله تعالى ﴿ ولتكن

منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر
وأولئك هم المفلحون ﴿ الآية وقال تعالى ﴿ والمؤمنون والمؤمنات
اولياء بعض ﴾ الآية وقال تعالى ﴿ كانوا لا يتناهون عن منكر
فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون ﴾ وقال أبو بكر الصديق رضي
الله عنه في خطبته * أيها الناس انكم تقرأون هذه الآية
وتأولونها على خلاف تأويلها ﴿ يا أيها الذين آمنوا عليكم
أنفسكم لا يضركم من ضل إذا هتديتم ﴾ واني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم
من يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا أوشك ان يعمهم الله
بعذاب من عنده * وقالت عائشة رضي الله عنها قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم عذب اهل قرية فيها ثمانية عشر ألفاً
اعمالهم اعمال الانبياء * قالوا يا رسول الله كيف ذلك * قال لم
يكونوا يغضبون لله عز وجل * ولا يأمرون بالمعروف
ولا ينهون عن المنكر *

❦ فصل ❦

كل من شاهد منكراً ولم ينكره وسكت عنه فهو شريك

فيه فالمستمع شريك المغتات * ويجرى هذا في جميع المعاصي
حتى في مجالسة من يلبس الديباج ويتختم بالذهب ويجلس على
الحرير * والجلوس في دار او في حمام على حيطانها صور او فيها
أواني من ذهب او فضة او الجلوس في مسجد يسيء الناس الصلوة
فيه فلا يتمون الركوع والسجود والجلوس في مجلس وعظ
يجرى فيه ذكر البدعة او في مجلس مناظرة أو مجادلة يجري
فيها الايذاء والايحاش بالسفه والشتم * وبالجملة من خالط
الناس كثرت معاصيه وان كان تقياً في نفسه الا ان يترك
المداهنة ولا تأخذه في الله لومة لائم * ويشغل بالحسبة والمنع
وانما يسقط عنه الوجوب بأمرين ﴿ احدهما ﴾ ان يعلم انه ان
انكر لم يلتفت اليه ولم يترك المنكر ونظر اليه بعين الاستهزاء
وهذا هو الغالب في منكرات تركها الفقهاء ومن يزعم
انه من أهل الدين * فهنا يجوز السكوت ولكن يستحب
الزجر باللسان اظهارا لشعار الدين مهما لم يقدر على غير الزجر
باللسان * ويجب ان يفارق ذلك الموضع فليس يجوز مشاهدة
المعصية بالاختيار * فمن جلس في مجلس الشرب فهو فاسق

وان لم يشرب * ومن جالس مغتابا او لابس حرير او آكل
ربا او حرام فهو فاسق فليقم من موضعه ﴿ والثاني ﴾ ان
يعلم انه يقدر على المنع من المنكر بان يرى زجاجة فيها خمر
فيرميها فتكسر * أو يسلب آلة الملاهي من يده ويضربها على
الارض ولكن يعلم انه يضرب أو يصاب بمكروه * فهنا
يستحب الحسبة لقوله تعالى ﴿ وانه عن المنكر واصبر على
ما اصابك ﴾ ولا يجب الا ان يكون المكروه الذي يصيبه
له درجات كثيرة يطول النظر فيها ذكرناها في كتاب الأمر
بالمعروف من الاحياء * وعلى الجملة فلا يسقط الوجوب
الا بمكروه في بدنه بالضرب او في ماله بالاستهلاك او
في جاهه بالاستخفاف به بوجه يقدح في مروته * فاما الخوف
استيحاش المنكر عليه وخوف تعرضه له باللسان وعداوته
له او توهم سعيه له في المستقبل بما يسوءه او يحول بينه وبين
زيادة خير يتوقعها * فكل ذلك موهومات وامور ضعيفة
لا يسقط الوجوب بها *

❦ فصل ❦

عمدة الحسبة شيثان ﴿ احدهما ﴾ الرفق والالطف والبداية
 بالوعظ على سبيل اللين لا على سبيل العنف والترفع والاذلال
 بدالة الصلاح فان ذلك يؤكده داعية المعصية ويحمل العاصي
 على المناكرة وعلى الايذاء * ثم اذا اذاه ولم يكن حسن الخلق
 غضب لنفسه وترك الانكار لله تعالى * واشتغل بشفاء غليله
 منه فيصير عاصيا بل ينبغى أن يكون كارها للحسبة يود لو
 ترك المعصية بقول غيره فانه اذا أحب أن يكون هو
 المتعرض كان ذلك لما في نفسه من دالة الاحتساب وعزته *
 وقال عليه السلام ﴿ لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر
 الا رفيق فيما يأمر به رفيق فيما ينهى عنه حلیم فيما يأمر به
 حلیم فيما ينهى عنه فقيه فيما يأمر به فقيه فيما ينهى عنه ﴾
 ووعظ المؤمن رحمة الله عليه واعظ بعنف فقال يا رجل ارفق
 فقد بعث الله تعالى من هو خير منك الى من هو شر مني فامره
 بالرفق فقال الله تعالى ﴿ فقولوا له قولاً لنا لعله يتذكر أو يخشى ﴾
 وروى أبو امامة الباهلي رضي الله عنه أن غلاماً شاباً أتى

النبي صلى الله عليه وسلم * فقال أتأذن لي بالزنا فصاح الناس
 به فقال النبي عليه السلام ﴿أقرّوه أقرّوه أدن مني﴾ فدنا منه
 فقال عليه السلام ﴿أتحبّه لا مك﴾ فقال لا جعاني الله فداك قال
 عليه السلام ﴿كذلك الناس لا يحبونه لأمرهم﴾ ثم قال ﴿أتحبّه
 لا بنتك﴾ قال لا قال ﴿كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم﴾ حتى
 ذكر له الاخت والعمة والخالة ويقول عليه السلام ﴿كذلك
 الناس لا يحبونه﴾ ثم وضع يده على صدره وقال ﴿اللهم طهر
 قلبه واغفر ذنبه وحصن فرجه﴾ فلم يكن بعد ذلك شيء أبغض
 إليه من الزنا * وقال بعضهم للفضيل ان سفيان بن عيينة قبل
 جوائز السلطان * فقال ما أخذ منهم الا دون حقه * ثم خلى
 به وعاتبه بالرفق * فقال يا أبا علي ان لم تكن من الصالحين فانا
 نحب الصالحين *

﴿العمدة الثانية﴾

ان يكون المحتسب قد بدأ بنفسه فهدبها وترك ما ينهى عنه
 أولا * قال الحسن البصري اذا كنت تأمر بالمعروف فكن
 من آخذى الناس به والا هلك * فهذا هو الاولى حتى

ينفع كلامه والا استهزئ به * وليس هذا شرطا بل يجوز
 الاحتساب للمعاصي أيضا * قال أنس قلنا يا رسول الله ألا تأمر
 بالمعروف حتى نعمل به كله ولا ننهي عن المنكر حتى نجتنبه
 كله * قال عليه السلام بلى مروا بالمعروف وإن لم تعملوا
 به كله وانها عن المنكر وإن لم تجتنبوه كله * وقال الحسن
 البصري يريد أن لا يظفر الشيطان منكم بهذه الخصلة وهو
 أن لا تأمروا بالمعروف حتى تأتوا به كله يعني أن هذا يؤدي
 إلى حسم باب الحسبة * فمن ذا الذي يعصم عن المعاصي *

* الأصل العاشر في اتباع السنة *

اعلم أن مفتاح السعادة اتباع السنة والاقتداء برسول الله صلى
 الله عليه وسلم في جميع مصادره وموارده وحرركاته وسكناته حتى
 في هيئة أكله وقيامه ونومه وكلامه * لست أقول ذلك في آدابه
 في العبادات فقط لأنه لا وجه لإهمال السنن الواردة فيها بل ذلك
 في جميع أمور العادات * فبذلك يحصل اتباع المطلق قال
 الله سبحانه ﴿ قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ﴾

وقال تعالى ﴿ وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ﴾
 فعليك أن تلبس السراويل قاعداً وتعمم قائماً * وتبتدء باليمين
 في تنعلك وتأكل كل يمينك * وتعلم أظفارك وتبتدء بمسبحة
 اليد اليمنى وتحتم بابهامها * وفي الرجل تبتدء بمخصر اليمنى
 وتحتم بمخصر اليسرى * وكذلك في جميع حركاتك وسكناتك
 فقد كان محمد بن أسلم لا يأكل البطيخ لأنه لم ينقل إليه كيفية
 أكل رسول الله صلى الله عليه وسلم له * وسهى بعضهم فابتدأ في
 لبس الخلف باليسرى * فكفر عن ذلك بكر حنطة * فلا ينبغي
 أن تتساهل في أمثال ذلك فتقول هذا مما يتعلق بالعادات فلا معنى
 للاتباع فيه لأن ذلك يتعلق عليك بابا عظيما من أبواب السعادة

فصل

لعلك تشتهي الآن الوقوف على السبب المرغب في الاتباع
 في هذه الأفعال وتستبعد أن يكون تحت ذلك أمر مهم يقتضي
 هذا التشديد العظيم في المخالفة ﴿ فاعلم ﴾ أن ذكر السر في أحداث تلك
 السنن طويل لا يحتمل هذا الكتاب شرحه لکن ينبغي أن
 تفهم أن ذلك ينحصر في ثلاثة أنواع من الأسرار ﴿ الاول ﴾

انا قد نبهناك في مواضع على العلاقة التي بين الملك والمملوك
 وبين الجوارح والقلب وكيفية تأثير القلب بعمل الجوارح فان
 القلب كالمرآة ولا تتجلى فيه حقائق الاشياء الا بتصقيله وتنويره
 وتعديله ﴿ أما تصقيله ﴾ فبازالة خبث الشهوات وكسورة
 الاخلاق الذميمة ﴿ وأما تنويره ﴾ فبأنوار الذكر والمعرفة
 ويعين على ذلك العبادة الخالصة اذا أدت على كمال الخدمة بمقتضى
 السنة ﴿ وأما تعديله ﴾ فبأن يجرى في جميع حركات الجوارح
 على قانون العدل اذ اليد لا تصل الى القلب حتى تقصد بتعديله
 وتحديث فيه هيئة معتدلة صحيحة لا اعوجاج فيها * وانما
 التصرف في القلب بواسطة تعديل الجوارح وتعديل حركاتها
 ولهذا كانت الدنيا مزرعة الآخرة * ولهذا تعظم حسرة
 من مات قبل التعديل لا لسداد طريق التعديل بالموت اذ
 تنقطع علاقة القلب عن الجوارح فمهما كانت حركات الجوارح
 بل حركات الخواطر أيضا موزونة بميزان العدل حدث في
 القلب هيئة عادلة مستوية تستعد لقبول الحقائق على نعت
 الصحة والاستقامة كما تستعد المرآة المعتدلة لمحاكاة الصور

الصحيحة من غير اعوجاج ﴿ ومعنى العدل ﴾ وضع الاشياء
 مواضعها * ومثاله أن الجهات مثلاً أربعة وقد خص منها جهة القبلة
 بالتشريف فالعدل أن تستقبل في أحوال الذكر والعبادة والوضوء
 وإن تنحرف عنها عند قضاء الحاجة وكشف العورة اظهاراً
 لفضل ما ظهر فضله ﴿ واليمين ﴾ زيادة على اليسار غالباً لفضل
 القوة * فالعدل أن تفضلها على اليسار وتستعملها في بعض الاعمال
 الشريفة كأخذ المصاحف والطعام * وتترك اليسار للاستنجاء
 وتناول القازورات ﴿ وقلم الظفر ﴾ مثلاً تطهير لليد فهو اكرام
 فينبغي أن تبتدء بالاكرم والافضل * وربما لا يستقل عقلك
 بالتفطن للترتيب في ذلك وكيفية البداية * فاتبع فيه السنة وابتدء
 بالمسبحة من اليمين لان اليد افضل من الرجل واليمين افضل
 من اليسرى * والمسبحة التي بها الاشارة في كلمة التوحيد افضل
 من سائر الاصابع * ثم بعد ذلك تدور من يمين المسبحة
 وللكف ظهر ووجه فوجهه ما تقابله * فاذا جعلت الكف
 وجه اليد كان يمين المسبحة من جانب الوسطى فقدّر اليدين
 متقابلتين بوجهيهما * وقدّر الاصابع كأنها أشخاص فتدور

بالمقراض من المسبحة الى أن تحتم بابهام اليمنى * كذلك فعل
 رسول الله صلى الله عليه وسلم * والحكمة في ذلك ما ذكرناه فاذا
 أنت تعودت رعاية العدل في دقائق الحركات صارت العدالة
 والصحة هيئة راسخة في قلبك واستوت صورها * وبذلك
 تستعد لقبول صورة السعادة * ولذلك قال الله تعالى ﴿ فاذا
 سويته ونفخت فيه من روحي ﴾ فروح الله عز وجل مفتاح
 أبواب السعادة ولم يكن نفخها الا بعد التسوية * ومعنى
 التسوية يرجع الى التعديل * وفي ذلك سر طويل يطول شرحه
 وانما نريد الرمز الى أصله * فان كنت لا تقوى على فهم حقيقته
 فالتجربة تنفعك * فانظر الى من تعود الصدق كيف يصدق
 رؤياه غالباً لان الصدق حصل في قلبه هيئة صادقة يتلقى
 لوائح الغيب في النوم على الصحة * وانظر كيف يكذب
 رؤيا الكذاب بل رؤيا الشاعر لتعوده التخيلات الكاذبة *
 فاعوج لذلك صورة قلبه * فان كنت تريد أن تلمح جنات القدس
 فاترك ظاهر الاثم وباطنه واترك الفواحش مظهر منها وما
 بطن * واترك الكذب حتي في حديث النفس أيضاً ﴿ السر

الثاني ﴿ أن تعلم أن الاشياء المؤثرة في بدنك بعضها انما يعقل
 تأثيرها بنوع من المناسبة الى الحرارة والبرودة والرطوبة
 واليبوسة كقولك ان العسل يضر المحرورين وينفع البارد
 مزاجه * ومنها ما لا يدرك بالقياس ويعبر عنه بالخواص وتلك
 الخواص لم يوقف عليها بالقياس بل مبدء الوقوف عليها وحي
 أوالهام * فالمغناطيس يجذب الحديد * والسقمونيا يجذب خلط
 السفراء من أعماق العروق لا على القياس بل بخاصية وقف عليها
 اما بالالهام أو بالتجربة * وأكثر الخواص عرفت بالالهام
 وأكثر التأثيرات في الادوية وغيرها من قبل الخواص
 فلذلك ﴿ فاعلم ﴾ أن تأثيرات الاعمال في القلب تنقسم الى
 ما هو يفهم وجهه مناسبتة كعلمك بأن اتباع الشهوة الدنيوية
 يؤكده علاقته مع هذا العالم * فيخرج من العالم منكوس الرأس
 موليا وجهه الى هذا العالم اذ فيه محبوبه * وكعلمك أن المداومة
 على ذكر الله تعالى تؤكده الانس بالله تعالى وتوجب الحب
 حتى تعظم اللذة به عند فراق الدنيا والقدوم على الله سبحانه
 اذ اللذة على قدر الحب * والحب على قدر المعرفة والذكر *

﴿ومن الاعمال﴾ ما يؤثر في الاستعداد لسعادة الآخرة او
 لشقاوتها بخاصية ليست على القياس لا يوقف عليها الا بنورا لنبوة
 فاذا رأيت النبي صلى الله عليه وسلم قد عدل عن أحد المباحين
 الى الآخر وآثره عليه مع قدرته عليهما ﴿فاعلم﴾ انه اطعم
 بنور النبوة على خاصية فيه وكشف به من عالم الملكوت كما
 قال صلى الله عليه وسلم ﴿يا أيها الناس ان الله أمرني ان أعلمكم
 مما علمني وأؤدبكم مما أدبني فلا يكثرن أحدكم الكلام عند
 المجامعة فانه يكون منه خرس الولد ولا ينظرن أحدكم الى
 فرج امرأته اذا هو جامعها فانه يكون منه العمى * ولا يقبلن
 أحدكم امرأته اذا هو جامعها فانه يكون منه صمم الولد * ولا
 يديمن أحدكم النظر في الماء فانه يكون منه ذهاب العقل﴾
 وهذا مثال مما ذكرناه وارادنا تنبيهك على اطلاعه على خواص
 الأشياء بالاضافة الى أمور الدنيا لتقيس به اطلاعه صلى الله
 عليه وسلم على ما يؤثر بالخاصية في السعادة والشقاوة فلا ترضى
 فترضى لنفسك ان تصدق محمد بن زكريا الرازي المتطبب فيما
 يذكره من خواص الأشياء في الحجامة والاحجار والادوية

ولا تصدق سيد البشر محمد بن عبد الله الهاشمي المكي المدني
صلوات الله عليه وسلامه فيما يخبر به عنها * وأنت تعلم انه
صلى الله عليه وسلم مكاشف من العالم الاعلى بجميع الاسرار
وهذا ينبهك على الاتباع فيما لا يفهم وجه الحكمة فيه على ما
ذكرناه في السر الاول (السر الثالث) ان سعادة الانسان
ان يتشبه بالملائكة في النزوع عن الشهوات وكسر النفس
الامارة بالسوء * ويبعد عن مشابة البهيمة الممثلة سدى التي
تسترسل في اتباع الهوى بحسب ما يقتضيه طبعها من غير
حاجز * ومهما تعود الانسان في جميع الامور ان يفعل ما
يشاء من غير حاجز الف اتباع مراده وهواه * وغلب على
قلبه صفة البهيمة * فصاحته ان يكون في جميع حركاته
ملجأ بلجام يصده عن طريق الى طريق كيلا تنسى نفسه
العبودية * ولزوم الصراط المستقيم فيكون أثر العبودية ظاهرا
عليه في كل حركة * اذ لا يفعل شيئا بحسب طبعه بل
بحسب الامر * فلا ينفك في جميع أحواله عن مصادمات
الزمان بايثار بعض الامور على بعض (ومن القى زمامه) الى

يد كلب مثلاً حتي لم يكن تصرفه وتردده بحكم طبيعه بل بحكم غيره فنفسه اقوم الى قبول الرياضة الحقيقية وأقرب واقوى ممن جعل زمامه في يد هواه يسترسل بها استرسال البهيمة * ونحت هذا سرّ عظيم في تركية النفس * وهذه فائدة تحصل بوضع الشارع صلى الله عليه وسلم كيف ما وضعه * والفائدة الحكيمة والخاصية لا تتغير بالوضع وهذا يتغير بالوضع * فان المقصود ان لا يكون مخليّ مع اختياره * وذلك المقصود يحصل بالمنع عن أحد الجانبين أي جانب كان * وفي مثل هذا يتصور ان يختلف الشرايع لانه ثمرة الوضع * فيكفيك هذه التنبيهات الثلاث على فضل ملازمة الاتباع في جميع الحركات والسكنات *

﴿ فصل ﴾

هذا التحريض كله الذي ذكرته انما هو في العادات ﴿ واما في العبادات ﴾ فلا عرف لترك السنة من غير عذر وجها الا كفر خفيّ او حمق جليّ * بيانه ان النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال ﴿ تفضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة ﴾

فكيف تسمح نفس المؤمنين بتركها من غير عذر * نعم يكون
 السبب في ذلك اما حمق او غفلة بان لا يتفكر في هذا التفاوت
 العظيم * ومن يستحق غيره اذا اثر واحدا على اثنين كيف
 لا يستحق نفسه اذا اثر واحد على سبع وعشرين * لا سيما
 فيما هو عماد الدين ومفتاح السعادة الابدية * واما الكفر فهو
 ان يخطر بباله ان هذا ليس كذلك * وانما ذكره للترغيب في
 الجماعة والا فاي مناسبة بين الجماعة وبين هذا العدد المخصوص
 من بين سائر الاعداد * وهذا كفر خفي قد ينطوي عليه
 الصدر وصاحبه لا يشعر به * فما اعظم حماقة من يصدق
 المنجم والطبيب في امور ابعد من ذلك ولا يصدق النبي
 المكاشف باسرار الملكوت * فان المنجم لو قال لك اذا انقضى
 سبعة وعشرون يوما من اول تحويل طالعك اصابتك نكبة
 فاحترز في ذلك اليوم واجلس في بيتك فلا تزال في تلك المدة
 تستشعر وتترك جميع اشغالك * ولو سألت المنجم عن سببه
 لقال لك انما قلت ذلك لأن بين درجة الطالع وموضع
 زحل سبعا وعشرين درجة فتأخر النكبة في كل درجة يوما او

شهرا * فاذا قيل لك هذا هوس اذ لا مناسبة له فلا تصدق
 به فلا يخلو قلبك عن الاستشمار * وتقول في افعال الله تعالى
 عجائب لا تعرف مناسبتها ولعلمها خواص لا تدرك * وقد عرف
 بالتجربة ان ذلك مما يؤثر وان لم يعرف مناسبته * ثم اذا آل
 الأمر الى خبر النبوة عن الغيب انكرت مثل هذه الخواص
 وطلبت المناسبة الصريحة * فهل لهذا سبب الا شرك خفي لا
 بل كفر جلي اذ لا محمل له سواء * وسبب هذا التكاسل
 كله انك لا يهملك أمر آخرتك فان امر دنياك لما كان يهملك
 فتحطاط فيه بقول المنجم والطبيب وبالاختلاج والقال والامور
 البعيدة عن المناسبة غاية البعد * وتنقاد الى الاحتمالات البعيدة
 لان الشفيق بسوء الظن مولع * ولو تفكرت لعلمت ان هذا
 الاحتياط بالخطر الابدي أليق (فان قلت) ففي أي جنس
 من الاعمال ينبغي ان تتبع السنة (فاقول) في كل ماوردت
 به السنة * والاخبار في ذلك كثيرة * وذلك لقوله صلى الله عليه
 وسلم (من احتجم يوم السبت والاربعاء فاصابه برص فلا يلو من
 الا نفسه) وقد احتجم بعض المحدثين يوم السبت وقال هذا

الحديث ضعيف فبرص وعظم ذلك عليه حتى رأى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في المنام فشكى اليه ذلك * فقال لم احتجمت يوم
السبت * فقال لان الراوي كان ضعيفا * قال اليس كان قد
نقل عني فقال تبت يا رسول الله * فدعا له رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالشفاء فاصبح وقد زال مابه * وقال صلى الله عليه
وسلم من احتجم يوم الثلاثاء لسبعة عشر كان دواء السنة * وقال
صلى الله عليه وسلم من نام بعد العصر فاختم عقه فلا يلو من
الا نفسه * وقال صلى الله عليه وسلم اذا انقطع شمع نمل
احدكم فلا يمش في نمل واحد حتى يصلح ششمه * وقال صلى
الله عليه وسلم واذا ولدت امرأة فليكن اول ماتا كل الرطب
فان لم يكن فتمر فانه لو كان شيء افضل منه لا طعمه الله عز
وجل مريم حين ولدت عيسى عليه السلام * وقال صلى الله
عليه وسلم اذا اتى احدكم بالخلواء فليصب منه * واذا اتى احدكم
بالطيب فليمس منه * وامثال ذلك في العادات كثيرة ولا يخلو
شيء منها عن سر * (خاتمة في ترتيب الاوراد) وتنعطف على
الامور العشرة (اعلم) ان هذه العبادات التي فصلناها (منها)

ما يمكن الجمع بينها كالصوم والصلوة والقراءة ﴿ومنها﴾ مالا
 يمكن الجمع بينها كالقراءة والذكر والقيام بحقوق الناس
 والصلوة * فينبغي ان يكون من أهم أمورك توزيع اوقاتك
 على اصناف الخيرات من صباحك الى مساءك * ومن مساءك
 الى صباحك * وتعلم ان مقصود العبادات تأكيد الانس
 بذكر الله عز وجل للانابة الى دار الخلود والتجافي عن دار
 الغرور ولن يسعد في دار الخلود الا من قدم على الله سبحانه
 محباً له * ولا يكون محباً له الا من كان عارفاً به مكثراً لذكره
 ولا يحصل المعرفة والحب الا بالفكر والذكر الدائم * ولن
 يدوم الذكر في القلب الا بالمذكرات وهي العبادات المستغرقة
 للأوقات على التعاقب * ولاختلاف اصنافها زيادة تأثير في
 التذكير ومنع الملل وسقوط اثره عن القلب بالدوام الذي
 ينتهي الى حد الاعتياد * نعم ان كنت والها بالله عز وجل
 مستغرقاً به لم تفتقر الى ترتيب الاوراد بل وردك واحد وهو
 ملازمة الذكر وما اراك تكون كذلك فان ذلك من اعز الأمور
 فان لم تكن والها مستهترا فعليك أن ترتب أورادك * فاحد

الاوراد هو من وقت انتباهك من النوم الى طلوع الشمس
 وينبغي ان تجمع في هذا الوقت الشريف بعد الفراغ من
 الصلوة بين الذكر والدعاء والقراءة والتفكير فان لكل واحد
 أثرا آخر في تنوير القلوب * وتعرف كيفية ذلك وتفصيله
 من كتاب بداية الهداية وكتاب ترتيب الاوراد * وكذلك
 تفصل بين الطلوع والزوال وبين الزوال والغروب وبين الغروب
 والعشاء فانها من أشرف الاوقات لان النشاط انما يتوفر بان
 تميز ورد كل وقت لتكون في كل وقت عبادة اخرى تنتقل من
 بعضها الى بعض * هذا ان كنت من المباد * فان كنت * معلما
 او متعلما أو واليا فلا تشتغل بذلك اولى في بياض النهار وافضل
 من العبادات البدنية لان أصل الدين العلم الذي به يحصل
 التعظيم لامر الله سبحانه والنفع الذي يصدر عن الشفقة على
 خلق الله تعالى * وكذلك ان كنت معلما محترفا فالقيام بحق
 العيال بكسب الحلال افضل من العبادات البدنية * ولكن
 في جميع ذلك لا ينبغي ان تخلو وتنفك عن ذكر الله تعالى
 بل تكون كالمستهتر بمشوقه المدفوع الى شغل من الاشغال

لضرورة وقته فهو يعمل بيده وهو غائب عن عمله حاضر
 بقلبه مع معشوقه * حكى عن أبي الحسن الجرجاني انه كان
 يعمل بالمسحاة دائماً وكان يقول اعطينا اليد واللسان والقلب
 فاليد للعمل واللسان للخلق والقلب للحق * ولانقتصر على
 هذا القدر في قسم الطاعات الظاهرة ففيه الكفاية ان شاء الله
 ﴿ القسم الثالث في تزكية القلب عن الاخلاق المذمومة ﴾
 قال الله تعالى قد أفلح من تزكى وقال قد أفلح من زكاه *
 والتزكية هي التطهير * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 الظهور شطر الايمان فافهم منه ان كمال الايمان بتزكية القلب ^(١)
 عما لا يحبه الله عز وجل وتحليته بما يحبه الله * فالتزكية شطر
 الايمان وكيف يشتغل بالطهارة من لا يعرف النجاسة
 فلنذكر الاخلاق المذمومة وهي كثيرة ولكن نحتاج ان
 نرد شعبها الى عشرة أصول *

(١) نعم ما قال بعض شعراء الفرس فيما له مناسبة بهذا البحث
 دردل همه شرك روي برخاك چه سود * باجسم بليد وجامه پاك چه سود
 زهراست كناه توبه ترياق وي است * چون زهر بجان رسيد ترياق چه سود

﴿الاصل الاول﴾

شره الطعام وهو من الامهات لان المعدة ينبوع الشهوات
 اذ منها تتشعب شهوة الفرج * ثم اذا غلبت شهوة المأكول
 والمنكوح يتشعب منها شره المال اذ لا يتوصل الى قضاء الشهوتين
 الا به * ويتشعب من شهوة المال شهوة الجاه اذ يعسر كسب
 المال دونه * ثم عند حصول المال والجاه وطلبهما يزدحم
 الآفات كلها كالكبر والرياء والحسد والحقد والعداوة وغيرها
 ومنبع جميع ذلك البطن — فلهذا عظم رسول الله صلى الله
 عليه وسلم امر الجوع * فقال عليه السلام ﴿ما من عمل احب
 الى الله تعالى من الجوع والعطش﴾ وقال لا يدخل ملكوت
 السماء من ملاً بطنه * ﴿وقال عليه السلام﴾ سيد الأعمال الجوع
 ﴿وقال عليه السلام﴾ الفكر نصف العبادة وقلة الطعام هي
 العبادة ﴿وقال عليه السلام﴾ أفضلكم عند الله تعالى أطولكم
 جوعاً وتفكيراً وأبغضكم الى الله تعالى كل أكل شروب نؤم
 ﴿وقال عليه السلام﴾ ماملأ ابن آدم وعاء شراً من بطنه
 حسب ابن آدم لقيمات يقمن صلبه وان كان لا محالة فثلث

لطعامه وثلاث لشرابه وثلاث لنفسه * وقال عليه السلام ان
الشیطان لیجری من ابن آدم مجری الدم فضیقوا بحجاری
الشیطان بالجوع والمطش * وقال علیه السلام لعائشة رضي
الله عنها اذیموا قرع باب الجنة یفتح لکم * قالت کیف ندیم
قال علیه السلام بالجوع والظماء * وقال علیه السلام کلوا واشربوا
فی انصاف البطون فانه جزء من النبوة *

﴿ فصل ﴾

اعلمك تشتهي ان تعلم السر فی تعظیم الجوع ومناسبته لطریق
الآخرة ﴿ فاعلم ﴾ ان له فوائد كثيرة ولكن يرجع اصولها
الى سبع ﴿ احداها ﴾ صفاء القلب ونفاذ البصيرة فان الشبع
یورث البلادة ویعمی القلب * قال صلی الله علیه وسلم من اجاع
بطنه عظمت فکرتة وفطن قلبه ولا یخفی ان مفتاح السعادة
المعرفة ولا تنال الا بصفاء القلب فلذلك كان الجوع قرع باب
الجنة ﴿ الثانية ﴾ رقة القلب حتی یدرك به لذة المناجاة ویتأثر
بالذکر والعبادة * وقال الجنید یجعل احدکم بین قلبه فخلعة من
الطعام * ویريد ان یجد حلاوة المناجات * ولا یخفی علیک ان

أحوال القلب من الخشية والخوف والرقّة والمناجات
والانكسار بالهيبة من مفاتيح أبواب الجنة وإن كان باب
المعرفة فوقه والجوع قرع لهذا الباب ﴿ الثالثة ﴾ ذلّ النفس
وزوال البطر والطغيان منها فلا تكسر النفس بشيء كالجوع
والطغيان داع إلى الغفلة عن الله تعالى وهو باب الجحيم والشقاوة
﴿ والجوع ﴾ اغلاق لهذا الباب * وفي اغلاق باب الشقاوة فتح
باب السعادة — ولذلك لما عرضت الدنيا عليه صلى الله عليه
وسلم * قال لا بل أجوع يوماً واشبع يوماً فإذا جمعت
صبرت وتضرعت * وإذا شبعتم شكرت ﴿ الرابعة ﴾ إن
البلاء من أبواب الجنة لأن فيه مشاهدة طعم العذاب وبه
يعظم الخوف من عذاب الآخرة * ولا يقدر الإنسان على
أن يعذب نفسه بشيء كالجوع فإنه لا يحتاج فيه إلى تكاف *
وترتبط بها فوائد أخرى فيكون مشاهداً لبلاء الله تعالى على
الدوام ﴿ الخامسة ﴾ وهي من كبار الفوائد كسر شهوات
المعاصي والاستيلاء على النفس الامارة بالسوء وكسر سائر
الشهوات التي هي منابغ المعاصي * قال علي رضي الله عنه

﴿ما شبت قط الا عصيت او هيمت بالمعصية﴾ وقالت عايشة
 رضي الله عنها اول بدعة حدثت بعد رسول الله صلى الله
 عليه وسلم الشبع ان القوم اذا شبت بطونهم جمحت بهم نفوسهم
 الى الدنيا ﴿السادسة﴾ خفة البدن للتمجد والعبادة وزوال النوم
 المانع من العبادة * فان رأس مال السعادة العمر * والنوم ينقص
 العمر اذ يمنع من العبادة * واصله كثرة الاكل * قال ابو سليمان
 الداراني من شبع دخل عليه ست آفات ﴿فقد﴾ حلاوة العبادة
 ﴿وتعذر﴾ حفظ الحكمة ﴿وحرمان﴾ الشفقة على الخلق لانه
 اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباعا ﴿وثقل﴾ العبادة ﴿وزيادة﴾
 الشهوات وان سائر المؤمنين يدورون حول المساجد وهو
 يدور حول المزابل ﴿السابعة﴾ خفة المؤنة وامكان القناعة بقليل
 من الدنيا وامكان ايشار الفقر فان من تخلص من شره بطنه
 لم يفتقر الى مال كثير فيسقط عنه اكثر هوم الدنيا
 فهما اراد ان يستقرض لقضاء شهوة البطن استقرض من
 نفسه وترك شهوته * كان اذا قيل لابراهيم ابن ادم رحمة الله
 عليه في شيء انه غال * قال ارخصوه بالترك *

❖ فصل ❖

لعلمك تقول قد صار الشبع والاكثر في الاكل عادة فكيف
 تركها ﴿ فاعلم ﴾ ان ذلك يسهل على من اراده بالتدريج وهو
 ان ينقص كل يوم من طعامه لقمة حتى ينقص رغيفا في
 مقدار شهر فلا يظهر اثره ويصير التقليل عادته * ثم اذا
 اذعنت بالتقليل فلك النظر في الوقت والقدر والجنس * اما
 القدر فله ثلاث درجات ﴿ اعلاها ﴾ وهي درجة الصديقين
 الاقتصار على قدر القوام وهو الذي يخاف النقصان منه على
 العقل أو الحيوة * وهو اختيار سهل التستري * وكان يرى
 ان الصلوة قاعدة لضعفه بالجوع افضل من الصلوة قائما مع
 قوة الاكل ﴿ الثانية ﴾ ان تقنع بنصف مد كل يوم وهو ثلث
 البطن وعلى ذلك كان عادة عمر رضي الله عنه وجماعة من الصحابة
 اذ كان قوتهم في الاسبوع صاعا من شعير ﴿ الثالثة ﴾ المد الواحد
 وما جاوز ذلك فهو مشاركة مع اهل العادة وميل عن طريق
 السالكين المسافرين الى الله تعالى * وقد يؤثر في المقادير اختلاف
 الاحوال والاشخاص * وعند ذلك فالاصل فيه ان يمد اليد

اذا صدق جوعه ويكف وهو بعد صادق الاشتهااء * وعلامة
 صدق الجوع ان تشتهي اي خبز كان من غير آدم فاذا استثقل
 الاكل بغير آدم فهو علامة الشبع ﴿ واما الوقت ﴾ فففيه أيضا
 ثلاث درجات ﴿ اعلاها ﴾ ان ينطوي ثلاثة ايام فما فوقها * فقد
 كان الصديق رضى الله عنه يطوي ستة ايام * وابراهيم بن ادهم
 والثوري سبعا * وبعضهم انتهى الى اربعين يوما * وقيل من
 طوي اربعين يوما ظهرت له لا محالة اشياء من عجائب الملكوت
 ولا يمكن ذلك الا بالتدريج ﴿ واما الاوسط ﴾ بأن يطوي
 يومين ﴿ والادنى ﴾ بأن يأكل في اليوم مرة واحدة فمن أكل
 مرتين لم تكن له حالة جوع اصلا فيكون قد ترك فضيلة الجوع
 ﴿ واما الجنس ﴾ فأعلاه خبز البر مع الادام * وأدناه خبز الشعير
 بلا ادام * والمداومة على الادام مكروه جدا * قال عمر رضى الله
 عنه لولده * كل مرة خبزا ولحما ومرة خبزا وسمنا ومرة خبزا
 ولبنا ومرة خبزا ولحما ومرة خبزا قفارا * فهذا تنبيه على
 الاحسن في اهل العادة ﴿ واما السالكون الطريق ﴾ فقد بالغوا
 في ترك الادام بل في ترك الشهوات جملة حتى كان بعضهم

يشتهي الشهوة عشر سنين وعشرين سنة وهو يخالف نفسه
 ويمنعها شهواتها * وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم شرار امتي
 الذين غمدوا بالنميم ونبتت عليه اجسامهم * وانما همتهم الوان
 الطعام وانواع اللباس ويتشددون في الكلام * وقد شرحنا
 طريق السلف في ترك الشهوات في كتاب كسر الشهوتين
 ﴿ الاصل الثاني شره الكلام ﴾

وذلك لا بد من قطعه فان الجوارح كلها تؤثر اعمالها في القلب
 ولكن اللسان اخص به لانه يؤدي عن القلب ما فيه من
 الصور فيقتضي كل كلمة صورة في القاب محاكية لها فلذلك
 اذا كان كاذبا حصل في القلب صورة كاذبة واعوج به وجه
 القلب واذا كان في شيء من الفضول مستغنى عنه اسود به وجه
 القلب واظلم حتى تنتهي كثرة الكلام الى اماتت القلب *
 ولذلك عظم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر اللسان
 فقال ﴿ من يتوكل لي بما بين لحييه ورجليه اتوكل له بالجنة ﴾
 وسئل عن اكثر ما يدخل النار * فقال عليه السلام الاجوفان
 الفم والفرج * وقال عليه السلام وهل يكب الناس على مناخرهم

الا حصايد السنهم * وقال من صمت نجا * وقال له معاذ اي
 الاعمال افضل فاخرج لسانه ووضع عليه يده * وقال ان
 اكثر خطايا ابن آدم في لسانه * وقال عليه السلام من كان يؤمن
 بالله واليوم الآخر فليقل خيرا او ليصمت * وقال عليه السلام
 من كثر كلامه كثر سقطه * ومن كثر سقطه كثرت
 ذنوبه * ومن كثرت ذنوبه فالنار اولى به — ولهذا كان
 الصديق رضى الله عنه يضع حجرا في فيه ليمنع نفسه من الكلام

﴿ فصل ﴾

اعلم ان للسان عشرين آفة شرحناها في كتاب آفات اللسان
 ويطول ذكرها * ويكفيك العمل بآية واحدة قال الله تعالى
 ﴿ لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف ﴾
 الآية ومعناه ان لا تتكلم فيما لا يعينك وتقتصر على المهم ففيه
 النجاة * قال الس رضى الله عنه استشهد غلام منا يوم احد
 فوجد على بطنه صخرة مربوطة من الجوع فمسحت امه
 التراب عن وجهه * وقالت هنيئا لك الجنة يا بني * فقال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم فيما لا يعنيه

ويعنع مالا يضره * وحدة مالا يني هو الذي لو ترك لم يفت
 به ثواب ولم تنتجز به ضرورة * ومن اقتصر من الكلام على
 هذا قل كلامه * فليحاسب العبد نفسه عند ذكره مالا يعنيه
 انه لو ذكر الله تعالى بدلا عن تلك الكلمة لكان ذلك كنزا
 من كنوز السعادة فكيف يسمح العقل بترك كنز مكنوز واخذ
 مدرة هذا لو لم يكن فيه اثم * فان كان اثم فقد استبدل بترك
 كل كنز واخذ شعلة من النار * ومن جملة مالا يعنى حكاية
 الاسفار واحوال اطعمة البلاد وعاداتهم واحوال الناس
 واحوال الصناعات والتجارات وهو من جملة ما ترى الناس
 يخوضون فيه *

﴿ فصل ﴾

لعلك تريد ان تعرف تفصيل بعض هذه الآفات ﴿ فاعلم ﴾
 ان الغالب على الالسننة من جملة العشرين آفة خمسة ﴿ الكذب
 والغيبة والممارات والمدح والمزاح ﴾ ﴿ الاولى ﴾ الكذب وقد
 قال صلى الله عليه وسلم لا يزال العبد يكذب ويتحرى
 الكذب حتى يكتب عند الله كذابا * وقال صلى الله عليه وسلم

ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك منه الناس ويل له
 ويل له ﴿وقيل﴾ يا رسول الله انزني المؤمن أيسرق المؤمن *
 قال عليه السلام قد يكون ذلك فقيل له أ يكذب * فقال لا
 انما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله * وقال
 عليه السلام ألا أنبئكم باكبر الكبائر ألا شرك بالله
 وعقوق الوالدين وكان متكئا فقام * وقال عليه السلام الا
 وقول الزور * وقال عليه السلام كل خصلة يطبع الله عليها
 المؤمن الا الخيانة والكذب *

﴿فصل﴾

اعلم ان الكذب حرام في كل شيء الا لضرورة حتى قالت
 امرأة لولدها الصغير تعالى حتى اعطيك * فقال النبي صلى الله
 عليه وسلم وماذا كنت تعطينه لو جاء قالت تمرة * قال
 اما لو لم تفعل كتبت عليك كذبة * فليحذر الانسان الكذب
 حتى في التخييل وحديث النفس * فان ذلك يثبت في النفس
 صورة معوجة حتى تكذب الرؤيا فلا تنكشف في النوم اسرار
 الملكوت والتجربة تشهد بذلك * نعم انما يرخص في الكذب

إذا كان الصدق يفضي الى محذور آخر اشد من الكذب
 فيباح كما تباح الميتة اذا أدى تركها الى محذور اشد من اكلها
 وهو فوات الروح * قالت ام كلثوم رضي الله عنها ما رخص
 رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من الكذب الا في
 ثلاث * الرجل يقول القول يريد الاصلاح * والرجل يقول
 القول في الحرب * والرجل يحدث امرأته * وهذا لان
 اسرار الحرب لو وقف عليها العدو اجترأ * واسرار الزوج
 لو وقفت عليها المرأة نشأ منها فساد أعظم من فساد الكذب
 وكذلك المتخاصمان تدوم بينهما المعصية والعداوة فاذا امكن
 الاصلاح بكذب فذلك اولى * فهذا ما ورد فيه الخبر وما في معناه
 كذب الانسان ليستر مال غيره عن ظالم أو انكاره لسر غيره
 بل انكاره لمعصية نفسه عن غيره فان المجاهرة بالفسق واظهاره
 حرام وانكاره جناية نفسه على غيره لتطيب قلبه وكذلك انكاره
 مع زوجته ان تكون ضررتها أحب اليه وكل ذلك يرجع الى
 دفع المضرات * ولا يباح لجلب زيادة مال وجاه وفيه يكون
 كذب اكثر الناس * ثم اذا اضطر الى الكذب فليعدل

الى المماريض ما امكن حتى لا يعتاد نفسه الكذب * كان
ابراهيم بن ادهم اذا طلب في الدار قال لخادمتة قولى له اطلبه
في المسجد * وكان الشعبي يخط دائرة * ويقول لخادمتة ضعى
الاصبع فيها * وقولى ليس ههنا * وكان بعضهم يعتذر عند
الامير ويقول منذ فارقتك ما رفعت جنبي من الارض
الا ما شاء الله تعالى * وكان بعضهم ينكر ما قال فيقول
ان الله ليعلم ما قلت من ذلك من شىء فيوهم النفى بحرف
﴿ ما ﴾ وهو يريد غير ذلك * وتباح المماريض لغرض خفيف
لقوله صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة عجز ونحملك على
ولد البعير وفي عيني زوجك يياض لان هذه الكلمات
اوهمت خلاف ما اراد * فيباح مثل ذلك مع النساء والصبيان
لتطيب قلوبهم بالمزاح — وكذلك من يمتنع عن أكل
الطعام فلا ينبغي ان يكذب ويقول لا اشتهى اذا كان
يشتهى بل يعدل الى المماريض * قال النبي عليه السلام
لامرأة قالت ذلك لا تجمعي كذبا وجوعا *

﴿ الآفة الثانية الغيبة ﴾

قال الله تعالى ﴿ أوجب أحمدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه ﴾ وقال عليه السلام الغيبة أشد من الزنا وأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام من مات تابئا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة * ومن مات مضرا عليها فهو أول من يدخل النار * وقال صلى الله عليه وسلم سررت ليلة أسري بي على قوم يخمشون وجوههم باظفارهم * فقليل لي هؤلاء الذين كانوا يغتابون الناس ﴿ واعلم ﴾ أن حد الغيبة كما بينه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه وإن كنت صادقا سواء ذكرت نقصا نافي نفسه أو عقله أو ثوبه أو فعله أو قوله أو داره أو نسبه أو دابته أو شيئا مما يتعلق به حتى قولك أنه واسع الهم أو طويل الذيل * حتى ذكر عند رسول الله صلى الله عليه وسلم رجل فقيل ما أعجزه فقال عليه السلام اغتبتموه وأشارت عائشة رضي الله عنها بيدها إلى امرأة أنها قصيرة * فقال عليه السلام اغتبتها * فبهذا يعلم أن الغيبة لا تقتصر على اللسان بل لا فرق بين أن يحصل التفهيم

باليد او بالرمز او بالاشارة او بالحركة او بالحكاكة او التعريض
 المفهم كقولك ان بعض اقربائنا وبعض اصدقائنا كذا كذا
 ﴿واعلم﴾ ان اخبث أنواع الغيبة غيبة القراء * يقولون مثلاً الحمد
 لله الذي لم يبتلينا بالدخول على السلطان لطلب الدنيا او نعوذ بالله
 من قلة الحياء وهم يفهمون المقصود بذلك * يقولون ما أحسن
 احوال فلان لو لا انه بلي بمثل ما ابتلي به امثالنا وهو قلة الصبر
 عن الدنيا ففسئل الله تعالى ان يعافينا * وغرضهم بذلك الغيبة
 فيجمعون بين الغيبة والرياء واظهار التشبه باهل الصلاح في
 الحذر من الغيبة * وهذه خباياث يغترون بها وهم يظنون انهم
 تركوا الغيبة — وكذلك قد ينتاب واحد فيغفل عنه
 الحاضرون فيقول سبحانه الله ما اعجب هذا حتى ينتبه القوم
 الى الاصفاء فيستعمل ذكر الله في تحقيق خبثه * ويقول قلبي
 مشغول بفلان تاب الله علينا وعليه وليس غرضه الدعاء
 بل التعريف ولو قصد الدعاء لأخفاه ولو اغتم قلبه لاجله
 لكم عيبه ومعصيته — وكذلك المستمع قد يظهر تعجباً من
 كلام المغتاب حتى يزيد نشاطه في الغيبة * والمستمع احد المغتابين

كذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف اذا حرك نشاطه بالتمجب * وكذلك قد يقول دع غيبة فلان وهو بقلبه غير كاره لغيبته انما غرضه ان يعرف بالتورع — وذلك لا يخرج عن اثم الغيبة ما لم يكرها بقلبه ويورثه في اثم الرياء بل يخرج من الاثم بان يكرهه قلبه ويكذب المغتاب ولا يصدقه عليه لانه فاسق يستحق التكذيب والمسلم المذكور بالغيبة يستحق احسان الظن به * قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله حرم من المسلم دمه وعرضه وماله وان يظن به ظن السوء * فالغيبة بالقلب حرام كما انه باللسان حرام الا ان يضطر الى معرفته بحيث لا يمكنه التجاهر *

فصل

انما يرخص في الغيبة في ستة مواضع (الاول) منها المتظلم يذكر ظلم الظالم عند سلطان يدفع ظلمه فاما عند غير سلطان وعند غير من لا يقدر على الدفع فلا (اغتیب الحجاج) عند بعض السلاف * فقال ان الله لينتقم للحجاج ممن اغتابه كما ينتقم من الحجاج لمن ظلمه (الثاني) الذي يستعان به على تغيير

المنكر يجوز ان يذكر له أيضاً ﴿ الثالث ﴾ المستفتى اذا افتقر الى ذكر السؤال كما قالت هند ان أبي سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني - وهذا كله شكاية ولكن انما يحل اذا كانت فيها فائدة ﴿ الرابع ﴾ تحذير المسلم من شر الغير اذا علم انه لو لم يذكره لقبلت شهادته كما يذكر المزي اذ يعامل وينالكح فيتضرر به فيذكر لمن يتوقع ضرره به فقط ﴿ الخامس ﴾ ان يكون معروفا باسم فيه عيبه كالاعمش والاعرج فالمدول الى اسم آخر أولى ﴿ السادس ﴾ ان يكون مجاهرا بذلك العيب لا يكرهه ان يذكر كالخنث وصاحب الماخور^(١) قال الحسن ثلاثة لا غيبة لهم صاحب الهواء والفاسق المعلن بالفسق والامام الجابر * وهؤلاء يجمعهم انهم مجاهرون لا يكرهون الذكر * والصحيح ان ذكر الفاسق بمصيبة يخفيها ويكره ذكرها لا يجوز من غير عذر *

❦ فصل ❦

علاج النفس في كفها عن الغيبة ان يتفكر في الوعيد الوارد

(١) الماخور الموضع الذي يباع فيه الخمر

فيها في قوله صلى الله عليه وسلم ان الغيبة أسرع في حسنات
 العبد من النار في اليبس * وورد ان حسنات المغتاب تنقل
 الى ديوان المظلوم بالغيبة فينظر في قلة حسناته وكثرة غيبته
 وانه ينتهي الى افلاسه على القرب ثم يتفكر في عيوب نفسه
 فان كان فيه عيب فيشتغل بنفسه عن غيره وان كان قد
 ارتكب صغيرة فيعلم ان ضرره من صغيرة نفسه اكثر من ضرره
 من كبيرة غيره وان لم يكن فيه عيب فيعلم ان جهله بعيوب
 نفسه اعظم عيب * ومتى يخلو الانسان من عيب ثم ان خلا
 عنه فليشكر الله تعالى بدلا من الغيبة فان ثلب الناس وا كل
 لحم الميتة من أعظم العيوب فليحذر منه * ثم مهما سبق لسانه
 الى الغيبة فينبغي ان يستغفر الله تعالى ويذهب الى المغتاب
 ويقول ظلمتك فاعف عني فيستحله فان لم يصادفه فليكثر من
 الثناء عليه ومن الدعاء له ومن الحسنات حتى اذا تقل بعضها
 الى ديوان المظلوم بقي له ما يكفيه فهي كفارة الغيبة
 ﴿ الآفة الثالثة المراء والمجادلة ﴾

قال صلى الله عليه وسلم من ترك المراء وهو محق بني له

يبت في أعلى الجنة ومن تركه وهو مبطل بنى له بيت في
 ريع الجنة وهذا لان الترك على الحق أشد * وقال عليه السلام
 لا يستكمل العبد حقيقة الايمان حتى يدع المرء وهو محق *
 ﴿وحد المرء﴾ هو الاعتراض على كلام الغير باظهار خال فيه اما
 في اللفظ واما في المعنى * والباعث عليه تارة الترفع باظهار
 الفضل * وسدبه خبت الرعونة * واما السبعية التي في الطبع
 المتشوفة الى تنقيص الغير وقهره * فالمرء والمحادلة تقوية
 لهذين الخبيثين المهلكين بل الواجب ان يصدق ما سمعه من
 الحق ويسكت عما سمعه من الخطاء الا اذا كان في ذكره فائدة
 دينية وكان يسمع منه فيذكره برفق لا بعنف *

﴿ الآفة الرابعة المزاح ﴾

والافراط فيه يكثر الضحك ويميت القلب ويورث الضغينة
 ويسقط المهابة والوقار * قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل
 ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلسائه فيهوى بها أبعد من الثريا
 وقال عليه السلام لا تمار أخاك ولا تمازحه ﴿ واعلم ﴾ ان اليسير
 منه في بعض الاوقات لا بأس به لا سيما مع النساء والتصبين

تطيباً لقلوبهم نقل ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنه
قال اني لا مزح ولا أقول الا حقاً * ويمسر على غيره ضبط ذلك
وقد روى انه سابق عائشة رضي الله عنها بالعدو * وقال عليه
السلام لمجوز لا يدخل الجنة عجوز أي لا يبقى عجوزا في
الجنة ^(١) * وقال لصبي يا أبا عمير ما فعل النعير * والنعير ولد
المصفور كان يلعب به الصبي * وقال صلى الله عليه وسلم لصبي
وهو يأكل التمر أتاأكل التمر وأنت رمد * وقال انما آكل
بالشق الآخر فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم * فهذا
وأمثاله من المفارقة لا بأس بها بشرط ان لا يتخذها عادة *

﴿ الآفة الخامسة المدح ﴾

كاجرت به عادة الناس عند المحتشمين ^(٢) من ابناء الدنيا وكاجرت
به عادة القصاص والمذكرين * فانهم يمدحون من يحضر مجالسهم
من الاغنياء * وفي المدح ست آفات ﴿ اربع ﴾ على المدح
﴿ اثنتان ﴾ على الممدوح * اما المدح ﴿ الآفة الاولى فيه ﴾

(١) وفي النسخة العراقية لا يدخل الجنة عجوز أي لا يبقى في
الجنة عجوزا (٢) أي الاكابر والسلاطين

انه قد يفرط فيه فيذكره بما ليس فيه فيكون كذابا ﴿ الثانية ﴾
 انه قد يظهر له من الحب مالا يعتقده فيكون منافقا مرائيا
 ﴿ الثالثة ﴾ انه يقول مالا يتحققه فيكون مجازفا كقوله انه عدل وانه
 ورع وغير ذلك مما لا يتحقق فيه * مدح رجل بين يدي رسول
 الله صلى الله عليه وسلم رجلا * فقال عليه السلام ويحك قطعت عنق
 صاحبك ان كان لا بد من كون احدكم مادحا أخاه فليقل احسب
 فلانا ولا ازكى على الله احدا حسيبه الله ان كان يرى انه كذلك
 ﴿ الرابعة ﴾ ان يفرح الممدوح به وربما كان ظالما فيمصي
 بادخال السرور على قلبه * وقال صلى الله عليه وسلم ان الله
 ليغضب اذا مدح الفاسق * وقال الحسن من دعا لفاسق بالبقاء
 فقد أحب ان يعصى الله * فالظالم الفاسق ينبغي ان يذم لتفتر
 رغبته في الظلم والفسق ﴿ وأما الممدوح ﴾ فاحدى الآفتين فيه
 أن يحدث فيه كبرا أو إعجابا وهما مهلكان — ولذلك قال قطعت
 عنق صاحبك ﴿ الثانية ﴾ أن يفرح به فيفتر عن العمل ويرضى
 عن نفسه * قال صلى الله عليه وسلم لو مشى رجل الى رجل
 بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثنى عليه في وجهه * واما

إذا سلم الممدوح من هذه الآفات في المادح والممدوح فلا بأس به
وربما يندب إليه * قال صلى الله عليه وسلم لو وزن إيمان
أبي بكر بإيمان العالمين لرجح * وقال صلى الله عليه وسلم لو لم
أبعث لبُعِثت ياعمر * وقد أثنى علي كثير من الصحابة إذ
علم أن ذلك يزيد في نشاطهم ولا يورثهم عجباً *

فصل

حق على الممدوح أن يتأمل في خطر الخاتمة ودقائق الرياء وآفات
الاعمال * ويتذكر ما يعرفه من نفسه من القبايح الباطنة لا سيما
في أفكاره وحديث نفسه ما لو عرفه المادح لكف عن الممدوح *
وينبغي أن يظهر كراهة الممدوح ويكرهه بالقلب * وإليه الإشارة بقوله
صلى الله عليه وسلم احثوا التراب في وجوه المداحين * وقال بعضهم
لما أثنى عليه اللهم إن عبدك هذا تقرب إلى بمقتك وأنا أشهدك على
مقتك * فقال علي رضي الله عنه لما أثنى عليه اللهم اغفر لي ما لا
يعلمون ولا تؤاخذني بما يقولون واجعلني خيراً مما يظنون *
﴿ الاصل الثالث في الغضب ﴾

اعلم أن الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة التي

تطالع على الاقنعه * ومن غلب عليه فقد نزع الى عرق
الشیطان فانه مخلوق من النار * وكسر شدة الغضب من
المهمات فی الدین * قال صلی الله علیه وسلم ﴿ ليس الشدید
بالسرعة انما الشدید الذی یملک نفسه عند الغضب ﴾ وقال
علیه السلام ﴿ الغضب یفسد الایمان کما یفسد الصبر العسل ﴾ وقال
علیه السلام ما غضب أحد قط الا اشفی علی جہنم * وقال رجل
یا رسول الله ای شیء أشد قال غضب الله قال فما یقذفني
من غضب الله * قال ان لا تغضب * وقال رجل لرسول الله
صلی الله علیه وسلم مرني بعمل وأقلل فقال علیه الصلوة
والسلام لا تغضب فاعاد علیه رسول الله صلی الله علیه وسلم
مرارا وهو یقول لا تغضب * فكیف لا تعظم آفة الغضب
وهو یحمل فی الظاهر علی الضرب والشتم وإطالة اللسان وفی
الباطن علی الحقد والحسد وإظهار السوء والشماتة والعزم
علی افشاء السر وهتك السر والفرح بمصیبة المغضوب علیه
والغم بمسرته * وكل واحد من هذه الخبائث مہلك *

فصل

عليك في صفة الغضب وظيفتان ﴿ احدهما ﴾ كسره بالرياضة
ولست أعنى بكسره اماطته فانه لا يزول اصله ولا ينبغي ان
يزول بل ان زال وجب تحصيله لانه آلة القتال مع الكفار
والمنع من المنكرات وكثير من الخيرات وهو ككلب الصايد
انما رياضته في تأديبه حتى ينقاد للعقل والشرع فيهبج باشارة
العقل والشرع ويسكن باشارتهما ولا يخالفهما كما ينقاد الكلب
للصياح — وهذا ممكن بالمجاهدة وهو اعتياد الحلم والاحتمال
مع التعرض للمغضبات ﴿ الثانية ﴾ ضبط الغضب عند الهيجان
بالكظم * ويعين عليه علم وعمل ﴿ أما العلم ﴾ فهو ان يعلم انه لا
سبب لغضبه الا انه انكر ان يجري الشيء على مراد الله
لا على مراده * وهذا غاية الجهل * والاخر ان يعلم ان غضب الله
عليه أعظم من غضبه عليه وان فضل الله أكبر * وكم عصاد وخالف
امره فلم يغضب عليه ان خالفه غيره فليس أمره عليه ألزم على
عبد ه واهله ورفقته من امر الله عليه ﴿ واما العمل ﴾ فهو ان
يقول اعوذ بالله من الشيطان الرجيم اذ يعلم ان ذلك من الشيطان

فان لم يسكن جلس ان كان قائماً ويضطجع ان كان قاعداً
كذلك ورد الخبر باختلاف الحال انه يؤثر في التسكين * وان
لم يسكن فليتوضأ * قال عليه الصلوة والسلام * ان الشيطان خلق
من النار وانما تطفأ النار بالماء فاذا غضب احدكم فليتوضأ
وقال عليه السلام ألا ان الغضب جرة في قلب ابن آدم الا
تروى الى حمرة عينيه وانتفاخ اوداجه فمن وجد من ذلك
شيئاً فليضرب خده بالارض * وهذه اشارة الى تمكين اعز
الأعضاء من اذل المواضع لينكسر الكبر فانه السبب الاعظم
في الغضب ليعلم انه عبد ذليل فلا يليق به الكبر * قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليدرك بالحلم درجة
القائم الصائم وانه ليكتب جباراً وما يملك الا اهل بيته * وقال
صلى الله عليه وسلم * من كظم غيظاً ولو شاء ان يمضيه امضاه
ملاً الله تعالى قلبه يوم القيامة أمناً وإيماناً * وقال عليه السلام
ما من جرعة احب الى الله تعالى من جرعة غيظ يكظمها عبد وما
كظمها عبد الا ملاً الله جوفه إيماناً *

﴿ الاصل الرابع في الحسد ﴾

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب ﴾ وقال عليه السلام ثلاث لا ينجو منهن احد ﴿ الظن والطيرة والحسد ﴾ وسأحدثكم بالخروج من ذلك اذا ظننت فلا تحقق واذا تطيرت فامض واذا حسدت فلا تبغ * وقال عليه السلام دب اليكم داء الامم قبلكم ﴿ الحسد والبغضاء ﴾ والبغضة هي الحاققة * وقال ذكرى عليه السلام قال الله تعالى الحاسد عدو لنعمتي مسخط لقضائي غير راض بقسمتي التي قسمت بين عبادي ﴿ واعلم ﴾ ان الحسد حرام وهو ان تحب زوال النعمة من غيرك او تحب نزول مصيبة به * ولا تحرم المنافسة وهي ان تغبطه وتشتي لنفسك مثله ولا تحب زوالها منه * ويجوز ان تحب زوال النعمة ممن يستعين بها على الظلم والمعصية لانك لا تريد زوال النعمة وانما تريد زوال الظلم * وعلامته انه لو ترك الظلم والمعصية لم تحب زوال نعمته * وسبب الحسد اما الكبر واما العداوة واما خبث النفس اذ يبخل بنعمة الله على عباده من غير غرض فيه له *

❦ فصل ❦

اعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلب * ومرض القلب لا يداوى الا بمعجون العلم والعمل ﴿فاما العلاج العلمي﴾ فهو ان يعلم ان حسده يضره ولا يضر محسوده بل ينفعه * اما انه يضره فهو انه يبطل حسناته ويعرضه لسخط الله تعالى اذ يسخط قضاء الله ويشع بنعمته التي وسعها من خزائنه على عباده وهذا ضرر في دينه ﴿واما ضرره في دنياه﴾ فهو انه لا يزال في غم دايم وكمد لازم وذلك مراد عدوه منه فان اهم اغراض عدوه واكمل النعمة عليه حزن حاسده * فقد كان يريد المحنة لعدوه فحصلت له * والحسود لا يخلو قط من الغم والمحنة اذ لا يزال اعداؤه او واحد منهم في نعمة ﴿واما انه﴾ ينفع عدوه ولا يضره لان النعمة لا تنزل بحسده وانه يضاعف حسناته اذ تنقل حسنات الحاسد * اليه لاسيما اذا طول اللسان فيه فانه مظلوم من الحاسد فقد طلب الحاسد زوال نعمة الدنيا منه فاضاف اليه نعمة الآخرة وحصل لنفسه مع عذاب الدنيا عذاب الآخرة فهو كمن رمى عدوه

بحجر فلم يصب عدوه وعاد الى عينه فاعماها * وزادت عليه
 شامة عدوه ابليس فانه فاتته النعمة وفاته الرضاء بالقضاء * ولو
 رضي به لكان فيه ثواب لا سيما اذا حسد على العلم والورع فان
 محب العالم يعظم ثوابه ﴿ واما العلاج العملي ﴾ فهو ان يعرف
 حكم الحسد وما يتقاضاه من قول وفعل فيخالفه ويعمل
 بنقيضه فيشنى على المحسود ويظهر الفرح بنعمته ويتواضع له
 وبذلك يمود المحسود صديقا له ويرائله الحسد ويتخلص
 عن ائمه والله قال الله تعالى ﴿ ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي
 بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم ﴾

❦ فصل ❦

لعل نفسك لا تطاوعك على التسوية بين عدوك وصديقك
 بل تكره مساواة الصديق دون العدو وتحب نعمة الصديق
 دون العدو ولست مكلفا بما لا تطيق فان لم تقدر على ذلك
 فتخلص من الائم بامرين ﴿ احدهما ﴾ ان لا تظهر الحسد
 بلسانك وجوارحك واعمالك الاختيارية بل تخالف موجهها
 ﴿ والثاني ﴾ ان تكره من نفسك حبها زوال نعمة الله تعالى

عن عبد من عباده فاذا اقترنت الكراهة عن باعث الدين
بحب زوال النعمة التي اقتضاه الطبع اندفع عنك الاثم وليس
عليك تغيير الطبع فان ذلك لا تقدر عليه في اكثر الاحوال
وعلاوة الكراهية ان تكون بحيث لو قدرت على ازالة نعمته
لم تقدم على الازالة مع حبك لها ولو قدرت على معونته في
دوام نعمته او في زيادتها فعلت مع كراهيتك لذلك * فاذا
كنت كذلك فلا اثم عليك فيما يتقاضاه طبعك فان الطبع
انما يصير مقهورا في حق المستهتر بالله الذي انقطع نظره عن
الدنيا وعن الخلق * بل علم ان المنعم عليه ان كان في النار فما
تنفع هذه النعمة وان كان في الجنة فاي نسبة لهذه النعمة الى
الجنة بل يرى كل الخلق عباد الله تعالى فيحبهم لانهم عباد
لمحبوبه ويجب ان يظهر اثر نعمة محبوبه على عباده * وهذه حالة
نادرة لا تدخل تحت التكليف *

﴿ الاصل الخامس في البخل وحب المال ﴾

واعلم ان البخل من المملكات العظيمة قال الله تعالى ﴿ ومن
يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾ وقال الله تعالى ولا تحسبن

الذين ييخلون بما آتاهم الله من فضله ﴿ الآية وقال الله تعالى
 ﴿ الذين ييخلون ويأمرون الناس بالبخل ﴾ الآية وقال صلى الله عليه
 وسلم اياكم والبخل فانه اهلك من كان قبلكم * وقال صلى الله
 عليه وسلم السخاء شجرة تنبت في الجنة فلا يلبح الجنة الا
 سخى * والبخل شجرة تنبت في النار فلا يلبح النار الا ببخل
 وقال عليه السلام ثلاث مهلكات ﴿ شح مطاع وهوى متبع
 وأعجاب المرء بنفسه ﴾ وقال عليه السلام ﴿ شر ما في الرجل
 شح هالع وجبن خالع ^(١) ﴾ وقال عليه السلام ان الله يمقت البخل
 في حياته ويحب السخي عند موته * وقال عليه السلام السخي
 الفاجر احب الى الله من العابد البخل ^(٢) * وقال عليه السلام
 لا يجتمع اثنان في مؤمن البخل وسوء الخلق *

— فصل —

اعلم ان اصل البخل حب المال وهو مذموم ومن لا مال له لا
 يظهر بخله بالامساك ولكن يظهر بحب المال * ورب رجل

(١) هالع هلعاً من باب تعب أي جزع وقوله خالع الخلع نزع الشيء
 واخرجه (٢) وفي النسخة الدمشقية والعراقية السخي الجهول

سني لكنه يحب المال فيسني به ايذكر بالسخاء * وذلك
ايضا مذموم لان حب المال يلهي عن ذكر الله عز وجل
ويصرف وجه القلب الى الدنيا ويحكم علاقته فيها حتى يشغل
عليه الموت الذي فيه لقاء الله تعالى قال الله عز وجل ﴿ يا أيها
الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا اولادكم عن ذكر الله ﴾
وقال الله تعالى انما أموالكم واولادكم فتنة * وقال تعالى
الهيكم التكاثر * وقال صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة
فتحبوا الدنيا * وقيل للنبي عليه الصلوة والسلام اي أمتك
أشر فقال عليه السلام الاغنياء * وقال عليه السلام من
أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه اخذ حتفه وهو لا يشعر وقال
رجل يارسول الله اني لا احب الموت قال عليه السلام هل
لك مال قال نعم * قال عليه السلام قدم مالك فان قلب
الرجل مع ماله ان قدمه أحب ان يلحقه وان أخره أحب ان
يتخلف * وقال عليه الصلوة والسلام اذا مات العبد قالت
الملائكة ما قدم * وقال الناس ما خلف * وقال عليه الصلوة والسلام

تعس ^(١) عبد الدرهم تعس عبد الدينار تعس وانتكس وإذا
شيك فلا انتقش ^(٢) *

فصل

اعلم ان المال ليس مذموما من كل وجه * وقد قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح * وقال
عليه الصلوة والسلام ﴿ الدنيا مزرعة الآخرة ﴾ وكيف يكون
مذموما مطلقا والعبد مسافر الى الله تعالى والدنيا منزل من
منازل سفره وبدنه مركبه ولا يمكنه السفر الى الله الا به ولا يبقى
البدن الا بمطعم وملبس ولا وصول اليهما الا بالمال لكن من
فهم فايده المال وعلم انه آلة علف الدابة لسلوك الطريق لم
يُعرَّج عليه ولم يأخذ منه الا قدر الزاد فان اقتصر على ذلك سعد به

(١) تعس بفتح العين أى سقط على وجهه وفي الدعاء تعسا له
وتعس وانتكس فالتعس أن يخذل وجهه والنعكس أن لا يستقل بعد سقطته
(٢) أي اذا وصل شوك في عضوه فلا انتقش على بناء المبني للمفعول
دعاء عليه بعدم اخراجه بالنتقاش يعنى اذا وقع في البلاء فلا يترحم عليه
وانما خص انتقاش الشوك بالذكر لان الانتقاش أسهل ما يتصور في
المعاونة لمن أصابه مكروه واذا نفى ذلك الاهون فما فوقه بالطريق الاولى

كما قال النبي عليه السلام لعائشة رضي الله عنها إذا أردت اللحاق بي
فأقنعي من الدنيا بزاد الراكب ولا تجدي ولا تخلمي قيصا حتى
ترقعيه ﴿ وقال عليه الصلوة والسلام اللهم اجعل قوة آل محمد
كفافاً وان زاد على قدر الكفاية هلك كما قال عليه الصلوة
والسلام من أخذ من الدنيا فوق ما يكفيه أخذ حتفه وهلك
وهو لا يشعر * وكذلك المسافر إذا أخذ ما يزيد على زاد
الطريق مات تحت ثقله ولم يبلغ مقصد سفره * فالزيادة على
قدر الكفاية مهلكة من ثلاثة أوجه ﴿ أحدها ﴾ أن يدعو إلى
المعاصي فانه يمكن منها ومن العصمة ان لا تقدر * وفتنة السراء
اعظم من فتنة الضراء والصبر مع القدرة أشد ﴿ والثاني ﴾
ان يدعو إلى التمتع بالمباحات وهو أقل الدرجات فينبت
على التمتع جسده ولا يمكنه الصبر عنه وذلك لا يمكن استدامته
الا بالاستعانة بالخلق والالتجاء إلى الظلمة وذلك يدعو إلى
النفاق والكذب والرياء والعداوة والبغضاء * ويتشعب منه جملة
المهلكات — ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ﴿ حب الدنيا
رأس كل خطيئة ﴾ ﴿ والثالث ﴾ ان يلهي عن ذكر الله عز

وجبل الذي هو اساس السعادة الاخرية اذ يزدحم على القلب خصومة الفلاحين ومحاسبة الشركاء والتفكر في تدبير الحذر منهم وتدبير استثناء المال وكيفية تحصيله اولا وحفظه ثانيا واخر اجه ثالثا * وكل ذلك مما يسود القلب ويزيل صفاءه ويلهي عن الذكر كما قال الله تعالى ﴿ الهيكم التكاثر ﴾ الى آخر السورة *

فصل

لكم تشتهي ان تعرف مقدار الكفاية وتقول ما من غني الا ويدعي أن ما في يده دون مقدار الكفاية ﴿ فاعلم ﴾ ان الضرورة انما تدعو الى المطعم والملبس فقط * فان تركت التجميل في الملبس فيكفيك في السنة ديناران لشتائك وصيفك فتتخذ بهما ثوبا خشنا يدفع عنك الحر والبرد * وان تركت التمتع في مطعمك والشبع من الطعام في جميع احوالك فيكفيك في كل يوم مدية فيكون في السنة خمس مائة رطل ويكفيك لادامك ان لم توسع فيه واقتصرت على اليسير منه في بعض الاوقات ثلاثة دنائير على التقريب في السنة عند رخاء الاسعار

فاذا يبلغ كفايتك خمس دنانير وخمس مائة رطل وهو القدر
 الذي تقدره اذا فرضنا نفقة العزب * فان كنت معيلا
 فخذ لكل واحد منهم مثل ذلك * فاذا كنت كسوبا وكسبت
 في اليوم ما يكفيك ليومك فالصرف واشتغل بعبادتك فان
 طلبت الزيادة صرت من اهل الدنيا * وان لم تكن كسوبا
 وكنت مشغولا بالعلم والعبادة واقتنيت ضيعة يدخل منها هذا
 القدر دائما * فارجو ان لا تصير بذلك من اهل الدنيا لاسما
 في هذه الاعصار وقد تغيرت القلوب واستولى عليها الشح
 وانصرفت الهمم عن تفقد ذوى الحاجات فاقتناء هذا القدر اولى
 من السؤال وهذا بشرط ان يكون بودك ان تتخلص من التعرض
 الى الجوع والبرد لتطرح الضيعة وتركها ولا تكون كارها
 للموت ولا محبا للضيعة * ولكن الضيعة وهى مدخل طعامك
 كالخلاء الذي هو موضع فراغك فانما تريده للضرورة وبودك
 لو تخلصت منه لتخرج عن النهي في قوله صلى الله عليه وسلم
 لا تتخذوا الضيعة فتحبوا الدنيا * فانك اذا قصدت الفراغة
 للاستعانة بها على الدين كنت متزودا مسافرا لا معرجا على

الضيعة * وربما لا يحتمل بعض الاشخاص القناعة بالقدر الذي ذكرته الا بشدة ومشقة * ولا حرج في الدين في ازدياد الضعف على هذا القدر ^(١) اذ لا يصير من ابناء الدنيا ولا يخرج من حزب ابناء الآخرة والمسافرين الى الله تعالى مادام يقصد بذلك دفع الالم شاغل عن الذكر والعبادة دون التلذذ والتنعم في الدنيا * ثم ما فضل من الطعام صرفه الى البائس والأرامل ^(٢) ولا يبقى بعد هذه الرخصة داعية الى الزيادة الا للتنعم او للتصدق او للاستظهار لو اصاب المال آفة (أما التنعم) فاعراض عن الله تعالى واشتغال بالدنيا (وأما التصدق) فترك المال افضل منه * قال عيسى عليه السلام يا طالب الدنيا لتبر فتركك لها ابر وابر (وأما الاستظهار) لخوف آفة فذلك لا مرد له وهو سوء الظن لا آخر له بل ينبغي ان تدفع ذلك بحسن الظن بتدبير الله عز وجل وهو ان تتصور ان تصيب المال

(١) وفي النسخة الكردية فأرى انه على الضعف من هذا القدر

لا تصير من أبناء الدنيا ولا تخرج الخ

(٢) وفي النسخة الدمشقية الى اللباس والادام والارامل

آفة من حيث لا يتوقع فيتصور ان يفتح للرزق أيضاً باب لا
يحتسب* ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب
وان فرض على الندور خلافه فلا ينبغي ان يمتد العبد أن
سلامته طول عمره عن البلاء محتوم بل البلاء هو الذي يصقل
القلب ويزكيه ويخلصه من الخبائث كلها* ولهذا كان موكلا
بالانبياء ثم الاولياء ثم الامثال فالامثال فاتكل على فضل الله
﴿ وأعلم ﴾ انك لا يصيبك الا ما فيه خيرك وخيرتك فان الله
مدبر الملك والملكوت اعلم بمصالحك*

﴿ فصل ﴾

هذا الذي ذكرته تقريبا يمكن الزيادة عليه والنقصان منه
بالاجتهاد في بعض الاشخاص وفي بعض الاحوال ولكن
اعتقد قطعاً ان المال كالدواء النافع منه قدر مخصوص* والافراط
فيه قاتل والقرب من الافراط ممرض ان لم يقتل فمليك بالتقليل
والحذر من الافراط والرفاهية — فذلك خطر عظيم* وليس
في التقليل الا مشقة قليلة في ايام قلائل وذو الحزم لا يشغل
عليه ان يجوع نفسه لوليمة الفردوس لعله ان اللذة على قدر الجوع

﴿ فصل ﴾

لعلك ترغب في معرفة حد البخل اذ الشخص الواحد قد تشك في انه بخيل ام لا ويختلف الناس فيه ﴿ فاعلم ﴾ ان حد البخل منع ما يوجب به الشرع او المروءة ولا تظن ان من سلم الى زوجته وقريبه ما فرضه القاضي * وضايق وراء ذلك في لقمة فليس ببخيل * وان من رد الخبز واللحم الى الخباز والقصاب لنقصان قدر منه يسير ليس ببخيل وان كان له ذلك في الشرع فان معنى الشرع في هذه الامور قطع خصومة البخلاء بتقدير مقدار يطيقه البخيل — ولذلك قال الله تعالى ﴿ ان يسئلكموها فيحلفنكم تبخلوا ﴾ بل لا بد من مراعاة المروءة ودفع قبح الاحدوثة وذلك يختلف باختلاف الاشخاص وقدر المال * ومن له مال وامكنه ان يقطع هجو شاعر وذمه عن نفسه بقدر يسير فلم يفعله فهو بخيل وان لم يكن ذلك واجبا عليه اذ قال صلى الله عليه وسلم ﴿ ما وقى المرء به عرضه فهو له صدقة ﴾ والتحقيق فيه ان المال خلق لفائدة لاجلها يمسك وفي بذله ايضا فائدة فمما ظهر له ان فائدة البذل اعظم من فائدة الامساك ثم شق عليه البذل

فهو بخيل محب للمال * والمال لا ينبغي ان يحب لذاته بل لفائده
 فيصرف الى اقوى فائدة وحفظ المروة افضل واقوى من
 التمتع بالاكل الكثير مثلاً * وقد يحمله البخل وحب المال على
 ان يجهل اقوى الفائدتين واوليها وذلك غاية البخل * فان
 علم وعسر عليه البذل فهو بخيل ايضا وان بذل تكلفاً * بل انما
 يبرأ عن البخل بان لا يثقل عليه بذل المال فيما ينبغي ان يبذل
 فيه عقلاً وشرعاً * واما درجة السخاء فلا تنال الا ببذل
 ما يزيد على واجب الشرع والمروة جميعاً *

﴿ فصل ﴾

لعلك تريد ان تفهم علاج البخل ﴿ فاعلم ﴾ ان دواءه معجون
 مركب من العلم والعمل ﴿ اما العلم ﴾ فهو ان تعلم ما في البخل
 من الهلاك في دار الآخرة والمذمة في الدنيا وتعلم ان المال
 لا يتبعه ان بقي الى قبره * وانما المال لله تعالى مكنه منه ليصرفه
 الى اهم اموره * وتعلم ان امساك المال ان كان للتمتع في الشهوات
 ففسن الاحدوثة وثواب الآخرة اعظم والذمة * فمضاء الشهوة
 سجية البهايم * وهذه سجية العقلاء * وان كان يمسكه ليتركه لولده

فكانه يترك ولده بخير ويقدم على ربه بشر — وهذا عين
الجهل كيف وولده ان كان صالحا فالله تعالى يكفيه وان كان
فاسقا فيستعين به على المعصية ويكون هو سبب تمكنه منها
فيتضرر هو ويتنعم غيره ﴿ واما العمل ﴾ فهو ان يحمل نفسه على
البذل تكلفا ولا يزال يفعل ذلك حتى يصير له عادة ومن نوافذ
حيلة فيه ان يخدمه بحسن الاسم وتوقع المكافاة حتى يرغب
في البذل * ثم بعد ذلك يتدرج ايضا الى قمع هذه الصفات *
﴿ الاصل السادس الرعونة وحب الجاه ﴾

قال الله عز وجل ﴿ تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوًّا في الارض ولا فسادا ﴾ الآية وقال عليه السلام ﴿ حب
المال والجاه ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل ﴾
وقال عليه الصلاة والسلام ﴿ ما ذئبان ضاريان ارسلاني زريبة
غمم باكثر فسادا فيهما من حب المال والجاه في دين الرجل المسلم ﴾
وقال عليه الصلاة والسلام في مدح الحمول رب أشعث اغبر
ذي طمرين لا يوبه به لو اقسم على الله لا برّه * وقال عليه الصلاة
والسلام ان اهل الجنة كل أشعث اغبر ذي طمرين لا يوبه له

الذين اذا استاذنوا على الامراء لم يؤذن لهم * واذا خطبوا
النساء لم يحدوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوائج احدهم
تجلجل في صدره لو قسم نوره يوم القيامة على الناس لو سمعهم
وقال سليمان بن حنظلة بينما نحن حول ابي بن كعب نمشي
خلفه إذ رآه عمر فعلاه بالدرة * فقال انظر يا امير المؤمنين
ما تصنع * فقال ان هذا مذلة للتابع وفتنة للمتبع * وقال الحسن
ان خفق النعال خلف الرجل قل ما ثبت معه قلوب الحمقاء
وقال أبو أيوب والله ما صدق الله عبد الاسرء ان لا يشعر
بمكانه فقد عرفت بهذا مذمة الشهرة والجاه الا ان يشهر الله
عبدا في الدين من غير طلب منه كما يشهر الانبياء والخلفاء
الراشدين والعلماء والاولياء *

﴿ فصل ﴾

حقيقة الجاه هي ملك القلوب لتتسخر لذي الجاه على حسب
مراده وتطلق اللسان بالثناء عليه وتسعى في حاجته وكما ان
معنى المال ملك الدراهم ليتوصل بها الى الاغراض كذلك
معنى الجاه ملك القلوب لكن الجاه أحب لان التوصل به

الى المال أيسر من التوصل بالمال الى الجاه ولانه محفوظ عن
ان يسرق ويفسب او تعرض له الآفة ولانه يسرى وينمو
من غير تكلف * فان من ملك قلبه باعتقاد التعظيم فلا يزال
يثني ويقتنص قلوب سائر الناس لصاحبه * وفيه سر آخر
وهو ان الجاه معناه العلو والكبرياء والعز وهي من الصفات
الالهية والالهية محبوبة للانسان بالطبع بل هو الذ الاشياء
عنده وذلك لسرّ خفي في مناسبة الروح للامور الالهية وعنه
العبارة بقوله تعالى ﴿ قل الروح من امر ربي ﴾ فهو امر رباني
شغفه من حيث الطبع للاستبداد والافتراد بالوجود وهو
حقيقة الالهية اذ ليس مع الله موجود بل الموجودات كلها
كالظل من نور القدرة فلها رتبة التبعية لارتبة المعية * فليس
في الوجود مع الله غيره * وكان الانسان يشتهي ذلك بل في كل
نفس ان يقول أنار بكم الا على لكن اظهره فرعون واخفاه
غيره ولكن ان فاته الافتراد بالوجود فيشتهي ان لا يفوته
الاستعلاء والاستيلاء على الموجودات كلها ليتصرف فيها
على حسب مراده وهو الالهية لكن تعذر على الانسان ذلك

في السموات والكواكب والبحار والجبال * فاشتهي الاستيلاء
على جميعها بالعلم لان العلم نوع استيلاء ايضا كما ان من عجز عن
وضع الاشياء العجيبة فيشتهي ان يعرف كيفية الوضع
وكذلك يشتهي ان يعرف عجائب البحر وما تحت الجبال
ويتصور ان يتسخر له الاعدان التي على وجه الارض من
الحيوان والمعادن والنبات * فيحب ان يملكها ويتمو لها
ويتصور ان يتسخر له الانسان فيحب ان يتسخره بواسطة
قلبه * ويملك قلبه بالقاء التعظيم فيه ويحصل التعظيم بان يعتقد
فيه كمال الخصال فان الاجلال يتبع اعتقاد الكمال — فلماذا
يحب الانسان ان يتسع جاهه وينتشر صيته حتى الى البلاد
التي يعلم قطعا انه لا يطاؤها ولا يرى اهلها لان كل ذلك
يناسب صفات الربوبية * وكما صار عقل كانت هذه الصفة
عليه اغلب وشهواته البهيمية فيه أضعف *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول فاذا كان كذلك فلم كان طلب الرفعة مذموما وهو
من نتائج العقل وخواص الروح المناسبة للامور الربانية ﴿فاعلم﴾

ان الرفعة الحقيقية طلبها محمود غير مذموم اذ مطلوب الكل هو
القرب من الله تعالى -- وذلك هو الرفعة والكمال اذ هو عز لا ذل
فيه وغنى لا فقر معه * وبقاء لا فناء بعده * ولذة لا كدورة لها
وطلب ذلك محمود * وانما المذموم طلب الكمال الوهمي دون
الحقيقي والكمال الحقيقي يرجع الى العلم والحرية والقدرة
وهو ان لا يكون مقيداً بغيره ولا يتصور للعبد حقيقة القدرة
فان قدرته انما تكون بالمال والجاه وذلك كمال وهمي فانه امر
عارض لا بقاء له ولا خير فيما لا بقاء له بل قيل

(اشد الغم عندي في سرور * تيقن عنه صاحبه انتقالا)
كيف وهذه القدرة العارضة مع سرعة انقضائها بالموت وبآفات ما قبله
لا تصفو عن الكدورات فمن توهمها كمالا فتدزل * بل الكمال في
الباقيات الصالحات التي تنال بها القرب من الله سبحانه * ولا
نزول بالموت بل تتضاعف تضاعفا غير محدود -- وذلك هو
المعرفة الحقيقية بذات الله تعالى وصفاته وافعاله وهو العلم بكل
الموجودات اذ ليس في الوجود الا الله تعالى وافعاله * لكن
قد ينظر فيها الناظر لا من حيث انها افعال الله تعالى كالذي

ينظر في التشريح لغرض الطب او ينظر في هيئة العالم لمعرفة
الاستدلال باحكام النجوم * فهذا لا قدر له * ومن الكمال
الحقيقي الحرية وهو انقطاع علاقتك عن جميع علايق الدنيا
بل عن كل ما يفارقك بالموت والاقتصار في الالتفات الى
لازمك الذي لا بد لك منه وهو الله تعالى كما اوحى الله الى
داود ياد او دانا بدك اللازم فالزم بدك * فالعلم والحرية من
الباقيات الصالحات وهما كما لان حقيقيان والمال والبنون زينة
الحياة الدنيا وهما كما لان وهميان * والمنكوسون هم الذين
عكسوا الحقيقة فاعرضوا عن طلب الكمال الحقيقي واشتغلوا
بطلب الكمال الوهمي * وهم الذين يحترقون عند الموت بنيران
الحسرة اذ يشاهدون انهم خسروا الدنيا والآخرة * واما
الآخرة فلانهم يطلبونها ولم يحصلوا أسبابها من المعرفة
والحرية * واما الدنيا فلانها ودعتهم وانقلبت الى أعدائهم
وهم ورثتهم ولا تظن ان الايمان والعلم يفارقانك بالموت * فالموت
لا يهدم محل العلم أصلا وليس الموت عدما حتى تظن انك اذا
عدمت عدمت صفاتك بل معنى الموت قطع علاقة الروح

من البدن الى ان تعاد اليه * واذا تجرد عن البدن فهو على ما كان عليه قبل الموت من العلم والجهل * وفهم هذا طويل وتحتة اسرار لا يحتمل هذا الكتاب كشفها *

﴿ فصل ﴾

اذا عرفت حقيقة الجاه وماهيته وانه كمال وهمي فقد عرفت ان طريق العلاج في قمع حبه من القلب * اذا علمت ان اهل الارض لو سجدوا لك مثلاً لما بقي الا الى مدة قريبة لا الساجد ولا المسجود له * كيف ويشح الدهر عليك بان يسلم لك الملك في محلتك فضلاً عن قريتك او بلدتك * فكيف ترضى ان تترك ملك الأبد والجاه الطويل العريض عند الله تعالى وعند ملائكته بجاهك الحقير المنعص عند جماعة من الحمقى لا ينفعونك ولا يضررونك ولا يملكون لك موتاً ولا حياة ولا نشوراً ولا رزقاً ولا اجلاً * نعم ملك القلوب كملك الاعيان وانت محتاج منه الى قدر يسير لتجسس نفسك عن الظلم والعدوان وعما يشوش عليك سلامتك وفراغك التي تستعين بها على دينك * فطلبك لهذا القدر مباح بشرط القناعة

بقدر الضرورة كما في المال * وبشرط ان لا تكتسبه بالمرايات
 بالعبادات فذلك حرام كما سيأتي * وان لا تكتسبه بالتلبيس
 بان تظهر من نفسك ما انت خال عنه فلا فرق بين من يملك
 القلوب بالتلبيس وبين من يملك الاموال * فاذا حصلت
 الجاه بطريقه واقتصرت على قدر التحرز من الآفات
 فترجى لك السلامة الا انك في خطر عظيم اكثر من خطر
 المال لان قليل الجاه يدعو الى كثيره فانه الذم المأل —
 ولذلك لا يسلم الدين مجانا غالبا الا لخامل مجرود لا يعرف
 كما فهمت ذلك من الاخبار *

﴿ فصل ﴾

من البواعث على طلب الجاه حب المدح فان الانسان يتلذذ
 به من ثلاثة أوجه ﴿ أحدها ﴾ انه يشعر صاحبه بكمال نفسه
 والشعور بالكمال لذيد لأن الكمال من الصفات الالهية ﴿ والثاني ﴾
 انه يشعر بملك قلب المادح وقيام الجاه عنده وكونه مسخر له
 ﴿ الثالث ﴾ انه يشعر صاحبه بان المادح يصغى الى مدحه
 فينتشر بسببه جاهه * فكذلك اذا صدر المدح من بصير

بصفات الكمال واسع الجاه والقدرة في نفسه وكان على ملاً
من الناس تضاعفت لذة المدح * وتزول اللذة الاولى بان
يصدر عن غير اهل البصيرة فانه لا يشعر بالكمال * وتزول
الثانية بان يصدر عن خسيس لا قدرة له لان ملك قلبه لا يعتد
به * وتزول الثالثة بان يمدح في الخلوة لا في الملاء الا من
حيث يتوقع انه ايضا ربما يمدح في الملاء ﴿ واما الذم ﴾ فانه
مكروه انقيض هذه الاسباب ﴿ واكثر الخلق ﴾ اهل كرم
حب المدح وكراهية الذم ويحملهم ذلك على المرايات وفنون
المعصية ﴿ وعلاج ﴾ ذلك ان يتفكر في اللذة الاولى فان مدح
بكثرة المال والجاه فيعلم انه كمال وهمي وهو سبب فوات كمال
حقيقي فهو جدير بان يحزن لاجله لا ان يفرح به وان مدح
بكمال العلم والورع * فينبغي ان يكون فرحه بوجود تلك
الصفات ويشكره الله تعالى عليها لا يشكر غيره هذا ان كان
متصفا به ﴿ واما ﴾ ان كان غير متصف به ففرحه به حماقة
كفرح من يثني عليه غيره ويقول ما أطيب العطر الذي في
احشائك او امعائك وهو يعلم ما فيها من الاقدار والانتان

وهذا حال من يفرح من المدح بالورع والزهد والعلم وهو يعلم
من باطن نفسه انه خال عنه ﴿ وأما اللذة الثانية والثالثة ﴾ وهو
لذة الجاه عند المادح وغيره * فملاجه ماذكرناه في حب الجاه
﴿ الاصل السابع حب الدنيا ﴾

واعلم ان حب الدنيا رأس كل خطيئة * وليس الدنيا عبارة عن
المال والجاه فقط بل هما حظان من حظوظ الدنيا * وشعبتان
من شعبها وشعب الدنيا كثيرة * ودنياك عبارة عن حالتك
قبل الموت * وآخرتك عبارة عن حالتك بعد الموت * وكل
مالك فيه حظ قبل الموت فهو من دنياك الا العلم والمعرفة
والحرية * وما يبقى معك بعد الموت فانها أيضاً لذينة عند
أهل البصائر * ولكنها ليست من الدنيا وان كانت في الدنيا
ولهذه الحظوظ الدنيوية تعاون وتعلق بما فيه الحظ وتعلق
بأعمالك المتعلقة باصلاحها فهي ترجع الى أعيان موجودة والى
حظك فيها والى شغلك في اصلاحها ﴿ أما الأعيان ﴾ فهي
الأرض وما عليها قال الله تعالى ﴿ إنا جعلنا ما على الأرض
زينة لها ﴾ الآية ومطلوب الآدمي من الأرض ﴿ أما عينها ﴾

فلهامسكن والمحراث ﴿ وأما نباتها ﴾ فملتداوي والاقتيات ﴿ وأما
 معادنها ﴾ فللنقود والاواني والآلات ﴿ وأما حيواناتها ﴾
 فللمركب والمأكل ﴿ وأما الآدميون ﴾ منها فلهامنكح
 والاستحسان وقد جمع الله سبحانه ذلك في قوله ﴿ زين
 للناس حب الشهوات من النساء والبنين ﴾ الآية ﴿ وأما حظك
 منها ﴾ فقد عبر القرآن الكريم عنه بالهوى فقال الله تعالى
 ﴿ ونهى النفس عن الهوى ﴾ وقال تعالى تفصيلا له ﴿ إنما
 الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر في الأموال
 والاولاد ﴾ الآية وذلك يندرج فيه جميع المهلكات الباطنة من
 الغل والكبر والحسد والرياء والنفاق والتفاخر والتكاثر وحب
 الدنيا وحب الشئ * وهى الدنيا الباطنة ﴿ وأما الاعيان ﴾ هى
 الدنيا الظاهرة ﴿ وأما شغلك فى اصلاحها ﴾ فهى جملة الحرف
 والصناعات التى الخلق مشغولون بها * وقد نسوا فيها انفسهم
 ومبدءهم ومعادهم لاستغراقهم باشغالهم بها * وانما شاغلهم العلاقتان
 فان علاقة القلب بحب حظوظها * وعلاقة البدن بشغل اصلاحها
 فهذه هى حقيقة الدنيا التى حبهارأس كل خطيئة * وانما خلقت

للتزود منها الى الآخرة ولكن كثرة أشغالها وفنون شهواتها
أنست الحمتى سفرهم ومقصدهم فقصروا عليها هممتهم فكانوا
كالخاج في البادية يشتغل بتعهد الناقة وعلقها وتسمينها فيتخلف
عن الرفقة حتى يفوته الحج وتهلكه سباع البادية *

﴿فصل﴾

هذه الدنيا المذمومة المهلكة هي بعينها منزرعة الآخرة في
حق من عرفها اذ يعرف انها منزل لمن منازل السائرين الى
الله عز وجل وهي كرباط بني على قارعة الطريق * أعد فيها
الغاف والزاد وأسباب السفر * فمن تزود منها لآخرته
واقترع منها على قدر الضرورة التي ذكرناها في المطعم والملبس
والمنكح وسائر الضرورات فقد حرث وبذر * وسيحصل في
الآخرة ما زرع * ومن عرج عليها واشتغل بلذاتها هلك
ومثل الخلق فيها كمثل قوم ركبوا سفينة فأنهت بهم الى جزيرة
فامرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وخوفهم المقام واستعجال
السفينة فتفرقوا فيها * فبادر بعضهم وقضى حاجته ورجع الى
السفينة فوجد مكانا خاليا واسما * ووقف بعضهم فنظر في ازهار

الجزيرة وانوارها وظرايف احجارها وعجايب غياضها ونفحات
 طيورها * فرجع الى السفينة فلم يجد الامكانا ضيقا حرجا
 واكبر بعضهم على تلك الاصداغ والاحجار وأعجبه حسنهما فلم
 تسمح نفسه الا بان يستصحب شيئا منها فلم يجد في السفينة الا
 مكانا ضيقا وزادته الحجارة ثقلا وضيقا فلم يقدر على رميها ولم
 يجد لها مكانا فحملها على عنقه وهو ينوء باعبائها * وتولج
 بعضهم الغياض ونسى المركب واشتغل بالتفرج في تلك الازهار
 والتناول من تلك الثمار وهو في تفرجه غير خال من خوف
 السباع والحذر من السقطات والنكبات * فلما رجع الى السفينة
 فلم يصادفها فبقي على الساحل فاقرسته السباع ومزقته الهوام
 فهذه صورة أهل الدنيا بالاضافة الى الدنيا والآخرة فتأملها
 واستخرج وجه الموازنة فيها ان كنت ذا بصيرة *

﴿ فصل ﴾

من عرف نفسه وعرف ربه وعرف زينة الدنيا وعرف الآخرة
 شاهد بنور البصيرة وجه عداوة الدنيا للآخرة اذ ينكشف له
 قطعا ان لاسعادة في الآخرة الا لمن قدم على الله سبحانه

عارفا به محبا له * فان المحبة لا تناله الا بدوام الذكر * وان المعرفة
 لا تنال الا بدوام الطلب والفكر * ولا يتفرغ لهما الا من
 أعرض عن اشغال الدنيا * ولا تستولي المعرفة والحب على القلب
 ما لم يفرغ من حب غير الله تعالى ففراغ القلب عن غير الله
 ضرورة اشتغاله بحب الله تعالى ومعرفته * ولن يتصور ذلك
 الا لمعرض عن الدنيا قانع منها بقدر الزاد والضرورة * فان
 كنت من اهل البصيرة فقد صرت من اهل الذوق
 والمشاهدة * وان لم تكن كذلك فكن من اهل التقليد والايان
 وانظر الى تحذير الله سبحانه * اياك والكتاب والسنة وقد
 قال عز وجل ﴿ من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها نوف اليهم
 اعمالهم فيها ﴾ الآية وقال تعالى ﴿ ذلك بانهم استحَبوا الحياة
 الدنيا على الآخرة ﴾ الآية وقال عز اسمه ﴿ فاما من طغى
 وآثر الحياة الدنيا ﴾ الآية ولعل ثلث القرآن في ذم الدنيا وذم
 اهلها * وقد قال صلى الله عليه وسلم ﴿ الدنيا ملعونة ملعون ما
 فيها الا ما كان لله تعالى منها ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ يا عجب
 كل العجب للمصدق بدار الآخرة وهو يسمى لدار الغرور ﴾

وقال عليه السلام ﴿ الدنيا حلوة خضرة وان الله مستخلفكم فيها فinaظر^ه كيف تعملون ﴾ وقال عليه السلام ان الله عز وجل لم يخلق خلقا أبغض اليه من الدنيا وانه لم ينظر اليها منذ خلقها * وقال عليه السلام من أصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم قلبه أربع خصال هما لا ينقطع عنه أبدا وشغلا لا يتفرغ عنه أبدا وفقرا لا يبلغ غناه أبدا وأملا لا يبلغ منتهاه أبدا * وقال ابو هريرة قال صلى الله عليه وسلم يا أبا هريرة الا أريك الدنيا جميعها قلت نعم * فأخذ بيدي الى مزبلة فيها رؤس أناس وعذرات وخرق وعظام * فقال عليه السلام يا أبا هريرة هذه الرؤس كانت تحرص كحرصكم وتأمل آمالكم ثم هي اليوم عظام بلا جلد ثم ستصير رمادا وهذه العذرات ألوان اطعمتهم اكتسبوها من حيث اكتسبوها ثم قذفوها من بطونهم فاصبحت والناس يتحامونها * وهذه الخرق البالية كانت رياشهم ولباسهم فاصبحت والرياح تصفقها وهذه العظام عظام دوابهم التي كانوا ينتجعون^(١) عليها أطراف

(١) اي يطلبون ويكتسبون * وانتجع طلب الكلاء في موضعه

البلاد فمن كان باكيا على الدنيا فليبك * وقال صلى الله عليه
 وسلم ليحيئن اقوام يوم القيامة واعمالهم كجبال تهامه فيؤمر
 بهم الى النار * قالوا يا رسول الله مصلين ^(١) قال نعم كانوا يصلون
 ويصومون ويأخذون هنة ^(٢) من الليل فاذا عُرِض لهم شيء
 من الدنيا وثبوا عليه * وقال عيسى عليه السلام لا يستقيم
 حب الدنيا والآخرة في قلب مؤمن كما لا يستقيم الماء والنار
 في اناء واحد وقال نبينا صلى الله عليه وسلم احذروا الدنيا
 فانها اسحر من هاروت وماروت * وقال عيسى عليه السلام
 يا معشر الحوارين ارضوا بدني الدنيا مع سلامة الدين كما رضي
 اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا * وقال عيسى عليه
 السلام للحواريين لا تأكل خبز الشعير بالملح الجريش ^(٣) ولبس
 المسوح ^(٤) والنوم على المزابل كثير مع عافية الدنيا والآخرة
 وروي ان عيسى عليه السلام كوشف بالدنيا فرآها في صورة
 عجوز شوهاء عليها من كل زينة * فقال لها كم نكحت فقالت

(١) وفي النسخة الدمشقية أو مصلين (٢) اي ساعة لطيفة

(٣) الملح الغير الطيب (٤) الثوب الخلق الخشن المرقع

اني لا احصيهم * فقال يطلقونك او ماتوا عنك فقالت بل
 قتلت كلهم * فقال عيسى عليه السلام عجيباً لازواجك الباقيين
 كيف لا يعتبرون بازواجك الماضين *

❦ فصل ❦

اعلم ان من ظن انه يلبس الدنيا بيده ويخلو عنها بقلبه فهو
 مغرور * وقال النبي صلى الله عليه وسلم مثل صاحب الدنيا كمثل
 الماشي في الماء هل يستطيع الذي يمشي في الماء الا يبتل قدماه
 وكتب علي رضي الله عنه الى سلمان الفارسي رضي الله عنه
 مثل الدنيا مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها * فاعرض عما يعجبك
 منها لقلة ما يصحبك منها * وضع عنك همومها لما أيقنت من
 فراقها * وكن اسرّ ماتكون بها احذر ماتكون منها فان صاحبها
 كلما اطمأن منها الى سرور اشخصه عنه مكروه * وقال عيسى
 عليه السلام مثل الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شرباً
 ازداد عطشاً حتى يقتله ﴿ واعلم ﴾ ان من اطمأن الى الدنيا وهو
 يتيقن انه راحل عنها هو في غاية الحماقة * بل مثل الدنيا مثل
 دار هياها صاحبها وزينها لضيافة الواردين والصادرين *

فدخل واحد داره فقدم اليه طبقاً من ذهب عليه بخور
وريحان ليشمها ويتركه لمن يلحقه لاليتماكه فجعل رسمه فظن انه
وهب ذلك له * فلما تعلق به قلبه استرجع منه فضجر وتوجع
ومن كان عالماً برسمه انتفع به وشكره ورده بطيبة قلبه
وانشراح صدره فكذلك سنة الله في الدنيا فانها دار ضيافته
على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها ما ينتفعون به كما
ينتفع بالعمارة ثم يتركونها لمن يلحق بعدهم بطيبة نفس من
غير تعلق القلب بها لا كمن يتعلق القلب بها *

﴿ الاصل الثامن في التكبر ﴾

قال الله سبحانه ﴿ كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار ﴾
وقال تعالى فبئس مثوى المتكبرين * وقال صلى الله عليه وسلم
قال الله تعالى العظمة ازارى والكبرياء ردائي فمن نازعني
فيها قصمته * قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة من كان
في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر * وقال عليه السلام يحشر
الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صور الذر يطوهم الناس
لهو انهم على الله عز وجل * وقال صلى الله عليه وسلم لبلال ان

في جهنم وادياً يقال له ﴿ هبهب ﴾ حق على الله سبحانه ان
 يسكنه كل جبار فاياك يا بلال ان تكون ممن يسكنه * وقال عليه
 السلام اللهم اني اعوذ بك من نفخة الكبر * وقال عليه السلام
 لا ينظر الله تعالى الى من جرّ ثوبه خيلاء * وقال عليه السلام من
 تعظم في نفسه واختال في مشيته لقي الله وهو عليه غضبان
 وقال عليه السلام في فضيلة التواضع ما زاد الله عبدا بعفو الا
 عزاً * وما تواضع احد لله الا رفعه الله * وقال عليه السلام طوبى
 لمن تواضع في غير مسكنة * واوحى الله تعالى الى موسى عليه
 السلام انما اقبل صلوة من تواضع لعظمتي ولم يتعظم على خلقي
 وألزم قلبه خوفاً وقطع النهار بذكرى وكف نفسه عن الشهوات
 من أجل * وقال نبينا صلى الله عليه وسلم اذا تواضع العبد لله
 رفعه الله الى السماء السابعة * وقال عليه السلام ان التواضع لا
 يزيد العبد الا رفعة فتواضعوا رحمكم الله * وقال عليه السلام انه
 لي عجبني ان يحمل الرجل الشيء في يده فيكون مهنة لاهله
 يدفع به الكبر عن نفسه *

فصل

حقيقة الكبر ان يرى نفسه فوق غيره في صفات الكمال
فيحصل فيه نفخة وهزة من هذه الرذيلة والعقيدة — ولذلك
قال صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من نفخة الكبر — ولذلك
استأذن بعضهم عمر رضى الله عنه ليعظ الناس بعد الصبح
فقال لا خشى ان يتفخ حتى تبلغ التريا* ثم هذه النفخة يصدر
منها أفعال على الظاهر كالترفع في المجالس والتقدم في الطريق
والنظر بعين التحقير والغضب اذا لم يبدأ بالسلام وقصر في
جوابه وتمظيمه ويحمله على ان يأنف اذا وعظ* ويعتف اذا
وعظ وعلم* ويجحد الحق اذا ناظر وينظر الى العامة كأنه ينظر
الى الحمير* وانما عظم الكبر حتى لا يدخل الجنة من في قلبه
مثقال ذرة منه لان محته ثلاثة انواع من الخبائث العظيمة
﴿ اولها ﴾ انه منازعة الله تعالى في خصوص صفته اذ الكبرياء
رداؤه كما قال الله فان العظمة لا تليق الا به* ومن أين تليق
العظمة بالعبد الذليل الذي لا يملك من امر نفسه شيئاً فضلاً
عن امر غيره ﴿ الثانية ﴾ ان يحمله على جحد الحق وازدراء

الخلق قال صلى الله عليه وسلم في بيان الكبر * الكبر من سفة الحق * وغمص الناس والافتة من الحق تغلق باب السعادة وكذا استحقاق الخلق * وقال بعضهم ان الله سبحانه خباء ثلاثا في ثلاث خباء رضاء في طاعته فلا تحقرن شيئا منها لعل رضاء الله فيه وخباء سخطه في معصيته فلا تحقرن شيئا منها صغيرة فلعل سخط الله تعالى فيها وخباء ولايته في عبادته فلا تحقرن احدا منهم فلعله ولي الله تعالى (الثالثة) انه يحول بينه وبين جميع الاخلاق المحمودة لان المتكبر لا يقدر ان يحب للناس ما يحب لنفسه ولا يقدر على التواضع وعلى ترك الانفة والحسد والغضب ولا يقدر على كظم الغيظ وعلى اللطف في النصيح وعلى ترك الرياء * وبالجملة فلا يبقى خلق مذموم الا ويضطر المتكبر الى ارتكابه * ولا خاق محمود الا ويضطر الى تركه

— فصل —

العلاج الجملي لقمع رذيلة الكبر ان يعرف الانسان نفسه وان اوله نطفة مذرة وآخره جيفة قدرة * وهو فيما بين ذلك يحمل العذرة ويفهم قوله تعالى (قتل الانسان ما اكفره من أي شيء)

خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم اماته فاقبره *
 فليعلم انه خالق من كنتم العدم وانه لم يك شيئا مذكورا فلا شيء
 اقل من العدم * ثم خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقه ثم من
 مضغة ليس له سمع ولا بصر ولا حيوة ولا قوة وخلق له ذاك كله
 وهو بعد غاية النقص ان يستولى عليه الامراض والعلل ويتضاد
 فيه الطبايع فيهدم بعضها بعضا فيمرض كرها ويجوع كرها
 ويعطش كرها ويريد ان يعلم الشيء فيجهله ويريد ان ينسى
 الشيء فيذكره ويكره الشيء فينفعه ويشتهي الشيء فيضره
 لا يأمن في لحظة من أن يختلس روحه او عقله او صحته او
 عضو من اعضائه * ثم آخره الموت والتعرض للعقاب والحساب
 فان كان من اهل النار فالخنزير خير منه فمن اين يليق به الكبر
 وهو عبد مملوك ذليل لا يقدر على شيء * قال الحسن البصري
 رحمة الله عليه لبعض من يتبختر في مشيته ماهذه المشية لمن
 في بطنه خراء * فكيف يليق الكبر بمن يغسل العذرة بيده مرتين
 في كل يوم وهو حامل لها على الدوام *

﴿ فصل ﴾

علاج الكبر على التفصيل بالنظر الى ما به التكبر وهو اربع خصال
 ﴿ الاولى ﴾ العلم قال صلى الله عليه وسلم ﴿ آفة العلم الخيلاء ﴾ وقال
 عليه السلام لا تكونوا من جبابرة العلماء فلا يفي علمكم
 بجهلكم * وقل ما يخلو العالم من آفة الكبر * فانه يرى نفسه
 فوق الناس بالعلم الذي هو اشرف فضيلة عند الله عز وجل
 ﴿ فيتكبر ﴾ تارة بالدين بان يرى نفسه عند الله عز وجل افضل
 من غيره * وتارة في الدنيا بان يرى حقه واجبا على الناس ويتعجب
 منهم ان لم يتواضعوا له — وهذا بان يسمى جاها لاولى لان العلم
 الحقيقي ما يعرف به ربه ونفسه وخطر خاتمته وحجة الله عز
 وجل عليه * ويلاحظ الخاتمة فلا يرى جاها لا الا ويقول انه
 عصي الله تعالى بجهل وانا عصيته بعلم فحجة الله تعالى عليّ
 آكد * قال ابو الدرداء رضي الله عنه من ازداد علما ازداد
 تواضعا قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم ﴿ واخفض جناحك
 لمن اتبعك من المؤمنين ﴾ وقال عليه السلام يكون قوم يقرؤن
 القرآن فلا يجاوز حناجرهم يقولون قد قرأنا القرآن فمن أقرأ

منا ومن أعلم منا * ثم التفت وقال ﴿اولئك منكم ايها الامة﴾
 اولئك هم وقود النار * ومن هذا اشتد حذر السلف حتى انه صلى
 حذيفة مرة رحمه الله بقوم فلما سلم قال لتلتمسن^١ اماما غيري
 أو لتصلن^٢ وحدانا اني رأيت في نفسي انه ليس في القوم افضل
 مني * وينبغي ان يتذكر الانسان انه كم من مسلم نظر الى عمر
 رضي الله عنه قبل اسلامه واستحققه ثم كانت خاتمة عمر
 كما كانت وذلك المسلم لعله ارتد بعده فكان المتكبر من اهل
 النار والمتكبر عليه من اهل الجنة * وما من عالم الا ويتصور ان
 يختم له بالسوء ويختم للجاهل بالسعادة * فكيف يكون الكبر مع
 معرفة ذلك * وقد قال صلى الله عليه وسلم يؤتى بالعلم يوم القيامة
 فيلقى في النار فتندلق اقبابه^(١) فتدور به كما يدور الحمار بالرحا
 فيطيف به اهل النار فيقولون مالك فيقول كنت آصرا بالخير
 ولا آتية وانهي عن الشر وآتية * فاي^٣ عالم يسلم عن ذلك فلم
 لا يشغله خوفه عن التكبر * وقد قال الله تعالى في بلعم بن باعورا
 وهو من اكابر العلماء ﴿فمثله كمثل الكلب ان يحمل عليه يلهث﴾

الآية لأنه اخلد الى الشهوات * وقال بعلماء اليهود ﴿ كمثل الحمار
 يحمل اسفارا ﴾ فليُنظر في الاخبار التي وردت في علماء السوء
 حتى يغلب خوفه كبره * وانما يبقى الكبر مع هذا لمن اشتغل
 بعلوم غير نافعة في الدين كالجدل واللغة وغيرهما ولمن اشتغل
 بالعلم وهو خبيث الباطن فازداد خبثه بسببه ﴿ السبب الثاني ﴾
 الورع والعبادة ولا يخلو المتعبد في باطنه عن كبر وقد ينتهي
 الحماقة ببعضهم الى ان يحمل مصائب الناس ومسراتهم على
 كرامته فمن اذاه ومات أو مرض يقول قد رأيتم ما فعل
 الله سبحانه به * وربما يقول عند الايذاء سترون ما يجري عليه
 وليس يدري الا حق ان جماعة من الكفار ضربوا الانبياء
 وآذوهم * ثم متّعوا في الدنيا فلم ينتقم منهم بل ربما اسلم بعضهم
 فسمد في الدنيا والآخرة فكأنه يرى نفسه افضل من الانبياء
 وموذيهِ اخس من الكفار * وحق العابد اذا نظر الى عالم ان
 يتواضع له لجهله وان نظر الى فاسق ان يقول لعل فيه خلقا
 باطنا يستر معاصيه الظاهرة ولعل في باطني حسدا او رياء او
 خبثا خفيا مقتني الله سبحانه عليه فلا يقبل اعماله الظاهرة وان

الله سبحانه ينظر الى القلوب لا الى الصور * ومن الخبث
 الباطن الكبر اذ روي ان رجلا من بني اسرائيل يقال له خليم
 بني اسرائيل لكثرة فسادة جلس الى عابد بني اسرائيل وقال
 لعل الله تعالى يرحمي ببركته * فقال العابد في نفسه كيف يجلس
 معي مثل هذا الفاسق * وقال له قم عني فاوحى الله سبحانه
 الى نبي زمانه مرهما ليستأنفا العمل فقد غفرت للخليم
 واحبطت عمل العابد * وروي ان رجلا وطئ رقبة عابد
 من بني اسرائيل وهو ساجد * فقال له ارفع فوالله لا يغفر الله
 لك فاوحى الله سبحانه اليه ايها المتألى علي بل لا يغفر الله لك
 فالأكياس^(١) يحذرون من ذلك ويقولون ما كان يقول له عطاء
 السلمي مع شدة ورعه كان اذا هبت ريح عاصف او صاعقة
 يقول ما يصيب الناس ذلك الا بسببي ولومات عطاء لتخلصوا
 وقال بعضهم في عرفات انا ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم
 فانظر كم بين من يخلص العمل والورع ثم يخاف على نفسه
 وبين من يتكلف اعمالا ظاهرة لعلها لا تخلو عن الرياء والآفات

(١) جمع كيس وهو ضد الحق ويقال الغلبة بالأكياسة

ثم يمين^(١) على الله بعمله ﴿السبب الثالث الكبر بالنسب﴾ وعلاجه
 ان ينظر في نسبه فان اباه نطفة مذرة وجده التراب ولا اقدر من
 النطفة ولا اذل من التراب * ثم المفتخر بالنسب يفتخر بمخصال
 غيره ولو نطق آباؤه لقالوا من انت في نفسك ما انت الادودة
 من بول من له خصلة حسنة — ولذلك قيل ﴿لئن فخرت بآباء
 ذوى نسب * لقد صدقت ولكن بشس ما ولدوا﴾ وكيف يتكبر
 بنسب ذوي الدنيا ولعلمهم صاروا حممة في النار يودون لو كانوا
 خنازيرا وكلابا يتخلصون مما هم فيه * وكيف يتكبر بنسب
 اهل الدين وهم في انفسهم ما كانوا يتكبرون وكان شرفهم
 بالدين * ومن الدين التواضع وكان احدهم يقول ليتني كنت
 تبنة وليتني كنت طائرا * كلهم قد شغلهم خوف العاقبة عن الكبر
 مع عظم علمهم وعملهم * فكيف يتكبرون بنسبهم من هو عاطل
 عن خصالهم ﴿السبب الرابع الكبر بالمال والجمال والاتباع﴾
 والكبر بهم جهل فانها امور خارجة عن الذات اعنى المال
 والاتباع وكيف يتكبر بخصلة تمتد اليها يد السارق والغاصب

وكيف يفتخر بالجمال وحمى شهر تفسده والجدرى يُزيله ولو
تفكر الجميل في اقدار باطنه لا دهشه ذلك عن تزويق ظاهره
ولو لم يتعهد الجميل بدنه اسبوعا بالغسل والتنظيف لصار اقدر
من الجيفة من تغير النكهة والصنّان ورايحة العذرة وكراهية
الوسخ والمخاط والرمص * فمن اين للمزبلة ان تفتخر بجماله
والانسان بالحقيقة مزبلة فانه منبع الاقدار والنجاسات *

﴿ الاصل التاسع العجب ﴾

قال الله تعالى ﴿ويوم حنين اذ اعجبتكم كثيرتكم﴾ الآية وقال عز
وجل وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا * وقال ولا تزكوا انفسكم
هو أعلم بمن اتقى * وقال عليه السلام ثلاث مهلكات ﴿شح مطاع
وهوى متبع واعجاب المرء بنفسه﴾ وقال ابن مسعود رضى الله
عنه الهلاك في اثنين ﴿القنوط والعجب﴾ وانما جمع بينهما لان
القناط لا يطلب السعادة لقنوطه والعجب لا يطلبها لظنه انه
قد ظفر بها * وقال صلى الله عليه وسلم لو لم تذنّبوا خلفت عليكم
ما هو اعظم من ذلك العجب العجيب * وقيل لعائشة رضى الله
عنها متى يكون الرجل مسيئا فقالت اذا ظن انه محسن

﴿ ونظر رجل ﴾ الى بشر بن منصور وهو يطيل الصلاة ويحسن العبادة فلما فرغ قال لا يغرنك ما رأيت مني فان ابليس عبد الله تعالى وصلى آلاف سنين ثم صار الى ما صار اليه *

﴿ فصل ﴾

حقيقة العجب استمظام النفس وخصالها التي هي من النعم والركون اليها مع نسيان اضافتها الى المنعم والأمن من زوالها فان اضاف اليه ان رأى لنفسه عند الله حقاً ومكاناً سمي ذلك ادلالاً * وفي الخبر ان صلاة المدل لا ترتفع فوق رأسه وعلامة ادلاله ان يتعجب من رد دعائه ويتعجب من استقامة حال من يؤذيه * والعجب هو سبب الكبر ولكن الكبر يستدعي متكبراً عليه والعجب مقصور على الانفراد ﴿ اما ﴾ من رأى زمة الله تعالى على نفسه بعمل او علم او غيره وهو خائف على زواله وفرح بنعم الله تعالى عليه من حيث انها من الله فليس بمعجب * بل العجب ان يأمن وينسى الاضافة الى المنعم

﴿ فصل ﴾

العجب جهل محض فعلاجه العلم المحض فانه ان اعجب بقوة

وجمال او أمر مما ليس يتعلق باختياره فهو جهل ايضاً اذ ليس
 ذلك اليه فينبغي ان يعجب بمن اعطاه ذلك من غير استحقاق *
 وينبغي ان يتفكر في زوال ذلك المخوف على القرب بادنى مرض
 وضعف ﴿ وان اعجب ﴾ بعلمه وعمله وما يدخل تحت اختياره
 فينبغي ان يتفكر في تلك الاعمال بماذا تيسرت له وانها لا تيسر
 الا بعضو وقدره وارادة ومعرفة وان جميع ذلك من خلق
 الله عز وجل * واذا خلق الله العضو والقدره وسلط الدواعي
 وصرف الصور اف كان حصول الفعل ضرورياً * وليس للمضطر
 ان يتعجب بما يحصل منه اضطراراً وهو مضطر الى اختياره
 فانه يفعل ان شاء ولكن ان يشاء الله شاء او لم يشأ مهما
 خلقت فيه المشية * قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وما تشاؤون الا
 ان يشاء الله ﴾ ففتاح العمل انحرام المشية وانصراف الدواعي
 الصارفة مع كمال القدرة والاعضاء * وكل ذلك بيد الله تعالى
 ارايت لو كان بيد ملك مفتاح خزانة فاعطاك اياه فاخذت
 منها اموالاً تعجب بمجوده اذا اعطاك المفتاح بغير استحقاق
 او بكمالك في اخذه واي كمال في الاخذ بعد التمكن *

﴿ فصل ﴾

من العجايب ان يعجب العاقل بعلمه وعقله حتى يتعجب ان
 افقره الله تعالى وأغنى بعض الجاهل ويقول كيف وسع النعمة
 على الجاهل وحرمني * فيقال له كيف رزقك العلم والعقل
 وحرمتها الجاهل * فهذه عطية منه أفتجملها سببا لاستحقاق
 عطية اخرى بل لو جمع لك بين العقل والغنى وحرمت الجاهل
 عنهما جميعا كان ذلك اولى بالتعجب وما تعجب العاقل منه
 الا كتعجب من اعطاه الملك فرسا واعطى غيره غلاما ويقول
 كيف يعطي الغلام لفلان ولا فرس له ويحرمني وانا صاحب
 الفرس وانما صار صاحب الفرس بعطائه فيجمل عطائه سببا
 لاستحقاق عطاء آخر وهو عين الجهل بل العاقل يكون
 ابدا تعجبه من فضل الله تعالى وجوده من حيث اعطاه
 العلم والعقل ووفقه للعبادة من غير تقدم استحقاق منه
 وحرمت غيره ذلك وسلط عليه دواعي الفساد واضطره اليه
 بصرف دواعي الخير عنه وذلك بغير جريمة سابقة منه * واذا
 شاهد ذلك تحقيقا غلب عليه الخوف اذ قد يقول قد انعم الله

عليّ في الدنيا من غير وسيلة وخصني به دون غيري * ومن
يفعل مثل هذا بغير سبب فيوشك ان يعذب ويسلب النعم
ايضا بغير جناية وسبب فماذا اصنع ان كان ما أفاضه عليّ من
النعم مكررا او استدراجا بما فتحه كما قال الله تعالى ﴿ فتحنا عليهم
ابواب كل شيء حتى اذا فرحوا بما اوتوا اخذناهم بغتة ﴾
وكما قال تعالى ﴿ سنستدرجهم من حيث لا يعلمون ﴾

﴿ الاصل العاشر في الرياء ﴾

قال الله تعالى ﴿ فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون
الذين هم يراؤن ﴾ وقال تعالى ﴿ انما نطمعكم لوجه الله لا نريد
منكم جزاء ولا شكورا ﴾ وقال تعالى ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه
فليعمل عملا صالحا ولا يشرك ﴾ الآية اراد به الاخلاص *
وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ ان أخوف ما أخاف عليكم الشرك
الا صغر ﴾ قيل وما هو قال عليه السلام الرياء يقول الله عز
وجل يوم القيامة اذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الي الذين
كنتم تراؤن فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء * وقال
عليه السلام في حديث طويل يقال للغازي والعالم والمنفق اذا

قال فعلت يقال كيت وكيت اردت ان يقال فلان عالم او
 شجاع او جواد او قارى فيذهب به الى النار * وقال صلى الله
 عليه وسلم استعينوا بالله من جب الحزن قيل وما هو قال عليه
 السلام واد في جهنم أعد للقراء المراثين وقد قال تعالى ﴿ من
 عمل لي عملاً أشرك فيه غيري فهو له كلفه وأنامنه بري وانا
 اغنى الاغنياء عن الشرك ﴾ وقال عليه السلام لا يقبل الله عملاً
 فيه مقدار ذرة من الرياء * وقال عليه السلام ان أدنى الرياء الشرك *
 وقال عيسى عليه السلام اذا كان يوم صوم احدكم فليدهن
 رأسه ولحيته ويمسح شفتيه لكيلا يرى الناس انه صائم * واذا
 أعطى يمينه فليخف عن شماله * واذا صلى فايرخ ستر بابه فان
 الله تعالى يقسم الشئ كما يقسم الرزق * ولهذا قال عمر رضي الله
 عنه لرجل طأطأ رقبته يا صاحب الرقبة ارفع رقبتك ليس
 الخشوع في الرقاب وانما الخشوع في القلوب * وقال نبينا صلى
 الله عليه وسلم ان المراثي ينادى يوم القيامة باربعة اسماء
 ﴿ يا مراثي يا غاوي يا فاجر يا خاسر ﴾ اذهب فخذ اجرک ممن
 عملت له فلا اجرک عندنا * وقال قتادة رحمة الله عليه اذا

رأى العبد يقول الله تعالى انظروا كيف يستهزئ بي *
 وقال الحسن رحمة الله عليه صحبت اقواما ان كان احدهم
 لتعرض له الحكمة لو نطق بها نفعته ونفعت اصحابه وما
 يمنعه منها الا الشهرة *

﴿ فصل ﴾

حقيقة الرياء طلب المنزلة في قلوب الناس بالعبادات واعمال
 الخير وما يرايا به ستة اصناف ﴿ الاول ﴾ الرياء من جهة البدن
 وهو اظهار النحول والصفار ليظن به السهر والصيام * واظهار
 الحزن ليظن به انه شديد الاهتمام بامر الدين واظهار شعث
 الشعر ليظن به انه لشدة استغراقه بالدين ليس يتفرغ لنفسه
 واظهار ذُبُولٍ ^(١) الشفتين ليستدل به على صومه * وخفض
 الصوت ليستدل به على ضعفه من شدة المجاهدة ﴿ الثاني ﴾ الرياء
 بالهيئة كحلق الشارب واطراق الرأس في المشي والهدو في
 الحركة وابقاء أثر السجود على الوجه * وتغميض العينين ليظن به
 انه في الوجد والمكاشفة او غائص في الفكر ﴿ الثالث ﴾ الرياء

(١) ذبل الشيء ذبولا ذهب نדותه والذبلاء * ألباسة الشفة

في الثياب كلبس الصوف والثوب الخشن وتقصيره الى قريب
من الساق وتقصير الكمين وترك الثوب مخرقا ووسخا ليُظنَّ
انه مستغرق الوقت عن الفراغ له * ولبس المرقعة والسجادة
ليُظنَّ انه من الصوفية مع افلاسه عن حقايق التصوف *
ولبس الدراعة والطيلسان ^(١) وتوسيع الاكمام ليظن انه عالم
والتقنُّع فوق العمامة بازار * ولبس الجوارب ليُظنَّ انه متكشف ^(٢)
لشدة ورعه من غبار الطريق * ثم منهم من يطلب المنزلة
في ثوب اهل الصلاح فيلازم الثوب الخلق ولو لبس
ثوبا جديد المكان عنده كالذبح اذ يخاف ان يقول الناس
قد بداله من الزهد * ومنهم من يطلب المنزلة من السلاطين
والتجار * ولو لبس خلقان الثياب لازدروه * ولو لبس فاخر
الثياب لم يعتقدوا زهده * فيطلب المرقعة المصبوغة والفوطة
الرفيعة والاصواف الرفيعة فيكون ثيابهم في القيمة والنفاسة

(١) الدراعة القميص والطيلسان فارسي معرب لباس العجم

(٢) القشف محرقة قذرا لجلد ورثاة الهية وسوء الحال والمقشف

من لا يبالي بما تلتطخ بجسده انتهى مصحيحه محي الدين صبري

كشياب الأغنياء في اللون والهيئة كشياب الصالحاء ولو كلفوا
 ان يلبسوا الخلق لكان عندهم كالذبح خيفة عن السقوط
 عن اعين الاغنياء * ولو كلفوا لبس الخزو القصبي والديبقي
 وما يباح لبسه قيمته دون قيمة ثيابهم لاشتد عليهم خوفا عن
 سقوط منزلتهم عن القلوب الصالحاء * اذ يقولون بداله من
 الزهد (الرابع) الرياء بالقول كرياء اهل الوعظ والتذكير
 وتحسين الالفاظ وتسجييعها والنطق بالحكمة والاخبار وكلام
 السلف مع ترقيق الصوت واظهار الحزن مع الخلو عن
 حقيقه الصدق والاخلاص في الباطن بل ليُظَنَّ به ذلك
 وكادعاء حفظ الحديث ولقاء الشيوخ والمبادرة الى الحديث
 انه صحيح أو سقيم ليظن به غزارة العلم وكتحريك الشفتين
 بالذكر والامر بالمعروف بمشهد الناس مع خلو القلب عن
 التفجع بالمعصية وكاظهار الغضب عن المنكرات والاسف
 عن المعاصي مع خلو القلب عن التألم به (الخامس) الرياء
 بالعمل كتطويل القيام وتحسين الركوع والسجود واطراق
 الرأس وقلة الالتفات والتصدق والصوم والحج والახبات

في المشى مع ارخاء الجفون مع ان الله تعالى عالم ان باطنه
 لو كان خاليا لما فعل شيئا من ذلك بل تساهل في الصلوة
 وتسرع في المشى * وقد يفعل ذلك في المشى فاذا شعر
 باطلاع غيره عليه عاد الى السكينة كي يظن به الخشوع
 (السادس) الرياء بكثرة التلامذة والاصحاب وكثرة
 ذكر الشيوخ ليظن انه لقي شيوخا كثيرة وكن يحب
 ان يزوره العلماء والسلطين ليقال انه ممن يتبرك به
 فهذه مجامع سايرائي به في الدين وكل ذلك حرام بل هو من
 الكبار * واما طلب المنزلة في قلوب الناس بافعال ليست من
 العبادات وأعمال الدين فليست بحرام مالم يكن فيه تلبيس كما
 ذكرناه في طلب الجاه * فاهل الدنيا قد يطلبون الجاه بكثرة
 المال والغلمان وحسن الثياب الفاخرة وحفظ الاشعار وعلم
 الطب والحساب والنحو واللغة وغير ذلك من الاعمال والاحوال
 ولم يحرم ذلك مالم ينته الى الايذاء بالتكبر والى اخلاق اخرى
 مذمومة وانما استقصينا اقسام الرياء لانه اغلب الاخلاق الذميمة
 على النفوس فمن لا يعرف الشر ومواقفه لا يمكنه ان يتقيه *

﴿ فصل ﴾

الرياء على درجات خبيثة ﴿ احداها ﴾ ان لا يكون بالامور الدينية والعبادات كالذي يلبس عند الخروج ثيابا حسنة خلاف ما يلبسه في الخلوة ^(١) وكالذي ينفق في الضيافات وعلى الاغنياء اموالا ليعتقد انه سخي لا ليعتقد انه ورع صالح * فذلك ليس بحرام فان تملك القلوب كتملك الاموال * نعم القليل منه صالح نافع والكثير منه يلهي عن ذكر الله كالكثير من المال ومهما انصرفت الهمة الى سعة الجاه فيجر ذلك الى الغفلة والمماص فيكون محذورا بذلك لانفسه * واما اظهار الشمايل التي ذكرناها ليعتقد الناس فيه الدين والورع حرام لشيئين ﴿ احدهما ﴾ انه تلبيس اذا اراد ان يعتقد الناس انه مخلص مطيع لله محب وهو بهذه النية فاسق ممقوت عند الله * ولو سلم الرجل دراهم الى جماعة يخيل اليهم انه يجود عليهم بها * وانما هي ديون لازمة عصى لتلبيسه وان لم يطلب به ان يعتقد صلاحه لان ملك القلوب بالتلبيس حرام ﴿ الثاني ﴾ انه اذا

(١) وفي النسخة العراقية منها ان يلبس في الملا غير ما يلبسه في الخلوة

قصد بعبادة الله خلق الله فهو مستهزء * ومن وقف بين يدي ملك في معرض الخدمة وليس غرضه ذلك بل غرضه ملاحظة عبد من عبيد الملك او جارية من جواريه فانظر ماذا يستحقه من النكال لاستهزائه بالملك فكأنه اذا قصد العباد بالعبادة فقد اعتقد ان عباد الله أقدر على نفعه وضره من الله تعالى اذ عظمة العباد في قلبه دعتة الى ان يتجمل عندهم بعبادة الله ولهذا سمي الرياء الشرك الا صغر ثم يزداد الاثم بزيادة فساد القصد والنية ومن المرائين من لا يطلب الا مجرد الجاه * ومنهم من يطلب ان يودع الودائع ويوقف عنده الاوقاف ومال الايتام ليختزل منها وذلك أخبث لا محالة * ومنهم من يراي ليقصد اليه النساء والصبيان ليتمكن من الفجور أو ليكثر عنده المال ليصرفه الى الخير والملاهي * وهذا هو الاعظم اذ جعل عبادة الله تعالى وسيلة الى مخالفته والعياذ بالله *

﴿ فصل ﴾

كما يعظم الرياء ويتغلظ اثمه بسبب اختلاف الغرض الباعث عليه فيعظم أيضا بما به المراية وبقوة قصد الرياء * اماما به المراية

فهي على ثلاثة درجات اغلظها ان يرأى بأصل الايمان كالمنافق
يظهر انه مسلم وليس بمسلم بقلبه * وكالمالحد وممتقد الاباحة
يظهر انه مستديم الايمان وقد انسل منه باطنه ﴿ الثانية ﴾
الرياء بأصل العبادات كمن يصلي ويخرج الزكاة بين يدي
الناس والله يعلم من باطنه انه لو خلا بنفسه لم يفعل ذلك
﴿ الثالثة ﴾ وهي ادناها ان لا يرأى بالفرايض ويرأى بالنوافل
كالذي يكثر النافلة ويحسن هيئة الفريضة ويخرج الزكاة من
أجود ماله او يتعبد او يصوم يوم عرفة وعاشوراء والله يعلم
من باطنه انه لو خلا بنفسه لم يفعل شيئاً من ذلك * وهذا أيضاً
حرام وان كان لا ينتهي شدة العقوبة فيه الى حد الرياء
بالاصول * وأما تغليظه بدرجات القصد فهو انه قد يتجرد
قصد الرياء حتى يصلي مثلاً على غير طهارة لاجل الناس او
يصوم ولو خلا بنفسه لأفطر وقد يضاف اليه قصد العبادة
أيضاً وله ثلاثة أحوال ﴿ أحدها ﴾ ان تكون نية العبادة باعثة
مستقلة لو خلا بنفسه ولكن زاده رؤية غيره ومشاهدته نشاطاً
وخف عليه العمل بسببه فارجو ان لا يحيط ذلك القدر عمله

بل تصح عبادته ويشاب عليها ويعاقب على قصد الزياء او ينقص
من ثوابه ﴿ الثانية ﴾ ان يكون قصد العبادة ضعيفا بحيث لو
انفرد عن الناس ما استقل بالحمل على العبادة فهذا لا تصح
عبادته والقصد الضعيف لا ينفي عنه شدة المقت ﴿ الثالثة ﴾ ان
يتساويا القصدان بحيث لا يستقل كل واحد بالحمل لو انفرد
أولا ينبعث للفعل باحدهما بل بمجموعهما * فهذا قد اصاب شيئا
وأفسد مثله فالغالب انه لا يسلم رأسا برأس * ويحتمل ان يقال
اذا تساوى القصدان * فاحدهما كفارة للآخر * وقوله تعالى
﴿ انا أغنى الاغنياء عن الشرك ﴾ يدل على انه لا يقبله ولا يثيبه
عليه * اما انه يعاقبه عليه ففيه نظر فالأغلب عندي والعلم عند
الله انه لا يخلو عن اثم وعقاب *

﴿ فصل ﴾

اعلم ان بعض الرياء جلي * وبعضه اخفى من ديب النمل ﴿ أما
الجلي ﴾ فما يبعث على العمل حتى لو لاه لم يرغب في العمل واخفى
منه ان لا يستقل بالحمل عليه * ولكن يخفف العمل ويزيد في
نشاطه كالذي يتمجد كل ليلة واذا كان عنده ضيف زاد نشاطه

واخفى منه ان لا يزيد نشاطه ولا يكن لو اطلع غيره على تهجده
 قبل فراغه او بعده فرح به ووجد في نفسه هزة * وذلك يدل
 على ان الرياء كان مستكنا في باطن القلب استكنا ان النار تحت
 الرماد حتى ترشح منه السرور عند الاطلاع وقد كان غافلا عنه
 قبله واخفى منه ان لا يسر بالاطلاع لكن يتوقع ان يبدأ بالسلام
 ويوقر ويتعجب ممن يسيء اليه ولا يسامحه في المعاملة ولا يحترمه
 وذلك يدل على انه يمين على الناس بعمله فكانه يتوقع احترامهم
 وتوقيرهم بعبادته مع اخفائه عنهم * وأمثال هذه الخفايا لا يخلو
 عنها الا الصديقون * وجميع ذلك اثم ويخاف منه احباط العمل *
 نعم لا بأس ان يفرح باطلاع غيره عليه اذا كان فرحه بالله تعالى
 من حيث أظهر منه الجميل وستر منه القبيح مع انه قصد سترها
 جميعا فيفرح بلطف صنع الله تعالى وكذلك يفرح لانه يبشره
 بانه حيث أحسن صنعه به في الدنيا فكذلك يصنع به في
 الآخرة * او يفرح ليقتردي به من يراه أو يطيع الله بحمده له
 عليه * وعلامة هذا ان يفرح أيضا اذا اطلع على غيره ممن
 يرجى قدوته ومن اجل خفاء ابواب الرياء وشدة استيلائه

على الباطن احترز أولو الحزم فاخفوا عبادتهم وجاهدوا أنفسهم
وقد قال علي رضي الله عنه ان الله عز وجل يقول للقراء يوم
القيامة ألم يكن يرخص عليكم في السر . ألم تكونوا تبدؤن
بالسلام . ألم تكن تقضى لكم الحوايج لا اجر لكم فقد
استوفيتم اجوركم * فاجتهد ان أردت الخلاص ان يكون الناس
عندك كالبهايم والصبيان فلا تفرق في عبادتك بين وجودهم
وعدمهم وعلمهم بها أو غفلتهم عنها * وتقنع بعلم الله تعالى وحده
وتطلب الاجر منه فانه لا يقبل الا الخالص كي لا تحرم عن
فائده في أحوج أوقاتك اليه *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول ما اقدر على انفكاك الرياء الخفي كما وصفته وان
قدرت على الرياء الجلي فهل تنعقد عبادتي مع ذلك ﴿ فاعلم ﴾
ان وارد الرياء لا يخلو اما ان يرد مع اول العمل او في دوامه
او بعد الفراغ منه اما ما يقارن الابتداء فيبطله ويمنع انعقاده
ان صار باعثا مؤثرا في الحمل على العمل بل اول العقد يجب
ان يكون خالصا وانما يبطل بالرياء الباعث على اصل العمل

واما اذا لم يحمل الا على المبادرة في اول الوقت مثلا فأظن
 والعلم عند الله تعالى ان اصل الصلاة يصح وانما تفوته فضيلة
 المبادرة ويعصى بقصد المراية به ولكن يسقط الفرض عنه
 واما ما يرد في دوام الصلاة ان ابطال باعث الصلاة فتبطل الصلاة
 مثاله ان يحضر في اثناء الصلاة أو طاره أو يتذكر نسيان شيء
 ولو خلا لقطع الصلاة لكنه اتم حياء من الناس * فهذا لا يسقط
 الفرض عنه لان النية قد انقطعت وانقطع باعث العبادة * واما
 اذا لم تنقطع نيته لكن صار مغلوبا مغمورا كما لو حضر قوم
 فغلب على قلبه الفرح باطلاعهم وانغمز باعث العبادة فغالب
 الظن انه ان انقضى ركن ولم يعاوده الباعث الا صلي فسدت
 صلاته لان استصحاب نية البداية بشرط ان لا يطرء ما لو قارن
 ابتداءها لمنع وان لم ينغمز باعث العبادة ولكن حصل مجرد
 سرور ولم يؤثر في العمل بل في تحسين الصلاة فقط فغالب
 الظن ان الصلاة لا تفسد ويتأذى الفرض * واما ما يطرء
 بعد الصلاة من ذكر وسرور ومراية فلا ينمطف على ماضى
 ولكن يعصى به ويأثم ويكون عقابه بقدر قصده واظهاره

ومهما ظهرت له داعية ذكر العبادة اما بالتصريح واما بالتعريض
فذلك يدل على ان الرياء كان خفيا في باطنه *

﴿ فصل ﴾

اذا عرفت حقيقة الرياء وكثرة مداخلته فعليك بالتشمير في
معالجته * وعلاجه في دفع الاسباب الباعثة عليه ﴿وهي ثلاث﴾
حب المدح وخوف الذم والطمع ﴿أما حب المدح﴾ كمن يهجم
على صف القتال ليقال انه شجاع * او يظهر العبادات ليقال انه
ورع * وعلاجه ما تقدم في علاج حب الجاه وهو ان تعلم انه
كمال وهني لا حقيقة له * وعلاجه في الرياء خاصة ان يقرر
على نفسه ما فيه من الضرر فان العسل وان كان لذيذا فاذا
علم ان فيه سماً سهل تركه فليقرر على نفسه انه يقال له في يوم
فقره بسبب ريائه ﴿يا فاجر يا غاوي﴾ استهزأت بالله عز وجل
وراقبت العباد وتحببت اليهم ^(١) واشتريت حمدهم بدم الله تعالى
وطلبت رضاهم بسخطه * أما كان احد اهون عليك من الله
تعالى فلو لم يكن الا هذا الخزي والحجلة لكان كافيا في المنع

(١) وفي النسخة العراقية وتحببت اليهم *

عنه كيف وقد انضم اليه المقوبة واحباط العبادة وانه ربما
 يترجع به كفة السيئات بعد ان قارنت كفة الحسنات
 فيكون سبب هلاكه وليقرر على نفسه ان رضى الناس غاية
 لا تدرك ومن طاب رضى الناس بسخط الله تعالى اسخطهم
 الله عليه فكيف يترك رضى الله بما لا يطمع في حصوله ﴿ واما
 الباعث الثاني ﴾ وهو الخوف من ذمهم فيقرر على نفسه ان ذمهم
 لن يضره ان كان محمودا عند الله عز وجل ولم يتعرض لدم الله
 ومقتته خوفا من ذم الخلق * ويكفيه ان الناس لو علموا ما في
 باطنه من قصد الرياء لمفتوه ويأبى الله الا ان يكشف سره
 حتى يعرف نفاقه فيمقتته الناس ايضا بعد ان يمقتته الله عز وجل
 ولو اخلص واعرض بقلبه عنهم وجرد نظره الى الله تعالى
 لكشف لهم اخلاصه له واحبوه ﴿ واما باعث ﴾ الطمع فيدفعه
 بان يعلم ان ذلك امر موهوم وفوات رضى الله تعالى ناجز
 ويعلم ان الله تعالى هو المسخر للقلوب وان من طمع في الخلق
 لم يخل عن الذل والمهانة والمنة * ومن اعرض عن الطمع في الخلق
 كفاه الله تعالى وسخر له القلوب * فاذا أحضر في قلبه نعيم

الآخرة والدرجات الرفيعة وعلم ان ذلك يقوت بالرياء اعرض
 قلبه عن الخلق واجتمع همه وفاضت عليه انوار الاخلاص
 وأمدده الله سبحانه بموئته وتوفيقه *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول اني قررت هذا كله على نفسي * ونفر عن الرياء
 قلبي ولكن ربما هجم عليّ وارد الرياء بغتة في بعض العبادات
 عند اطلاع الخلق فما العلاج عنه عندهجومه ﴿ فاعلم ﴾ ان اصل
 هذا العلاج ان تخفى عبادتك كما تخفى فواحشك ففيه
 السلامة * روي ان بعض اصحاب ابي حفص الحداد ذم الدنيا
 واهلها فقال له اظهرت ما كان سبيلك ان تخفيه لا تجالسنا بعد
 هذا * واخفاء العبادة انما يشق في البداية فاذا صار عادة ألف
 الطبع لذة المناجات في الخلوة * ومهما هجم وارد الرياء فعلاجه
 ان يجدد على قلبك مارسخ فيه من قبل من المعرفة بالتعرض
 لمقت الله عز وجل مع عجز الناس عن منفعتك ومضرّتك
 حتى تنبعث منه كراهية لداعية الرياء * ثم الشهوة تدعو الى
 اجابة الرياء بتحسين العمل والفرح به * والكراهية تدعو الى

رده والاعراض عنه وتكون اليد للاقوى * فان قويت الكراهية
حتى منعتك من الركون اليه واستصعبت حالتك التي كنت
عليها فلم تزد ولم تنقص ولم تتكاف اظهار الفعل واشاره فقد
اندفع عنك الاثم ولم تكلف اكثر من ذلك * وامادفع الخواطر
ودفع الطبع عن الميل الى اقوال الناس فلا يدخل تحت التكليف
وانما ينتهي التكليف الكراهية والاباء عن اجابة الداعية

﴿ فصل ﴾

يجوز اظهار الطاعات لاجل اقتداء الناس وترغيبهم اذا صحت
النية ولم يكن معه شهوة خفية * وعلامته ان يقدر ان الناس
لو اقتدوا باحد اقرانه وكفي مؤنة الترغيب وأخبر بان أجره
في الاسرار كاجره في الاظهار فلا يرغب في الاظهار * فان كان
ميله الى ان يكون هو المقتدى به اكثر ففيه داعية الرياء لانه
ان كان يطلب سعادة الناس وخلصهم فقد حصل ذلك بغيره
ولم يفته الاظهار نفسه — وكذلك يجوز كتمان المعاصي والذنوب
وايكن بشرط ان يكون غرضه ان لا يُعتقد فيه الورع بل
لا يُعتقد فيه الفسق ولا بأس بفرحه باستتار معاصيه وحزنه

بانكشافها اما فرحا بستر الله عليه واما فرحا بموافقة امر الله
 تعالى فانه تعالى يحب كتمان المعاصي وينهى عن المجاهرة بها
 واما لانه يكره ان يذم في تألم به اذ التألم بذم الناس ليس
 بحرام بل يوجبه الطبع * وانما الحرام الفرح بمدح الناس اياه
 بالعبادة فان ذلك كاجر يأخذه على العبادة * واما لانه يخاف
 ان يقصد بسوء اذا عرفت معصيته * واما لانه يستحي من
 ظهورها والحياء غير الرياء ولكن قد يمتزج به * واما ترك
 الطاعة خوفا من الرياء فلا وجه له * قال الفضيل الرياء ترك
 العمل خوفا من الرياء * اما العمل لاجل الناس فهو شرك بل
 ينبغي ان يعمل ويخلص الا اذا كان العمل في ما يتعاق بالخلق
 كالقضاء والامامة والوعظ * فاذا علم من نفسه انه بعد الخوض
 فيه لا يملك نفسه بل يميل الى دواعي الهوى فيجب عليه
 الاعراض والهرب كذلك فعل جماعة من السلف * واما
 الصلوة والصدقة فلا يتركها الا اذا لم تحضره أصلا نية العبادة
 بل لو تجرد نية الرياء فلا يصح عمله فليتركه * اما من اعتاد فعله
 فحضر جماعة فيخاف على نفسه الرياء فلا ينبغي ان يتركه بل

ينبغي ان يستمر على عبادته ويجهد في دفع باعث الرياء *
 ﴿ خاتمة في مجامع الاخلاق ومواقع الغرور فيها ﴾
 اعلم ان الاخلاق المذمومة كثيرة ولكن ترجع اصولها الى
 ما ذكرناه * ولا يكفيك تزكية النفس عن بعضها حتى تنزكي
 عن جميعها ولو تركت واحدا منها غالبا عليك فذلك يدعوك
 الى البقية لان بعض هذه يرتبط بالبعض ويتقاضى بعض
 الاخلاق الذميمة بعضا ولا ينجو الا من اتى الله بقلب سليم
 والسلامة المطلقة لا تنال بدفع بعض الامراض بل انما تنال
 بالصحة المطلقة كما ان الحسن لا يحصل بحسن بعض الاعضاء
 ما لم يحسن جميع الاطراف والنجاة في حسن الخلق * قال النبي
 صلى الله عليه وسلم ﴿ أثقل ما يوضع في الميزان خلق حسن ﴾
 وقد قال النبي عليه السلام ﴿ بعثت لانهم مكارم الاخلاق ﴾
 وقيل له ما الدين قال عليه السلام ﴿ الخلق الحسن ﴾ وقال عليه
 السلام حسن الخلق خلق الله تعالى * وقال عليه السلام افضل
 المؤمنين ايماناً أحسنهم خلقاً * وقد كثرت الاقاويل في حقيقة
 وبيان حده * والا كثرون تعرضوا لبعض ثمراته ولم يحيطوا

بجميع تفصيله والذي يطالعك على حقيقته ان تعلم ان الخلق
 والخلق عبارتان فيراد بالخلق الصورة الظاهرة وبالخلق الصورة
 الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد يدرك بالبصر *
 ومن روح ونفس يدرك بالبصيرة لا بالبصر * ولكل واحد منهما
 هيئة إما قبيحة وإما حسنة * والنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا
 ولذلك اضاف الله عز وجل الى نفسه و اضاف البدن الى الطين
 فقال ﴿ اني خالق بشرا من طين فاذا سوّيته ونفخت فيه من
 روحي ﴾ و وصف الروح بأنه أمر رباني فقال ﴿ قل الروح من
 أمر ربي ﴾ واعني بالروح والنفس ههنا معنى واحد وهو الجوهر
 العارف المدرك من الانسان بالهام الله تعالى كما قال ﴿ ونفس
 وما سوأها فالههنا فجورها وتقواها فاندأفاح من زكأها وقد خاب
 من دسأها ﴾ وكأ ان للحسن الظاهر أركانأ كالعين والأنف
 والفم وألأد ولا يوصف الظاهر بالحسن مالم يحسن جميعها *
 فكذلك الصورة الباطنة لها أركان لا بد من حسن جميعها حتى
 يحسن الخلق وهي أربعة معان * قوة العلم وقوة الغضب وقوة
 الشهوة * وقوة المدل بين هذه القوى الثلاث فاذا استوت

هذه الأركان الأربعة واعتدلت وتناسقت حصل حسن الخلق
 ﴿أما قوة العلم﴾ فاعتدالها وحسنها أن تصير بحيث يدرك بها
 الفرق بين الصدق والكذب في الأقوال وبين الحق والباطن
 في الاعتقادات وبين الجميل والقبيح في الأعمال * فإذا انحصلت
 هذه القوة كذلك حصلت منها ثمرة الحكمة وهي رأس
 الفضائل قال الله عز وجل ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي
 خيرا كثيرا وما يذكر إلا أولو الألباب﴾ وأما قوة الغضب
 فاعتدالها أن يحصل اتقاضها وانسياطها على موجب إشارة
 الحكمة والشرع — وكذلك قوة الشهوة * وأما قوة العدل فهي
 في ضبط قوة الغضب * وقوة الشهوة تحت إشارة الدين
 والعقل فالعقل منزلته منزلة الناصح * وقوة العدل هي القدرة
 ومنزلتها منزلة المنفذ المضي لإشارة العقل والغضب والشهوة
 وهما اللذان تنفذ بهما الإشارة وهما كالكلب والفرس للصيد *
 فإن حسن بعض هذه دون بعض كان كما لو حسن بعض
 أعضاء الوجه فلا يطلق اسم الحسن له إلا إذا حسن الجميع واعتدل
 فإذا حسنت واعتدلت انشعب منه جميع الأخلاق * وأما قوة

الغضب فيعبر عن اعتدالها بالشجاعة والله تعالى يحب الشجاعة
وان مالت الى طرف الزيادة سميت تهورا وان مالت الى النقصان
تسمى جبنا ويتشعب من اعتدالها خلق الكرم والنجدة
والشهادة والحلم والثبات وكظم الغيظ والوقار والتؤدة^(١) وأما
افراطها فيحصل منه خلق التهور والصلف^(٢) والبذخ
والاستشاشة^(٣) والكبر والعجب * وأما تفریطها فيحصل منه
الجبين والمهانة والذلة والخساسة وعدم الغيرة وضعف الحمية على
الاهل وصغر النفس * وأما الشهوة فيعبر عن اعتدالها بالعفة
وعن افراطها بالشهوة وعن تفریطها بضعفها بالخمود فيصدر من
العفة السخاء والحياء والصبر والسماحة والقناعة والورع والمساعدة
والظرف وقلة الطمع * ويصدر عن افراطها الحرص والشرة
والوقاحة والتبذير والتقتير^(٤) والرياء والهتكة والمجانة والملق
والحسد والشماتة والتدليل للاغنياء واستحقار الفقراء وغير ذلك

(١) والتؤدة بفتح الهمزة وسكونها الرزاة والتأني (٢) التكلم بما
يكرهه صاحبه والتمدح بما ليس عندك (٣) واستشاط عليه التهب غضباً
(٤) الوقاحة بالفتح قلة الحياء * وقتر من باب قتل أى ضيق على عياله

﴿وأما قوة العقل﴾ فيصدر من اعتدالها حسن التدبير وجودة
الذهن وثقابة الرأي واصابة الظن والتفطن لدقائق الأعمال
وخفايا آفات النفس * وأما إفراطها فيحصل منه الجربزة والدهاء
والمكر والخداع * ويحصل من تفريطها وضعفها البله والحق
والغمارة ^(١) والبلاهة والانخداع - فهذه هي روابط الاخلاق *
وأما معنى حسن الخلق في الجميع وسط بين الافراط والتفريط
نخير الامور أو ساطها * وكلا طرفي قصد الامور ذميم ولذلك
قال عز وجل ﴿ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط﴾ وقال تعالى ﴿والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا
وكان بين ذلك قواما﴾ وقال تعالى ﴿اشدء على الكفار رحما بينهم﴾
ومهما مال واحد من هذه الجملة الى الافراط والتفريط فبعد
لم يكمل حسن الخلق *

فصل

طريق اصلاح هذه الاخلاق كلها المجاهدة والرياضة * ومعنى
المجاهدة ان يكف الصفة المفرطة الغالبة خلاف مقتضاها

(١) الغمر الحقد وزنا ومعنى * ورجل غمر لم يجرب الامور

فتعمل بنقيض موجبها* فان غلب البخل فلا تزال تتكاف البذل
 بالمجهود وتداوم عليه مرة بعد اخرى حتى يسهل عليك البذل
 في محله فان غلب التبذير فلا تزال تتكاف الامساك حتى يصير
 عادة فيسهل عليك الامساك في محله* وكذلك في خلق الكبر
 وسائر الاخلاق* وقد ذكرناه في كتاب رياضة النفوس على
 التفصيل* وينبغي ان تعلم ان من يبذل تكلفا فليس بسخي*
 وان من يتواضع تكلفا فهو ثقيل على نفسه وهو عاطل عن خلق
 التواضع بل الخلق عبارة عن هيئة للنفس يصدر عنها الفعل
 بسهولة من غير روية وتكلف لكن التكلف هو طريق تحصيل
 الخلق فانه لا يزال يتكلف أولا حتى يصير ذلك طبعاً وعادة
 فيفهم من هذا ان البخيل قد يبذل وأن السخي قد يمسك* فلا
 تنظر الى الفعل بل الى الهيئة الراسخة التي تصدر منها الافعال
 يفسر من غير تكلف ﴿واعلم﴾ ان تفاوت الناس في الحسن
 الباطن كتفاوتهم في الحسن الظاهر وان يسلم الحسن المطابق
 الا على الندور* وانما سلم ذلك لرسول الله صلى الله عليه
 وسلم حتى أثني الله سبحانه عليه فقال ﴿وانك لعلى خلق

عظيم) وليست النجاة موقوفة على الكمال البالغ لكن على
 ان يكون الميل الى الحسن أكثر * فان القبيح المطلق في
 الظاهر ممقوت * والحسن المطلق معشوق وما بينهما درجات
 فالقريب من الحسن المطلق اسعد في الدنيا من القريب
 الى القبيح المطلق * وكذلك يتفاوت سعادة الآخرة بحسب
 تفاوت حسن الصورة الباطنة *

﴿ فصل ﴾

اعلم انك قد تظن بنفسك حسن الخلق وانت عاطل عنه
 فاياك ان تغتر * وينبغي ان تحكم فيه غيرك فتسئل عنه صديقا
 بصيرا لا يداهنك * وبالجملة اذا نسبك غيرك الى سوء الخلق
 اوشك ان تكون كذلك لان اكثر الاخلاق يتعلق بالغير
 فينبغي ان تظهر لهم * ومن مواقع الغرور فيه مثلا ان
 تغضب فتظن انك تغضب لله تعالى * وتظهر العبادة وتظن
 انك تظهر للاقتداء او تكف عن الاكل او عن طلب
 الدنيا او تكظم الغيظ * وانما يهون عليك ذلك ان تعرف به
 فيكون الرياء الباعث على الجميع * وكذلك يكثر مواقع الغرور

فيه على ما ذكرناه في كتاب الغرور * فان هذا الكتاب
لا يحتمل استقصائه *

﴿ فصل ﴾

ينبغي ان تتفقد هذه الاخلاق من قلبك وتبدأ بالاهم
فالاهم فتقبل على أغلب هذه الصفات فتكسرُها على التدريج
وأظن ان الاغلب عليك حب الدنيا * وسائر المعاصي والاخلاق
المذمومة تدبهم * ولا يمكنك الخلاص من حب الدنيا الا بان
تطلب خلوة خالية وتتفكر في سبب اقبالك على الدنيا واعراضك
عن الآخرة * فلا تجد له سبباً الا محض الجهل والغفلة * فان
أقصى عمرك في الدنيا مائة سنة * فب ان مملكة وجه الارض
تسلم لك من المشرق الى المغرب في مائة سنة أليس يفوتك
بها المملكة في مدة لا آخر لها وهي مملكة الآخرة * فان كان
لا يدخل في خيالك طول الابد * فقدّر الدنيا كلها مملوءة ذرة
فقدّر طائراً يأخذ في كل الف سنة حبة واحدة فتفني
الذرة ولم ينقص من الابد شيء لان الباقي أيضاً لانهاية له
كما كان قبل ذلك * وانت ترى نفسك ترضى بتعب الاسفار إما

في تجارة او طلب رياسة * وهذا التعب الناجز لاجل شيء
 موهوم ربما يدركك الموت قبله وربما لا يصفو لك ان ظفرت
 به وانما ترضى بذلك لانك تستحقّر التعب سنة مثلاً بالاضافة
 الى بقية العمر * وجملة عمرك بالاضافة الى الابد اقل من سنة
 بالاضافة الى عمرك بل لا اضافة بينهما * فتفكر فيه لينكشف لك
 جهلك على القرب * ولعلك تقول انما افعل ذلك على توقع
 العفو فان الله تعالى كريم رحيم * فأقول ولم لا تترك الحراثة
 والتجارة وطلب المال على توقع العثور على كنز في خراب فان
 الله كريم لا ينقص من ملكه شيء لو عرفك في منامك كنزا
 من الكنوز حتى تأخذه ﴿ فان قلت ﴾ ذلك نادر وان كان داخلا
 في قدرة الله تعالى ﴿ فاعلم ﴾ ان توقع العفو مع خراب الاعمال
 والاخلاق كتوقع كنز في خراب بل أبعد منه وأندر * وقد
 نبهك الله تعالى عليه وقال ﴿ وأن ليس للانسان الا ما سعى ﴾
 وقال الله تعالى ﴿ أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 كالمفسدين في الارض ﴾ الآية ورغبتك عن طلب المال فقال
 الله تعالى ﴿ وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ﴾ فما

بإلك تكذب بكرمه في الدنيا ولا تتكل عليه * ثم تخدع نفسك
بالكرم في الآخرة وأنت تعلم أن رب الدنيا والآخرة واحد

❦ فصل ❦

لعلك تقول عواقب أمور الدنيا قد انكشف لي بالعيان واطمأن
قلبي اليها * وأما أمر الآخرة فلم أشاهده ولست أجد تصديق
الحقيقي في قلبي * فلذلك فترت رغبتى في ترك الدنيا قد بما هو
موجود نسبة ولست أثق به ﴿ فأقول ﴾ لو كنت من أرباب
البصائر لانكشف لك أمر الآخرة صريحاً كما انكشف أمر
الدنيا * وإذا لم تكن من أهله فتفكر من أقاويل أرباب البصائر
فإن الناس في أمر الآخرة أربعة أصناف ﴿ صنف ﴾ أثبتوا الجنة
والنار كما ورد به القرآن * وقد سمعت أنواع نعيمها وأنكال
جحيمها ﴿ وصنف ﴾ لم يثبتوا اللذات والآلام الحسية بل أثبتوها
على سبيل التخيل كما في المنام حتى يكون كل واحد في جنة
أو نار يراها وحده * وزعموا أن تأثير ذلك فيه كتأثير الحقيقة
لان تألم النائم كتألم اليقظان وإنما يخلص عنه بالتنبه * وذلك
في الآخرة دائم لا انقطاع له ﴿ وصنف ﴾ ثالث أثبتوا الآلاما

عقلية ولذات عقلية * وزعموا أن ذلك أعظم من الحسية * ومثلوا
 ذلك باستشعار لذة الملك واستشعار زوالها * فان زوال الملك
 يؤثر آلاما كثيرة بدنية على ما يظفر به عدوه ويأخذ مملكته
 ويستسخره مع ان ظفر العدو لا يولم البدن * وهو لا هم أصناف
 النظر أعنى الاصناف الثلاثة وهم الانبياء والاولياء والحكماء
 وكلهم اتفقوا على اثبات سعادة مؤبدة وشقاوة مؤبدة *
 فان السعادة لا تنال الا بترك الدنيا والاقبال على الله عز
 وجل * ولو مرضت ولم تكن من أهل البصيرة في طب
 ورأيت أفاضل الاطباء قد اتفقوا على شيء لم تتوقف في
 اتباعهم * (وصنف رابع) ليسوا من النظر في الامور
 الالهية بل من الاطباء والمنجمين اقتصر نظرهم على الطبائع
 الاربع ومنزاجها * ورأوا قوام الروح موقوف عليها ولم يتقنوا
 حقيقة الروح الالهي الحقيقي الذي هو المعارف بالله تعالى بل
 لم يدركوا الا الروح الجسماني الذي هو بخار أنضجته حرارة
 القلب ينتشر في المروق الضواري الى جميع البدن فيقوم به
 الحس والحركة وهي الروح التي توجد للبهائم أيضا فاما الروح

الخصاص الانساني المنسوب الى الله سبحانه حيث قال ﴿ ونفخت
 فيه من روحي ﴾ فلم يتفطنوا لها فظنوا أن الموت عدم * وأنه
 يرجع الى فساد المزاج وأنت في حق هؤلاء بين أمرين * إما
 أن تجوز غلطهم أو تعلم قطعا صحة قولهم فان جوزت خطاءهم
 لزمك الاعراض عن الدنيا بمجرد الاحتمال فانك لو كنت
 صادق الجوع وظفرت بطعام وهممت بأكله فاخبرك صبي
 أن فيه سماً وأن حية ولغت فيه قاسيت الجوع وتركت الاكل
 لأنك تقول ان كان كاذبا فليس تفوتني الا لذة الاكل * وان
 كان صادقا ففيه الهلاك * وبمثل هذا الاحتمال لا يمكن الهجوم
 عليه فليت شعري مع احتمال الخلود في النار كيف يستجبر^(١)
 العاقل الهجوم عليه فكيف لا يكون كاليقين التام في الحذر
 منه حتى تنبه الشاعر عليه مع ركاكة عقله فقال *
 زعم المنجم والطبيب كلاهما * لا تحشر الاموات قلت اليكما
 ان صح قولكما فليست بخاسر * ان صح قولي فالحسار عليكما
 فان قلت اني أعلم ضرورة صدق هؤلاء فان الموت عدم وأنه

(١) وفي النسخة الدمشقية كيف تستحق العاقل الخ

لا عقاب ولا ثواب فان الانبياء والاولياء مغرورون أو ملبسون
 وانما الذي انكشفت له حقيقة الحق هو هذا الطبيب الجاهل
 وزعمت اني أعلم ذلك كما أعلم أن الاثنين أكثر من الواحد
 حتى لا يخجلني فيه ريب * فيدل هذا على فساد المزاج وركاكة
 العقل والبعد عن قبول العلاج * ولكن مع هذا يقال لك ان
 كنت تطلب الراحة في الدنيا فقد يتقاضاك عقلك أيضا
 مجاهدة الشهوات وكسرها * فان الراحة في الحرية والخلاص
 عن كسر الشهوات لا في اتباعها * فانها اذا سلطت على النفس
 فهي آلام ناجزة تحمل النفس على احتمال كل ذل ومشقة
 وما المستريح في الدنيا الا تاركها والزاهد فيها * وأما طالبها فلا
 يزال منها في عناء * فالعقل أيضا ان عقل قليلا ترك الدنيا
 لكثرة عنائها وسرعة فناؤها وخسة شركائها * فان لم تكن في
 أمر الآخرة على تخمين ولا من مشاهدة آفات الدنيا على
 يقين فما أنت الا من الحمقى المغرورين ولتعلمن نبأه بعد
 حين ولذلك قال الله تعالى * ذرهم يأكلوا ويتمتعوا
 ويلههم الأمل فسوف يعلمون *

ولكن لها ركن ومبدأ وكمال ﴿أما مبدءها﴾ فهو الايمان ومعناه سطوع نور المعرفة على القلب حتى يتضح فيه أن الذنوب سموم مهلكة فيشتعل منه نار الخوف والندم وينبعث من هذه النار صدق الرغبة في التلافي والحذر * اما في الحال فبترك الذنوب * واما في الاستقبال فبالعزم على الترك * واما في الماضي فبالتلافي على حسب الامكان وبذلك يحصل الكمال

❦ فصل ❦

اذا عرفت حقيقة التوبة انكشف لك انها واجبة على كل أحد وفي كل حال ولذلك قال الله تعالى ﴿وتوبوا الى الله جميعا﴾ فخطاب الجميع مطلقا * أما وجوبها فلان معناها معرفة كون الذنوب مهلكة والانبعاث لتركها وهو جزء من الايمان أعني هذه المعرفة فكيف لا تجب * وأما وجوبها على كل واحد فهو أن الانسان مركب من صفات بهيمية وسبعية وشيطانية وربوبية حتى يصدر من البهيمية الشهوة والشره والفجور * ومن السبعية الغضب والحسد والعداوة والبغضاء * ومن الشيطانية المكر والحيلة والخداع * ومن الربوبية الكبر والعز وحب

المدح والاستيلاء * وأصول هذه الاخلاق هذه الاربعة * وقد
 عجت في طينة الانسان عجا محكما لا يكاد يتخلص منها * وانما
 ينجو من ظلماتها بنور الايمان المستفاد من العقل والشرع
 فأول ما يخلق في الآدمي البهيمية فيغلب عليه الشره والشهوة
 في الصبا * ثم يخلق فيه السبعية فيغلب عليه المعادة والمنافسة * ثم
 يخلق فيه الشيطانية فيغلب عليه المكر والخداع اذ تدعوه
 السبعية والبهيمية الى ان يستعمل كياسته في حيل قضاء الشهوة
 وتنفيذ الغضب * ثم يظهر فيه بعد ذلك صفات الربوبية وهو
 الكبر والاستيلاء وطلب العلو * ثم بعد ذلك يخلق العقل الذي
 يظهر فيه نور الايمان وهو من حزب الله وجنود الملائكة
 وتلك الصفات من جنود الشيطان * وجنود العقل يكمل عند
 الاربعين ويبدو أصله عند البلوغ * وأما سائر جنود الشيطان
 يكون قد سبق الى القلب قبل البلوغ واستولى عليه وألفته
 النفس واسترسلت في الشهوات متابعة لها الى أن يرد
 نور العقل فيقوم القتال والتطارد بينهما في معركة القلب *
 فان ضعف جنود العقل ونور الايمان لم يقو على ازعاج

جنود الشيطان فتبقى جنود الشيطان مستقرة آخرًا كما سبق الى النزول أولا * وقد سلم للشيطان مملكة القلب وهذا القتال ضروري في فطرة الادمي إذ لا يتسع له خالق الولد لما لا يتسع له خلقه الاب * وانما حكي لك حال آدم صلوات الله عليه لتنبه به أن ذلك كان مكتوبا عليه وهو مكتوب على جميع أولاده في القضاء الازلي الذي لا يقبل التبديل * فاذا لا يستغنى أحد عن التوبة *

— فصل —

وأما وجوبها في كل حال فلان الانسان لا يخلو في جميع أحواله عن ذنب في جوارحه أو في قلبه ولا يخلو عن خلق من الاخلاق الذميمة مما يجب تزكية القلب عنه فانه مبعده عن الله والاشتغال بأماطته توبة لانه رجوع عن طريق البعد الى طريق القرب فان خلا عن جميع ذلك فلا يخلو عن غفلة عن الله وذلك أيضا طريق البعد * ويلزمه الرجوع عنه بالذكر ولذلك قال الله تعالى ﴿ واذكر ربك اذا نسيت ﴾ وان كان حاضرا على الدوام * وأنى يتصور ذلك فلا يخلو عن ملازمة

مقام نازل عن المقامات الرفيعة وراءه * وعليه أن يترقى منه الى
 ما فوقه ومهما ترقى منه استغفر عن مقامه الذي خلفه لانه تقصير
 بالاضافة الى ما أدركه وذلك لانهاية له * فلذلك قال عليه السلام
 وانه ليغان على قلبي حتى أستغفر الله تعالى في اليوم واللييلة
 سبعين مرة * وكل ذلك كان توبة منه الا أن توبة العوام عن
 الذنوب الظاهرة * وتوبة الصالحين عن الاخلاق الذميمة الباطنة
 وتوبة المتقين عن مواقع الريبة * وتوبة المحبين عن الغفلة المنسية
 للذكر * وتوبة المارفين عن الوقوف على مقام يتصور أن
 يكون وراءه مقام * والمقامات في القرب من الله لانهاية لها
 فتوبة العارف لانهاية لها أيضا *

﴿ فصل ﴾

التوبة اذا اجتمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة ولا يخفى عليك
 ذلك ان فهمت معنى القبول * فمعنى القبول أن يحصل في قلبك
 استعداد القبول لتجلى أنوار المعرفة في القلب * وانما قلبك كالمرآة
 يحجبها عن التجلي كدورات الشهوة والرغبة فيها ويرتفع من
 كل ذنب ظلمة اليه * ومن كل حسنة نور اليه * فالحسنات تصقل

النفس * ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ اتَّبِعِ السَّيِّئَةَ الْحَسَنَةَ تَمَحَّهَا ﴾ ونسبة التوبة الى القلب نسبة الصابون الى الثوب ولا بد أن يزول منه الوسخ اذا استعمل فيه على وجهه * ومن تاب فانما يشك في قبول التوبة لانه ليس يستيقن تمام شروطها كما ان من شرب المسهل لا يستيقن حصول الاسهال به لانه لا يدري وجود تمام الشرائط في أدويتها ولو تصور أن يعلم ذلك لتصور أن يعلم القبول في حق الشخص المعين * ولكن هذا الشك في الاعيان لا يشكنا في أن التوبة في نفسها بطريق القبول لا محالة *

﴿ فصل ﴾

علاج التوبة حل عقدة الاصرار فانه لا مانع منها سوى الاصرار * ولا حامل عليه سوى الغفلة والشهوة * وذلك مرض في القلب * وعلاجه كعلاج أمراض البدن لكن هذا المرض أكثر من مرض الابدان لثلاثة أسباب ﴿ أحدها ﴾ انه من مرض لا يعرف صاحبه أنه مريض وهو كبرص على وجه من لا مرآة له فانه لا يعالجه لانه لا يعرفه ولو أخبره غيره

ربما لم يصدقوه ﴿الثاني﴾ أن عاقبة هذا المرض لم يشاهدها الانسان ولم يجربها * فلذلك تراه يتكلم على عفو الله ويجتهد في علاج مرض البدن غاية الجهد ﴿الثالث﴾ وهو الداء العضال فقد الاطباء * فان الطبيب هو العالم العامل * وقد مرض العلماء في هذه الاعصار مرضا عسر عليهم علاج أنفسهم لان الداء المهلك هو حب الدنيا وقد غلب ذلك على العلماء واضطروا الى الكف عن تحذير الخلق من الدنيا كيلا تنكشف فضيحتهم فافتضحوا لما اصطاحوا على الاقبال على الدنيا والتجاذب لها والتكالب عليها * فبهذا السبب عم الداء وانقطع الدواء * واشتغل الاطباء بفنون الاغواء فليتهم اذا لم يصلحوا لم يفسدوا * وليتهم سكتوا وما نطقوا بل صار كل واحد كانه صخرة في فم الوادي لا هي تشرب ولا تترك الماء ليشربه غيرها * وجملة القول في علاجه أن تنظر في سبب الاصرار وهو يرجع الى خمسة أبواب ﴿أولها﴾ أن العقاب الموعود ليس بنقد والطبع يستهين بما لا يوجد محققا

نعم ما قال بعض الشعراء فيما له مناسبة بهذا البحث

يامعشر القراء ياملح البلد * ما يصلح الملاح اذا الملح فسد

في الحال * وعلاجه أن تتفكر لتعلم أن كل ما هو آت قريب
 وأن البعيد ما ليس بآت * وأن الموت أقرب إلى كل أحد من
 شرك نعله فما يدريه لعله في آخر أيامه أو في آخر سنة من عمره
 ثم يتفكر أنه كيف يتعب في الاسفار فيركب الاخطار خوفا
 من الفقر في الاستقبال ﴿ الثاني ﴾ ان اللذات والشهوات
 أخذت بمخنته في الحال فليس يقدر على قلعها * وعلاجه ان
 يتفكر انه لو ذكر له طبيب نصراني بان شرب الماء البارد
 يضره ويسوقه الى الموت وهو ألد الاشياء عنده كيف
 يتركه * فليعلم ان الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم أصدق
 من الطبيب النصراني * والخلود في النار أشد من الموت بالمرض
 وليقرر على نفسه انه اذا كان يشق عليه ترك اللذات أياما
 قلائل فكيف لا يشق عليه ملازمة النار والحرامان عن الفردوس
 ونعيمه أبد الدهر ﴿ الثالث ﴾ انه يسوف بالتوبة يوما فيوما
 وعلاجه ان يتفكر ويعلم ان بناء خطر السعادة والشقاوة على
 ما ليس اليه جهل فمن أين يعلم انه يبقى الى ان يتوب * وان
 أكثر صياح أهل النار من التسويف لانهم سوففوا حتى

فاجأهم مرض ساقهم الى الموت كيف وانما يسوف لانه يعجز
 عن قمع الشهوات في الحال فان كان ينتظر يوماً يسهل فيه قمع
 الشهوات فهذا يوم لم يخلق أصلاً بل مثاله مثال إمراً يريد ان
 يقام شجرة عجز عنها لضعفه وقوة رسوخ الشجرة فيوخر
 الى السنة القابلة وهو يعلم ان الشجرة تزداد كل يوم رسوخاً
 وقوته تزداد كل يوم قصوراً ونقصاً وذلك غاية الجهل
 ﴿الرابع﴾ أن يعد نفسه بالكرم والمفو وذلك غاية الحمق
 اوردها الشيطان في معرض الدين * قال النبي صلى الله عليه
 وسلم ﴿الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من
 أتبع نفسه هواها وتمنى على الله تعالى﴾ ﴿الخامس﴾ ان يكون
 والعياذ بالله شاكاً في أمر الآخرة * وقد ذكرنا علاجه في
 خاتمة الاخلاق الذميمة *

﴿ فصل ﴾

التوبة من الذنوب كلها مهمة واجبة وعن الكبار اهم
 والاصرار على الصغيرة أيضاً كبيرة فلا صغيرة مع اصرار
 ولا كبيرة مع رجوع واستغفار * وتواتر الصغائر عظيم التأثير

في تسويد القلب وهو كتواتر قطرات الماء على الحجر فانه يحدث
 فيه حفرة لا محالة مع لين الماء وصلابة الحجر * وتعظم الصغيرة
 باسباب (١) احدها * ان يستصغرها العبد ويستهن بها فلا
 يهتم بسببها * قال بعضهم الذنب الذي لا يغفر قول العبد ليت
 كل شيء عمله مثل هذا (٢) الثاني * السرور بها والتبجح
 بسببها واعتقاد التمكن منها نعمة حتى ان المذنب ليفتخر
 فيقول ما رأيتني كيف شتمته وكيف مزقت عرضه وكيف
 خدعته في المعاملة وذلك عظيم التأثير في تسويد القلب
 (٣) الثالث * ان يتهاون بستر الله عليه ويظن ان ذلك لكرامة عند
 الله تعالى ولا يدري انه ممقوت * وقد أمهل ليزداد اثماً فيكون
 في الدرك الاسفل من النار (٤) الرابع * ان يجاهر بالذنب
 ويظهره او يذكره بعد فعله * وفي الخبر كل الناس معافي الا
 المجاهرون (٥) الخامس * أن يصدر الصغيرة عن عالم يقتدى
 به فذلك عظيم لانه يبقى بعد موته * فطوبى لمن مات ومات
 معه ذنوبه * ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل
 بها الى يوم القيمة * وروي ان بعض علماء بني اسرائيل تاب

عن ذنوبه وبدعته فأوحى الله الى نبي زمانه ان ذنبك لو كان
 فيما بيني وبينك لغفرت لك ولكن كيف بمن أضللت من عبادي
 فادخلتهم النار* وعلى الجملة فلا باعث على التوبة الا الخوف الصادر
 عن البصيرة والمعرفة* فلندكر فضيلة الخوف *

﴿ الاصل الثاني في الخوف ﴾

وقد جمع الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان
 وناهيك بذلك فضلا فقال تعالى ﴿ هدى ورحمة للذين هم
 لربهم يرهبون ﴾ وقال ﴿ انما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وقال
 الله تعالى ﴿ رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه ﴾
 وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ رأس الحكمة مخافة الله ﴾ وقال عليه
 السلام ﴿ من خاف الله تعالى خافه كل شيء ومن خاف غير الله
 تعالى خوّفه الله من كل شيء ﴾ وقال عليه السلام قال الله تعالى
 وعزتي وجلالي لا أجمع على عبيدي خوفين ولا أجمع له أمينين
 فاذا أمنتني في الدنيا أخفته يوم القيامة* واذا خافني في الدنيا
 أمنتني يوم القيامة *

﴿ فصل ﴾

﴿ اعلم ﴾ أن حقيقة الخوف هو تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروهه في الاستقبال * وقد يكون ذلك الخوف من جريان ذنوب * وقد يكون الخوف من الله تعالى بمعرفة صفاته التي توجب الخوف لا محالة — وهذا أكل وأتم لأن من عرف الله خافه بالضرورة * ولذلك قال الله تعالى ﴿ إنما يخشى الله من عباده العلماء ﴾ وقد أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام ﴿ خفني كما تخاف السبع الضاري ﴾ ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم ﴿ أنا أخوفكم لله تعالى ﴾ واعلم أن الواقع في مخالب السبع إنما لا يخافه إذا لم يعرف السبع * فإن من علم أن من صفة السبع أنه يهلك ولا يبالي فإن تركه لم يكن لرقته عليه وشفقته فإنه أحقر عنده من أن يشفق عليه فلا بد من أن يخاف والله المثل الأعلى - وهو العزيز الحكيم * ولكن من عرف أنه لو أهلك الأولين والآخريين لم يبالي ولم ينقص شيء من ملكه ﴿ قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد أن يهلك المسيح بن مريم وأمه ومن في الأرض جميعاً ﴾ وكم

أهلك من عباده في الدنيا * وعرضهم لأنواع العذاب ولم
تأخذه رقة ولا شفقة فان ذلك محال عليه فلا بد وان يخاف *
فمعرفة الجلال والعزة والاستغناء يورث الهيبة بالضرورة *
وهذا أكمل أنواع الخوف وأفضلها *

﴿ فصل ﴾

علاج الخوف وتحصيله على رتبتين ﴿ أحديهما ﴾ معرفة الله
تعالى فانها توجب الخوف بالضرورة فان الواقع في مخالب
السبع لا يحتاج الى علاج ليخاف ان كان يعرف السبع * ومن
عرف جلال الله تعالى واستغنائه وانه خلق الجنة وخلق لها
اهلا وخلق النار وخلق لها اهلا وانه تمت كلمته بالسعادة
والشقاوة في حق كل احد صدقا وعدلا وان ذلك لا يتصور
تغيره ولا يصرفه * عن تنفيذ قضائه الاذلي صارف وهو لا يدري
ما الذي سبق به القضاء في حقه * ولا يدري ما الذي يحتم له به
وأحتمل عنده ان يكون مقضيا له بشقاوة الابد فهذا لا يتصور
ان لا يخاف ﴿ واما من عجز عن حقيقة المعرفة ﴾ فعلاجه النظر
الى الخائفين ومشاهدة احوالهم او سماع ذلك * فان اخوف

خلق الله الانبياء والاولياء والعلماء واهل البصيرة * وأعظم
 الخلق أمنا الغافلون الاغبياء الذين لا يمتد نظرهم لا الى السابقة
 ولا الى الخاتمة ولا الى معرفة جلال الله تعالى — وهذا كما ان
 الصبي لا يخاف الحية ما لم ينظر الى ابيه يخافها ويهرب منها
 ويرتعد فرايصه اذ اراها فينظر اليه فيقلده ويستشعر خوفه
 وان لم يعرف بالحقيقة صفة الحية * وقد قال صلى الله عليه وسلم
 ما جاءني جبرائيل عليه السلام قط الا وهو يرتعد فرايصه
 فرقاً^(١) من النار * وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق
 جبرئيل وميكائيل يبكيان * فاوحى الله سبحانه اليهما مالكما
 تبكيان * قالا يارب ما نأمن مكرك * فقال الله تعالى هكذا
 كونا لا تأمنا مكري * ولا يأمن مكر الله الا القوم الخاسرون *
 وقيل لما خلق الله تعالى النار طارت افئدة الملائكة عن
 اماكنها فلما خلق بني آدم عادت وكان ازيز^(٢) قلب ابراهيم

(١) فرق فرقاً من باب تعب خاف (٢) أزت القدر تَز
 وتؤز أزاً وأزيراً وأزازاً بالفتح وائزت وتأزت اشتد غليانها أو هو
 غليان ليس بالشديد والنار أوقدها والازز محرّكة امتلاء المجلس

عليه السلام يسمع في الصلاة من مسيرة ميل * وبقي
 داود عليه السلام اربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه
 حتى نبت الرعى ^(١) من دموعه * وقال ابو بكر الصديق رضي
 الله عنه لطائر ليتني مثلك ياطر ولم اخلق * وقال ابو ذر
 رضي الله عنه وددت لو اني شجرة تمضد ^(٢) وقالت عائشة
 رضي الله عنها وددت لو اني نسيام نسيماً * وقد حكينا احوال
 الخائفين في كتاب الخوف فليتأمل القاصر عن ذروة
 المعرفة احوال الانبياء والاولياء والعارفين * ليعلم انه احق
 بالخوف منهم * واذا تأمل ذلك بالحقيقة غلبه خوفه *

﴿ فصل ﴾

الخوف سوط يسوق العبد الى السعادة ولا ينبغي ان يفرط
 بحيث يورث القنوط فذلك مذموم ^(٣) * بل اذا غلب ينبغي ان
 يمزج الرجاء به * نعم ينبغي ان يغلب الخوف الرجاء مادام العبد
 مقارناً للذنوب ﴿ فاما المطيع ﴾ المتجرد لله تعالى فينبغي ان

(١) الرعى بالكسر الكلاً جمعه أرعاء (٢) أي تقطع وعضده قطعه

(٣) يأنفس لا تقنطي من زلة عظمت * ان الكبار في الغفران كاللحم

يعتدل خوفه ورجاؤه مثل عمر رضي الله عنه حيث قال لو
 نودي ليدخلن الجنة جميع الخلق الا رجل واحد اخفت ان
 اكون انا ذلك الرجل * ولو نودي ليدخلن النار جميع الخلق الا
 رجل واحد لرجوت ان اكون انا ذلك الرجل * واما اذا قرب
 الموت فالرجاء وحسن الظن بربه اولى به * قال صلى الله عليه
 وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بربه ﴿ والرجاء ﴾
 يخالف التمني فان من لا يتعهد الارض ولا يبث البذر ثم ينتظر
 الذرع فهو متمنى مغرور فليس براج * انما الراجي من تعهد
 الارض وسقاها * وبث البذر وحصل كل سبب يتعلق باختياره
 ثم بقى يرجو ان يدفع الله الصواعق والقواطع وان يمكنه
 من الحصاد بعد الانبات * ولذلك قال عز وجل ﴿ ان الذين امنوا
 والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة
 الله والله غفور رحيم ﴾ وبالجملة فثمرة الرجاء الترغيب في
 الطلب * وثمره الخوف الترغيب في الهرب * ومن رجأ شيئاً
 طلبه ومن خاف شيئاً هرب منه * واقل درجات الخوف ما
 يحمل على ترك الذنوب وعلى الاعراض عن الدنيا * وما لا

يحمل على ذلك فهو حديث نفس وخواطر لا وزن لها تشبه
 رقة النساء ولا ثمرة لها * بل الخوف اذا تم أثمر الزهد في
 الدنيا * فلنذكر الزهد ومعناه *

﴿ الاصل الثالث في الزهد ﴾

قال الله تعالى ولا تمدن عينيك الى مامتعنا به ازواجاً منهم
 زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ورزق ربك خير وأبقى * وقال
 من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه * ومن كان
 يريد حرث الدنيا نؤثه منها وما له في الآخرة من نصيب
 وقال الله تعالى في حق قارون * فخرج على قومه في زينته قال
 الذين يريدون الحياة الدنيا يا ليت لنا مثل ما أوتي قارون انه
 لذو حظ عظيم * وقال الذين اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير
 لمن آمن وعمل صالحاً * فيبين ان الزهد من ثمرات العلم *
 وقال صلى الله عليه وسلم من اصبغ وهمه الدنيا شئت الله عليه
 امره وفرق عليه ضيعته وجعل فقره بين عينيه ولم يأت من
 الدنيا الا ما كتب له * ومن اصبغ وهمه الآخرة جمع الله له همه
 وحفظ عليه ضيعته وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا وهي راغمة

ولما سئل صلى الله عليه وسلم عن قوله تعالى فمن ير د الله ان يهديه
يشرح صدره للاسلام * ومن ير دان يضلّه يجعل صدره ضيقا
حرجا وعن معنى الشرح قال عليه السلام * ان النور اذا دخل القلب
انشرح الصدر وانفسح * قيل وهل لذلك من علامة قال نعم التجافي
عن دار الغرور والاناة الى دار الخلود والاستعداد للموت قبل
نزوله * وقال عليه السلام استحيوا من الله حق الحياء * وقيل
انا نستحي قال عليه السلام تبون مالا تسكنون وتجمعون مالا
تأكلون * وقال عليه السلام من زهد في الدنيا ادخل الله الحكمة
قلبه وانطق بها لسانه وعرفه داء الدنيا ودواءها واخرجه منها
سالما الى دار السلام * وقال عليه السلام لا يستكمل العبد حقيقة
الايمان حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى
يكون قلة الشيء احب اليه من كثرتة * وقال عليه السلام اذا
اراد الله بعبد خيرا زهده في الدنيا ورغبه في الآخرة وبصره
بعيوب نفسه * وقال عليه السلام زهد في الدنيا يحبك الله تعالى
وازهد فيما في ايدي الناس يحبك الناس * وقال عليه السلام من اراد
ان يؤتيه الله علما بغير تعلم وهدى بغير هداية فلينزه في الدنيا

فصل

للزهد في الدنيا حقيقة واصل وثمره ^(١) ﴿ اما حقيقته ﴾ فهو عزوف النفس ^(٢) عن الدنيا وانزواؤها ^(٣) عنها طوعاً مع القدرة عليها * وأصلها العلم والنور الذي يشرق في القلب حتى ينشرح به الصدر ويتضح به أن الآخرة خير وأبقى وإن نسبة الدنيا إلى الآخرة أقل من نسبة خزفة إلى جوهرة ﴿ وثمرتها ﴾ القناعة من الدنيا بقدر الضرورة وهو قدر زاد الرأكب * فالأصل نور المعرفة فيشرح حال الانزواء * ويظهر على الجوارح بالكف الاعن قدر الضرورة في زاد الطريق ﴿ والضروري ﴾ من زاد الطريق مسكن وملبس ومطعم وأثاث ﴿ أما المطعم ﴾ فله طول وعرض ﴿ أما طوله ﴾ فبالإضافة إلى الزمان ﴿ وأقصر درجاته ﴾ الاقتصار على دفع الجوع في الحال * فاذا دفعه غدوة لم يدخر شيئاً لعشائه

- (١) الزهد في اللغة ترك الميل إلى الشيء * وفي اصطلاح أهل الحقيقة هو بغض الدنيا والاعراض عنها * وقيل هو ترك راحة الدنيا طلباً لراحة الآخرة انتهى كتبه مصححه محي الدين الكردي
- (٢) عزفت نفسي عنه تعزف عزوفا زهدت فيه وانصرفت عنه
- (٣) والانزواء بالفارسي كوشه نشستن وازخاق فارغ بودن

﴿ وأوسطه ﴾ أن يدّخر لشهر الى أربعين يوماً فقط ﴿ وأدناه ﴾ أن يدّخر لسنة * فان جاوز ذلك خرج عن جميع أبواب الزهد الا أن لا يكون له كسب ولا يأخذ من الأيدي كداود الطائي فانه ملك عشرين ديناراً فامسكها وقنع بها عشرين سنة * فذلك لا يبطل مقام الزهد ودرجته في الآخرة الا عند من يشترط التوكل في الزهد ﴿ وأما عرضه ﴾ فاقله نصف رطل وأوسطه رطل وأعلاه مد * والزيادة عليه تبطل رتبة الزهد * وأما الجنس فاقله ما يقوت ولو النخالة * وأوسطه خبز الشعير * وأعلاه خبز البر غير منخول فان نخل فهو تنعم لا زهد * فاما الأدام فاقله الخل والبقل والملح * وأوسطه الأدهان وأعلاه اللحم * وذلك في الأسبوع مرة أو مرتين * فاذا دام لم يمكن صاحبه زاهداً * قالت عائشة رضي الله عنها كان يأتي أربعون ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مصباح ولا نار * وقيل ماشيع رسول الله صلى الله عليه وسلم منذ قدم المدينة ثلاثة أيام من خبز البر ﴿ وأما الملبس ﴾ فاقله ما يستر العورة ويدفع الحرّ والبرد * وأعلاه قميص

وسراويل ومنديل من الجنس الخشن * ويكون بحيث
لو غسل ثوبه لم يجد غيره * فان كان صاحب القميصين لم
يكن زاهدا * قال أبو ذر^(١) أخرجت عائشة رضى الله عنها
كساء ملبداً وازاراً غليظاً * فقالت قبض رسول الله صلى
الله عليه وسلم في هذين * وصلى رسول الله صلى الله عليه
وسلم في خميصة^(٢) لها علم * فلما سلم قال شغاني النظر الى
هذه اذهبوا بها الى ابي جهم الحديث * وكان شركاء نعله قد
اخلق فابدل بسير جديد^(٣) * فلما سلم عن صلوته * قال اعيدوا
الشركاء الخلق فاني نظرت اليه في الصلاة * وكان عليه السلام
قد احتذى نعلين جديدين فاعجبه حسنهما فخرّسا جدا * فقال
عليه السلام اعجبني حسنهما فتواضعت لربي خشية ان يمقتني
ثم خرج بهما فدفعهما الى اول مسكين زاه * وقد عدّ على قميص
عمر رضى الله عنه اثنتا عشرة رقعة بعضها من آدم * واشترى
على رضوان الله عليه في خلافته ثوباً بثلاثة دراهم وقطع كفيه

(١) وفي النسخة الكردية قال أبو بردة الخ (٢) الخميصة هي

ثوب خز أو صوف معلم (٣) والسير بالفتح الذي يقدر من الجلد *

من الرّسغين * وقال الحمد لله الذي هذا من رياسه * وقال بعضهم
 قومت ثوب سفينان ونعله بدرهم ودائقين وقال علي رضوان
 الله عليه ان الله عز وجل أخذ على أئمة الهدى ان يكونوا في
 مثل ادنى احوال الناس ليقتدى بهم الغنى ولا يزري بالفقر
 فقره * (واما المسكن) فادناه ان تقنع بزاوية في مسجد او
 رباط كاهل الصفة * واعلاه ان يطلب لنفسه موضعاً خاصاً
 وهي حجرة اما بشراء او اجارة بشرط ان لا يزيد سمته على
 قدر الحاجة ولا يرفع بناؤه ولا يهتم بتجسيصه * وفي الاثر ان
 من يرفع بناءه فوق ستة اذرع ناداه مناد الى أين يا أفسق
 الفاسقين * ومات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يضع لبنة
 على لبنة ولا قصبة على قصبة * وقال عبد الله بن عمر رضي
 الله عنهما مرّ بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نعالج
 خصاً^(١) فقال ان الامر اعجل من ذلك واتخذ نوح عليه السلام
 بيتاً من خص * فقليل له لو شئت لاتخذته من الطين * فقال
 هذا كثير لمن يموت * وقال صلى الله عليه وسلم من بنى فوق

ما يكفيه كلف ان يحمله يوم القيمة * وقال عليه السلام كل بناء
 وبال على صاحبه يوم القيمة الا ما أكن من حرّ وبرد * (واما)
 اثاث البيت ففيه ايضا درجات * وادناها حال عيسى بن مريم
 عليه السلام اذ لم يكن معه الا مشط وكوز * فرأى انسانا
 يمشط باصابعه فرمى المشط * ورأى آخر يشرب بيده فرمى
 الكوز * (واوسطه) ان يستعمل الجنس الخشن واحداً في
 كل غرض * ويجهده ان يستعمل واحداً في اغراض * وقال عمر
 رضي الله عنه لعمر بن سعيد وهو امير حمص مامعك من
 الدنيا * فقال معي عصاي أتوكأ عليها وأقتل بها حية ان لقيتها
 ومعني جرابي أحمل فيها طعامي * ومعني قصعتي آكل فيها وأغسل
 رأسي وثوبي * ومعني مطهرتي أحمل فيها شراي ووضوئي * فما
 كان بعد هذا من الدنيا فهو تبع لما معي فقال صدقت * وقال
 الحسن ادركت سبعين من الاخير ما لاحدهم الا ثوبه وما
 وضع احدهم بينه وبين الارض ثوبا * وكان فراس رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من ادم حشوها
 ليف وعباءة خشنة * فهذه سيرة الزهاد في الدنيا * فمن حرم هذه

الرتبة فلا أقل من ان يتحسّر على فواتها ويجتهد ان يكون
قربه منهم اكثر من قربه من المتنعمين في الدنيا *

— فصل —

الزهد على درجات ﴿ احداها ﴾ ان يزهد ونفسه مائلة الى
الدنيا ولكن يجاهدها * وهذا مترهد وليس بزاهد ولكن
بداية الزهد الزهد ﴿ الثانية ﴾ ان تنفر نفسه عن الدنيا ولا
تميل اليها لعلها بان الجمع بينها وبين نعيم الآخرة غير ممكن
فتسمح لنفسه بتركها كما تسمح نفس من يبذل درهما ليشترى
جوهرة وان كان الدرهم محبوبا عنده وهذا زهد ﴿ الثالثة ﴾
ان لا تميل نفسه الى الدنيا ولا تنفر عنها بل يكون وجودها
وعدمها عنده بمثابة واحدة * ويكون المال عنده كالماء وخزانة
الله تعالى كالبحر فلا يلتفت قلبه اليه رغبة ونفورا * وهذا هو
الاكمل لان الذي يبغي شيئا فهو مشغول به كالذي يحبه
ولذلك ذم الدنيا عند رابعة العدوية * فقالت لولا قدرها في
قلوبكم ما ذمتموها * وحمل الى عايشة رضى الله عنها مائة الف
درهم فلم تنفر عنها ولكن فرقها في يومها * فقالت خادمتها لو

اشتريت بدرهم لحماً تفطرين عليه * فقالت لو ذكرتني لفعلت
فهذا هو الغنى وهو اكل من الزهد * ولكنه مظنة غرور الحمقى
اذ كل مغرور يستشعر في نفسه ان لاهلاقة لقلبه مع الدنيا
وعلاصة ذلك ان لا يدرك الفرق بين ان يسرق جميع ماله او
يسرق مال غيره * فما دام يدرك التفرقة فهو مشغول به *

﴿ فصل ﴾

كمال الزهد هو الزهد في الزهد بان لا يعتد به ولا يراه منصباً
فان من ترك الدنيا وظن انه ترك شيئاً فقد عظم الدنيا اذ
الدنيا عند ذوي البصائر لا شيء * وصاحبها كمن منعه عن دار
الملك كلب على بابه فالقى اليه لقمة خبز وشغله بها ودخل دار
الملك وجلس على سرير الملك فان الشيطان كلب على باب
الله تعالى * والدنيا كلها اقل من لقمة بالاضافة الى الملك
اذ اللقمة لها نسبة الى الملك اذ يقني بامثالها والآخرة لا يتصور
ان تقني بامثال الدنيا لانها لا نهاية لها *

﴿ فصل ﴾

الزهد باعتبار الباعث عليه على ثلاث درجات ﴿ احديها ﴾ ان

يكون باعثة الخوف من النار وهذا زهد الخائفين ﴿ الثانية ﴾
وهي أعلى منه ان يكون باعثة الرغبة في نعيم الآخرة * وهذا
زهد الراجين * والعبادة على الرجاء افضل منها على الخوف لان
الرجاء يقتضي المحبة ﴿ الثالثة ﴾ وهي أعلاها ان يكون الباعث
عليه الترفع عن الالتفات الى ماسوى الحق تنزيها للنفس عنه
واستحقاقاً لما سوى الله * وهذا زهد العارفين وهو الزهد
المحقق وما قبله معاملة اذ ينزل صاحبها عن شئ عاجلا ليعتاض
عنه اضعافه آجلا *

فصل

الزهد باعتبار ما فيه من الزهد على درجات ﴿ وكما له ﴾ الزهد في
كل ماسوى الله تعالى في الدنيا والآخرة ﴿ ودونه ﴾ الزهد
في الدنيا خاصة دون الآخرة ﴿ ثم يدخل ﴾ فيه كل ما فيه حظ
وتمتع في الدنيا من مال وجاه وتنعم ودون ذلك ان يزهد في
المال دون الجاه أو في بعض الاشياء دون البعض * وذلك ضعيف
لان الجاه ألد وأشهى من المال فالزهد فيه اهم *

﴿ فصل ﴾

الزهد ان تنزوي عن الدنيا طوعا مع القدرة عليها * أما ان
 انزوت الدنيا عنك وانت راغب فيها * فذلك فقر وليس بزهد
 ولكن للفقر ايضا فضل على الغنى لانه منع عن التمتع بالدنيا
 وهذا هو أفضل ممن مكن من الدنيا والتمتع بها حتى الفها واطمان
 اليها ولم يتجاف قلبه عنها فيعظم الالم والحسرة عند الموت
 وتكون الدنيا كأنها جنة الغنى * وتكون كأنها سجن الفقير اذ
 يشتهي الخلاص من آلامها والفقر من اسباب السعادة * قال
 النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى يحمي عبده عن الدنيا وهو
 يحبه كما يحمي احدكم مريضه عن الطعام والشراب * وقال عليه
 السلام يدخل فقراء امتي الجنة قبل اغنياءها بخمس مائة عام
 وقال عليه السلام خير هذه الامة فقراؤها * وقال عليه السلام
 اذا رأيت الفقر مقبلا فقل مرحبا بشعار الصالحين * واذا رأيت
 الغنى مقبلا فقل ذنب عجلت عقوبته * وقال موسى عليه السلام
 يارب من احبائك من خلقت حتى احبهم لا جلك * فقال كل
 فقير ﴿ واعلم ﴾ ان الفقير ان كان قانعا بما أعطي غير شديد الحرص

على الطلب فدرجته قريب من درجة الزاهد * قال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن هدى للإسلام وكان عيشه كفافا وقنع به وقال صلى الله عليه وسلم الفقراء الصبراء هم جلساء الله تبارك وتعالى * وقال عليه السلام أحب العباد إلى الله تعالى الفقير القانع * وأوحى الله تعالى إلى اسماعيل صلوات الله عليه وسلامه اطلبني عند المنكسرة قلوبهم * قال ومن هم قال الفقراء الصادقون * وعلى الجملة انما يعظم ثواب الفقير عند القناعة والصبر والرضى والصبر على الفقر مبدء الزهد * ولا تتم هذه المقامات الا بالصبر فلنذكره *

﴿ الاصل الرابع في الصبر ﴾

قال الله تعالى واصبروا ان الله مع الصابرين * وجمع للصابرين بين امور لم يجمعها لغيرهم * فقال عز من قائل اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة واولئك هم المهتدون * وقال تعالى ولنجزين الذين صبروا اجرهم باحسن ما كانوا يعملون * وقال تعالى وجعلنا منهم ائمة يهتدون بامرنا لما صبروا * وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب * وذكر الله

سبحانه في القرآن الصبر في نيف وسبعين موضعاً * وقال
 صلى الله عليه وسلم الصبر نصف الايمان * وقال عليه السلام
 من اقل ما أوتيتم اليقين وعزيمة الصبر ومن اعطى حظه منهما
 لم يبال بما فاتته من قيام الليل وصيام النهار * وقال عليه السلام
 الصبر كنز من كنوز الجنة * وسئل النبي عليه السلام مرة عن
 الايمان فقال هو الصبر * وقال عيسى عليه السلام انكم لا تدركون
 ما تحبون الا بصبركم على ما تكرهون *

﴿ فصل ﴾

حقيقة الصبر ثبات باعث الدين في مقابلة باعث الهوى وهو
 من خاصية الآدمي الذي هو كالركب من شعب ملكية
 وبهيمية لان البهيمية لم يسلط عليها الا دواعي الشهوة والملائكة
 لم يسلط عليهم الشهوة بل جردوا للشوق الى مطالعة جمال
 الحضرة الربوبية والابتهاج بدرجة القرب منها فهم يسبحون
 الليل والنهار لا يفترون * فليس فيهم داعية الشهوة فلم يتصور
 الصبر لملك ولا بهيمة بل الانسان سُلط عليه جندان يتطاردان
 ﴿ احدهما ﴾ من حزب الله وملائكته وهو العقل وبواعثه

﴿ والثاني ﴾ من جنود الشيطان وهى الشهوات ودواعيها يمد
 البلوغ يظهر بواعث الدين والعقل اذ يحمل على النظر الى
 العواقب وتبتدىء بقتال جند الشيطان فان ثبت باعث الدين
 في مقابلة باعث الهوى حتى غلبه فقد حصل مقام الصبر اذ
 لا يتصور الصبر الا عند تعارض الباعثين على التناقض وذلك
 كالصبر على شرب الدواء البشيع اذ يدعو اليه داعى العقل
 ويمنع منه داعى الشهوة * وكل من غلبته شهوته لم يهزم عليه
 ومن غلب عقله شهوته فصبر على مرارته لينال الشفاء * وشطر
 الايمان انما يتم بالصبر * ولذلك قال النبي عليه السلام الصبر
 نصف الايمان لان الايمان يطاق على المعارف والاعمال جميعاً
 وسائر الاعمال في طرفي الكف والاقدام والتزكية والتحلية
 لا يتم الا بالصبر لان جملة اعمال الايمان على خلاف باعث
 الشهوة فلا يتم الا بثبات باعث الدين في مقابلته * ولذلك
 قال عليه السلام الصوم نصف الصبر لان الصبر تارة في
 مقابلة داعى الشهوة وتارة في مقابلة داعى الغضب * والصوم
 هو كسر لداعية الشهوة *

(فصل)

الصبر له ثلاث درجات بحسب ضعفه وقوته ﴿الدرجة العليا﴾
 ان تقمع داعية الهوى بالكلية حتى لا يبقى لها قوة للمنازعة
 ويتوصل اليها بدوام الصبر وطول المجاهدة وذلك من الذين
 قيل لهم ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وايام ينادي
 المنادي يا أيها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية
 ﴿الدرجة السفلى﴾ ان تقوى داعية الهوى وتسقط المنازعة
 باعث الدين ويغلب الهوى ويسلم القلب لجند الشيطان وذلك
 من الذين قيل فيهم ولكن حق القول مني لا ملأن جهم
 من الجنة والناس اجمعين * وعلامته شيئان ﴿احدهما﴾ ان
 يقول انا اشتاق الى التوبة ولكن تعذرت عليّ فلست اطعم
 فيها فهذا هو القانط وهو الهالك ﴿الثاني﴾ ان لا يبقى فيه
 شوق الى التوبة ولكن يقول الله كريم رحيم وهو مستغنى عن
 توبتي فلا تضيق الجنة الواسعة والمغفرة الشاملة عني * وهذا
 المسكين قد صار عقله اسير شهوته ولا يستعمله الا في
 استنباط حيل قضاء الشهوة فصار عقله كالمسلم الا سير بين

الكفار يستسخرونه في رعاية الخنازير وحفظ الخمر وحملها
على العنق والظهر الى بيوتهم * فانظر كيف يكون حال العبد
اذا اخذ أعز أولاد الملك وسلمه الى أخس أعدائه حتى استرقه
واستسخره ففي مثل حاله يكون قدوم هذا الغافل المنهمك
على الله تعالى نعوذ بالله منه ﴿ الدرجة الوسطى ﴾ ان لا يفتقر
على المحاربة ولكن يكون الحرب بينهما سجالا تارة له اليد
وتارة عليه اليد * وهذا من المجاهدين الذين خلطوا عملا صالحا
وآخر سيئا الآية * وعلامة هذا ان يترك من الشهوات ما هو
اضعف ويعجز عما هو اغلب * وربما يغلبها في بعض الاوقات
دون بعض وهو في جميع الاحوال متحسر على عجزه ومستمر
المعاودة الى مجاهدته وقتاله * وذلك هو الجهاد الاكبر * ومهما
اتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى * وبالجمله فقد قصر عن
البهيمة انسي لم يقاوم بقوة عقله شهوته وقد ايد بالعقل وحرّم
عنه البهيمة * ولذلك قال الله تعالى اولئك كالانعام بل هم اضل سبيلا

﴿ فصل ﴾

اعلم ان الحاجة الى الصبر عامة في جميع الاحوال لان جميع

ما يلقي العبد في هذه الحياة لا يخلو عن نوعين * فانه اما ان
 يوافق هواه او يخالفه * فان وافق هواه كالصحة والسلامة
 والثروة والجاه وكثرة العشيرة فما احوجه الى الصبر معها فانه
 ان لم يضبط نفسه طغي واسترسل في التمتع واتباع الهوى
 ونسي المبتدى والمنتهى * ولذلك قالت الصحابة رضوان الله
 عليهم اجمعين بلينا بفتنة الضراء فصبرنا * وبلينا بفتنة السراء فلم
 نصبر * ولذلك قيل يصبر على البلاء كل مؤمن ولا يصبر على
 العافية الا صديق * ومعنى الصبر فيها ان لا يركن اليها ويعلم ان
 كل ذلك وديعة عنده ويسترجع على القرب وان لا ينهمك
 في الغفلة والتمتع ويؤدي حق شكر النعمة * وذلك مما يطول
 شرحه ﴿ النوع الثاني ﴾ ما يخالف الهوى وذلك اربعة اقسام
 ﴿ القسم الاول الطاعات ﴾ والنفس تنفر عن بعضها بمجرد
 الكسل كالصلاة * وعن بعضها بالبخل كالزكاة * وعن بعضها
 بهما جميعا كالحج والجهاد والصبر على الطاعة من الشدايد
 ويحتاج المطيع الى الصبر في ثلاثة احوال ﴿ احديها ﴾ اول
 العبادة بتصحيح الاخلاص والصبر عن شوايب الريا ومكايده

الشيطان ومكاييد النفس وغرورها ﴿الثانية﴾ حالة العمل كيلا
 يتكاسل عن تحقيق أدائه بفروضه وسننه * ويوقع على
 شرط الادب مع حضور القلب ونفي الوسواس ﴿الثالثة﴾
 بعد الفراغ وهو ان يصبر عن ذكره وافشائه للتظاهر به
 رياء وسمعة * وكل ذلك من الصبر الشديد على النفس
 ﴿القسم الثاني المعاصي﴾ وقد قال صلى الله عليه وسلم ﴿المجاهد
 من جاهد هواه والمهاجر من هجر السوء﴾ والصبر عن
 المعاصي اشد لاسيما عن معصية صارت عادة مألوفا اذ
 يتظاهر فيه على بواعث الدين جندان ﴿جند الهوى وجند
 العادة﴾ فان انضم الى ذلك سهولة فعله وخفة المؤنة فيه لم يصبر
 عنها الا الصديق * وذلك كعاصي اللسان فانها هينة سهلة * وذلك
 كالغيبة والكذب والمراء والثناء على النفس ويحتاج في دفع
 ذلك الى اشد انواع الصبر ﴿القسم الثالث﴾ ما لا يرتبط باختيار
 العبد ولكن له اختيار في دفعه وتداركه كالاذى الذي يناله
 من غيره بيد او لسان * فالصبر على ذلك بترك المكافاة تارة
 يجب وتارة يستحب * قال بعض الصحابة ما كنا نعد ايمان

الرجل إيمانا اذا لم يصبر على الاذى * قال الله عز وجل وانصبرن
على ما آذيتكمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون * وقال الله تعالى ودع
اذا هم وتوكل على الله * وقال تعالى ولقد نعلم انك يضيق صدرك
بما يقولون فسبح بحمد ربك وكن من الساجدين ﴿ القسم
الرابع ﴾ مالا يدخل اوله وآخره تحت الاختيار كالمصاب
بموت الاعزة وهلاك الاموال والمرض وذهاب بعض
الاعضاء وسائر انواع البلاء والصبر عليه من اعلى المقامات
قال ابن عباس رضى الله عنه الصبر في القرآن على ثلاث
مقامات * صبر على اداء الفرائض وله ثمانية درجة * وصبر على
محارم الله تعالى وله تسماية درجة * وصبر على المصيبة عند الصدمة
الاولى وله تسماية درجة * وقال صلى الله عليه وسلم قال الله
تعالى اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر ولم يشتك الى عواده ^(١)
ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه * فان ابرأته ابدلته
ولا ذنب له وان توفيته فالى رحمتي * وقال النبي عليه السلام قال
الله تعالى اذا وجهت الى عبد من عبيدى مصيبة في بدنه او

في ماله او ولده ثم استقبل بذلك بصبر جميل استحييتُ منه
يوم القيامة ان انصب له ميزانا او انشر له ديوانا * وقال عليه
السلام انتظار الفرج بالصبر عبادة * وقال عليه السلام من اجل
الله تعالى ومعرفة حقه ان لا تشكو وجعك * ولا تذكر مصيبتك
فقد عرفت انك لا تستغنى عن الصبر في جميع اوقاتك وبه
يظهر انه شطر الايمان * وشطره الآخر فيما يتعلق بالاعمال
وهو الشكر * فقد قال صلى الله عليه وسلم الايمان ﴿ نصفان
نصف صبر ونصف شكر ﴾ وهذا باعتبار النظر الى الاعمال
والتعبير بالايمان عنها

﴿ الاصل الخامس الشكر ﴾

وقد قال الله تعالى ﴿ وقليل من عبادي الشكور ﴾ وقال لئن
شكرتم لازيدنكم * وقال واشكر والي ولا تكفرون * وقال
وسيجزي الله الشاكرين * وقال ما يفعل الله بعذابكم ان
شكرتم وآمنتم * وقال النبي صلى الله عليه وسلم للطعام الشاكر
منزلة الصائم الصابر عند الله * وكان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يبكي في تهجده فقالت عائشة رضي الله عنها

وما يبيك * وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر
 فقال عليه السلام افلا اكون عبدا شكورا * وقال ينادى يوم
 القيمة ليقيم الحامدون * فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون
 الجنة * فقل ومن الحامدون * قال الذين يشكرون الله على
 كل حال * وقال الحمد رداء الرحمن *

﴿ فصل ﴾

اعلم ان الشكر من المقامات العالية وهو أعلى من الصبر والخوف
 والزهد وجميع المقامات التي سبق ذكرها لانها ليست مقصودة
 في انفسها * وانما تراد غيرها * فالصبر يراد منه قهر الهوى والخوف
 سوط يسوق الخائف الى المقامات المقصودة المحمودة * والزهد
 هرب من العلايق الشاغلة عن الله تعالى * واما الشكر فمقصود
 في نفسه ولذلك لا ينقطع في الجنة وليس فيها توبة ولا خوف
 ولا صبر ولا زهد * والشكر دايم في الجنة — ولذلك قال الله
 تعالى وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين * وتعرف ذلك بان
 تعرف حقيقة الشكر وانه ينتظم من علم وحال وعمل * اما العلم
 فالعلم بالنعمة والمنعم بان النعم كلها من الله تعالى وهو المنفرد

بجميعها * والوسائط كلهم مسخرون مقهورون * وهذه المعرفة
 وراء التقديس والتوحيد فانهما داخلان فيه بل الرتبة الاولى
 في معارف الايمان التقديس * ثم اذا عرفت ذاتا مقدسة وعرفت
 انه لا مقدس الا واحد فهو التوحيد * ثم اذا علمت ان كل ما في
 العالم فهو موجود من ذلك الواحد والكل نعمة منه خاصة
 فهو الحمد * والى هذا الترتيب الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
 من قال ﴿ سبحان الله ﴾ فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله
 فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله فله ثلثون حسنة ﴿ وهذا
 لان التقديس والتوحيد داخلان في الحمد وزيادة * وهذه
 الدرجات بازاء هذه المعارف * واما حركة اللسان ففضلها بحسب
 صدورها عن المعرفة او تجديدها للاعتقاد في القلب * فان الفهم
 آلة لازالة الغفلة لينمحي اثرها ﴿ واعلم ﴾ انك اذا اعتقدت ان
 غير الله دخلا في النعمة الواصلة اليك لم يصح حمدك ولم تتم
 معرفتك وشكرك * وكنت كمن يخضع عليه الملك وهو يرى
 ان اعناية الوزير دخلا في خلعة الملك او في ايصالها اليه او في
 تيسيرها * وكل ذلك اشتراك في النعمة ويتوزع فرحك في

النعمة عليهما * نعم لو رأيت الخلة الواصلة اليك بتوقيع الملك
 بقلمه فذلك لا يقصر من شكرك لانك تعلم ان القلم مسخر
 له لا دخل له في النعمة بنفسه * ولذلك لا يلتفت قلبك الى الفرح
 بالقلم والشكر له * ولذلك قد لا يلتفت الى الخازن والوكيل اذ
 يعلم انهما مضطرا الى العطاء بعد الامر مسخران لا مدخل
 لهما بانفسهما في النعمة * فكذلك من انفتحت بصيرته علم ان
 الشمس والقمر والنجوم مسخرات بامر الله تعالى كالقلم
 والكاغذ والحبر في التوقيع * وان قلوب الخلق خزائن الله تعالى
 ومفاتيحها بيد الله عز وجل فيفتحها بان يسلط عليها دواعي
 جازمة حتى يعتقد ان خيرها في البذل مثلا * وعند ذلك لا يستطيع
 ترك البذل فيكون مضطرا الى الاختيار لما سلط عليه من
 دواعي الاختيار فانه لا يعطيك احد شيئا الا لغرض نفسه
 ليستفيد به في الآجل ثوابا او في العاجل ثناء وذكر او غير
 ذلك * وما لم يعلم ان منفعته في منفعتك فلا يعطيك * فاذا ليس هو
 منعا عليك اذ يسعى لنفسه * انما المنعم عليك من سخره وسلط
 هذه الدواعي عليه * وقرر في نفسه ان غرضه منوط بالاداء

والانعام * فان عرفت الامور كذلك كنت موحدا وتصور
منك الشكر بل هذه المعرفة هي عين الشكر * قال موسى عليه
السلام في مناجاته الهى خلقت آدم بيديك وفعلت وفعلت فكيف
شكرك * قال علم ان ذلك منى فكان معرفة ذلك شكرا *
﴿الركن الثانى﴾ الحال المستثمرة من المعرفة وهى الفرح
بالنعم مع هيئة الخضوع والاجلال * ومن يرسل اليه
بعض الملوك فرسا فيتصور ان يفرح به من ثلاثة اوجه
﴿احدها﴾ من حيث انه ينتفع بالفرس او من حيث يستدل
به على عناية الملك بشأنه وانه سينعم عليه بما هو اعظم منه
او من حيث ان الفرس يكون مركباله حتى يسافر الى
حضرة الملك ويخدمه * والاول ليس من الشكر فى شئ فانه
فرح بالنعمة لا بالنعم ﴿والثانى﴾ داخل فى الشكر شيئا لكنه ضعيف
بالاضافة الى الثالث * فكمال الشكر ان يكون الفرح بما يفتح
الله تعالى من نعمه لا بالنعمة من حيث هى نعمة بل بها من
حيث انها وسيلة اليه اذ بنعمته تم الصالحات * وعلامة هذا ان
لا يفرح بكل نعمة تلبيه عن ذكر الله تعالى بل بغتم بها ويفرح

بما زوى الله تعالى عنه من شغل الدنيا وفضولها * وهذا
 اكمل الشكر * فمن لم يستطع فعله بالثاني ﴿ واما الاول ﴾
 ففرح بالنعمة لا بالمنعم وليس ذلك من الشكر في شيء ﴿ الركن
 الثالث ﴾ العمل وذلك بان يستعمل نعمه في محابه لا في
 معاصيه * وهذا لا يقوم به الا من يعرف حكمة الله تعالى
 في جميع خلقه وانه لما اذا خاق كل شيء * وشرح ذلك
 يطول * وقد ذكرنا منه طرفا في الاحياء * وجملته ان تعلم
 مثلا ان عينه نعمة منه * فشكرها ان يستعملها في مطالعة
 كتاب الله وكتب العلم ومطالعة السموات والارض
 ليعتبر بها ويعظم خالقها وان يستر كل عورة يراها من المسلمين
 ويستعمل اذنه في سماع الذكر وما ينفعه في الآخرة ويهرض
 عن الاصغاء الى الهجو والفضول * ويستعمل اللسان في ذكر
 الله تعالى والحمد له في اظهار الشكر منه دون الشكوى * ومن
 سئل عن حاله فشكى فهو عاص لانه شكى ملك الملوك الى
 عبد ذليل لا يقدر على شيء فان شكر فهو مطيع * واما شكر
 القلب فاستعماله في الفكر والذكر والمعرفة واضمار الخير للخلق

وحسن النية * وكذلك في اليد والرجل وسائر الاعضاء
والاموال وغير ذلك فما لا ينحصر *

(فصل)

اعلم انه انما يتمكن في كمال الشكر من شرح الله صدره للاسلام
فهو على نور من ربه يرى في كل شيء حكمته وسره
ومحبوب الله فيه * ومن لم ينكشف له ذلك فعليه باتباع السنة
وحدود الشرع فتحتمل اسرار الشكر * وليعلم انه لو نظر الى غير
محرم مثلاً فقد كفر نعمة العين ونعمة الشمس وكل نعمة لا يتم
النظر اليها الا بها فان الابصار انما يتم بالعين ونور الشمس
والشمس انما تتم بالسموات فكانه كفر انعم الله تعالى في
السموات والارض * وقس على هذا كل معصية فانها انما يتمكن
باسباب تستدعي وجود جميعها خلق السموات والارض * ولهذا
غور عميق اشرنا اليه في كتاب الشكر من كتاب الاحياء
ويكفيك ههنا مثال واحد وهو ان الله تعالى خلق الدراهم
والدنانير لتكون حاكمة في الاحوال كلها يقدر ربها القيم ولولاها
لتعذرت المعاملات اذ لا يدري كيف يشتري الثياب بالزعفران

والدواب بالاطعمة فانها لا مناسبة بينهما * وانما يشتركان
في روح المالية * ومعيار مقدار ارواحهما هو النقدان فمن
كنزهما كان كمن حبس حاكما من حكام المسلمين حتى تعطلت
الاحكام * ومن اتخذ منها آنية كان كمن استعمل حاكما من
حكام المسلمين في الحياكة والفلاحة التي يقدر عليها كل احد
حتى يتعطل الحكم وذلك اشد من الحبس * ومن اربى فيهما
وجعلهما مقصد تجارته بالمصارفة بين جيدهما ورديهما كان
كمن شغل الحاكم عن الحكم فاتخذ سخرة لنفسه ليحتطب
له ويكنس له ويكتسب له القوت * وكل ذلك ظلم وتغيير
لحكم الله عز وجل في خلقه وعباده ومعادات الله تعالى في
محابه * ومن لا ينكشف له بنور البصيرة هذه الاسرار عرف
على لسان الشرع صورته دون معناه * وقيل له الذين يكتزون
الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب
اليم * الى قوله تعالى يكتزون * وقيل من شرب في اناء من
ذهب او فضة فكانما يجر جر في بطنه نار جهنم * وقيل الذين
ياكلون الربا لا يقومون الا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان

من المس الآية * فالصالحون يقفون على الحدود ولا يعرفون
 أسرارها * والعارفون اذا اطلعوا على الاسرار بانفسهم
 وشاهدوا شواهد الشرع ازدادوا نوراً على نور * والعميان
 الجاهلون يحرمون الوقوف على الحدود والعشور على
 الاسرار جميعاً فلاهم كعبيد أتقياء ولا كاحرار كرام *
 وهم الذين قال فيهم ولكن حق القول مني الآية * وقال
 تعالى ﴿ أفمن يعلم انما أنزل اليك من ربك الحق كمن هو أعمى ﴾
 الآية * وقال ﴿ ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة
 ضنكا ﴾ الى قوله ﴿ فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ وآيات الله
 حكمته في خلقه * وقد ألقيت الى الخلق على لسان الانبياء
 صلوات الله عليهم كما فصلت في جملة الشريعة من أولها الى
 آخرها * وما من حد من حدود الشرع الا وفيه سر
 وخاصة وحكمة يعرفها من يعرفها وينكرها من يجهاها *
 وشرح ذلك طويل فليطالع من كتاب الشكر * ولا يتصور
 تمام الشكر الا ممن قام لله تعالى وحده مخلصاً لارغبة
 فيه لغيره * فلنذكر الاخلاص والصدق *

﴿ الاصل السادس الاخلاص والصدق ﴾

اعلم ان للاخلاص حقيقة وأصلا وكالا * فهذه ثلاثة أركان *
وأصله النية اذ فيها الاخلاص * وحقيقته نفي الشوب عن النية
وكماله الصدق ﴿ الركن الاول النية ﴾ وقد قال الله تعالى
﴿ ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه ﴾
ومعنى النية ارادة وجهه * وقال صلى الله عليه وسلم ﴿ انما
الاعمال بالنيات ﴾ الحديث وقال ان الملائكة ترفع صحيفة عمل
العبد فيقول الله تعالى ألقوها فانه لم يرذ بها وجهي * واكتبوا
له كذا وكذا * فيقول الملائكة انه لم يعمل منها شيئا
فيقول الله عز وجل انه نواه انه نواه * وقال صلى الله عليه
وسلم الناس أربعة * رجل أتاه الله علما ومالا فهو يعمل بعلمه
في ماله * فيقول رجل لو أتاني الله ما أتاه لعمت كما يعمل فيها
في الاجر سواء * ورجل أتاه الله مالا ولم يؤثمه علما فهو
مخبط بجهله في ماله * فيقول رجل لو أتاني الله تعالى ما أتاه
لعمت كما يعمل فهما في الوزر سواء * فقال عليه السلام من
غري ولا ينوي الا عقلا فله مانوى * ويقال ان رجلا في

بنى اسرائيل مرتين بكشبان رمل في أيام حط * فقال في نفسه لو
كان لي هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فأوحى الله تعالى
الي نبيهم * قل له ان الله تعالى قد قبل صدقتك وشكر حسن
نيتك وأعطاك ثواب مالو كان طعاما فتصدق به * وقال
عليه السلام اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار
فقليل ما بال المقتول * فقال أراد قتل صاحبه * وقال عليه السلام
من تزوج امرأة على صداق وهو لا ينوي اداءه فهو زان
ومن أد ان دينا وهو لا ينوي قضاؤه فهو سارق *

﴿ فصل ﴾

حقيقة النية هي الارادة الباعثة للقدرة المنبثقة عن المعرفة
وبيانه ان جميع أعمالك لا تصح الا بقدره وارادة وعلم * والعلم
يهيج الارادة * والارادة باعثة للقدرة * والقدرة خادمة الارادة
بتحريك الاعضاء * مثاله انه خلق فيك شهوة الطعام الا انها
قد تكون فيك راكدة كأنها نائمة * واذا وقع بصرك على طعام
حصلت المعرفة بالطعام فانتفضت الشهوة للطعام فامتدت اليه
اليد وانما امتدت اليه بالقوة التي فيها المطيعة لا إشارة الشهوة

وانتهضت الشهوة بمحصول المعرفة المستفادة من طليعة الحس
وكما خلق فيك شهوة الى الاشياء الحاضرة خلق فيك أيضا
ميل الى اللذات الآجلة ينتهض ذلك الميل بإشارة المعرفة
الحاصلة من العقل ﴿والقدرة﴾ أيضا تخدم هذا الميل بتحريك
الأعضاء * فالنية عبارة عن الميل الجازم الباعث للقدرة والذي
يغزو قد يكون الباعث له ميل الى المال فذلك نيته * وقد يكون
الباعث ميل الى ثواب الآخرة فذلك نيته * فاذا النية عبارة
عن الارادة الباعثة * ومعنى اخلاصها تصفية الباعث عن الشوب

﴿ فصل ﴾

اذا حصل العمل بباعث النية فالنية والعمل بهما تمام العبادة
فالنية أحد جزئي العبادة لكنها خير الجزئين لان الأعمال
بالجوارح ليست مرادة الا لتأثيرها في القلب لميل الى الخير
وينفر عن الشر فيتفرغ للفكر والذكر الموصولين له الى
الانس والمعرفة اللذين هما سبب سعادته في الآخرة * فليس
المقصود من وضع الجبهة على الارض وضع الجبهة على الارض
بل خضوع القلب واكن القلب يتأثر بأعمال الجوارح * وليس

المقصود من الزكاة ازالة لملك بل ازالة رذيلة البخل وهو قطع
علاقة القلب من المال * وليس المقصود من الضحية لحومها ولا
دماؤها وان كان استشعار القلب بالتقوى بتعظيم شعائر الله تعالى
والنية عبارة عن نفس ميل القلب الى الخير فهو متمكن من حقيقة
المقصود فهو خير من عمل الجوارح الذي انما يراد منه سرية
اثره الى محل المقصود وهو القلب * ولذلك يورث جميع أعمال
القلب دون الجوارح فيه اثرها * وعمل الجارحة دون حضور
القلب هباء ولا اثر له * ومهما قصد معالجة المعدة بما يصل من
الادوية بالشرب اليها انفع لا محالة مما يطلى به ظاهر المعدة
ليسرى اليها اثره * وكذلك اذا لم يسر اثر الطلاء الى المعدة كان
باطلا * وبهذا التحقيق يعرف سر قولہ صلى الله عليه وسلم
﴿ نية المؤمن خير من عمله ﴾

﴿ فصل ﴾

اذا عرفت فضل النية وانها تحل حقيقة المقصود فيؤثر فيها
فاجتهد ان تستكثر من النية في جميع اعمالك حتى تنوى بعمل
واحد نيات كثيرة * ولو صدقت رغبتك هديت لطريقه

ويكفيك مثال واحد وهو ان الدخول في المسجد والقعود
فيه عبادة * ويمكن ان تنوي فيه ثمانية امور ﴿ اولها ﴾
ان يعتقد انه بيت الله عز وجل وان داخله زائرا لله تعالى
فتنوي ذلك * قال عليه السلام من قعد في المسجد فقد زار
الله تعالى * وحق على المزور اكرام زائره ﴿ وثانيها ﴾ نية
المرابطة لقول الله تعالى وصابروا وربطوا * وقيل معناه
انتظار الصلوة بعد الصلوة ﴿ وثالثها ﴾ الاعتكاف * ومعناه
كف السمع والبصر والاعطاء عن الحركات المعتادة فانه
نوع صوم * قال صلى الله عليه وسلم رهبانية امتي القعود في
المساجد * ﴿ ورابعها ﴾ الخلوة ودفع الشواغل للزوم السر للفكر
في الآخرة وكيفية الاستعداد لها ﴿ وخامسها ﴾ التجرد
للذكر وسماعه او اسماعه لقوله صلى الله عليه وسلم * من غدا
الى المسجد يذكر الله تعالى او يذكر به كان كالجاهد في سبيل
الله تعالى ﴿ وسادسها ﴾ ان يقصد افادة علم وتنبية من يسئ
الصلوة ونهيا عن منكر وامر بمعروف حتى يتيسر بسببه
خيرات ويكون شريكا فيها ﴿ وسابعها ﴾ ان تترك الذنوب حياء

من الله عز وجل بان يحسن نيته في نفسه وقوله وعمله حتى
 يستحي منه من رآه ان يقارف ذنبا ﴿وئامن بها﴾ ان تستفيد أخا
 في الله فان ذلك غنيمة وذخيرة لدار الآخرة * والمسجد
 يعشش اهل الدين المحبين لله وفي الله * وقس على هذا سائر
 الاعمال فباجتماع هذه النيات تزكو الاعمال وتلتحق باعمال
 المقربين كما انه ببقائها يلتحق باعمال الشياطين كمن يقصد
 من القعود في المسجد التحدث بالباطل والتفكه باعراض
 الناس ومجالسة اخذ ان اللهو واللعب وملاحظة من يجتاز به
 من النسوان والصبيان ومناظرة من ينازعه من الاقران
 على سبيل المباحات والمرايات باقتناص قلوب المستمعين لكلامه
 وما يجري مجراه * وكذلك لا ينبغي ان يغفل في المباحات عن
 حسن النية * ففي الخبر ان العبد يسئل يوم القيمة عن كل شيء
 حتى عن كحل عينيه وعن فوات الطين باصبعيه وعن لمسه
 ثوب اخيه ﴿ومثال النية﴾ في المباحات ان من يتطيب يوم الجمعة
 يمكنه ان يقصد التمتع بالذرة والتفاخر باظهار ثروته او التزويق
 للنساء واخذ ان الفساد * ويتصور ان ينوي اتباع السنة وتعميم

بيت الله تعالى واحترام يوم الجمعة ودفع الاذى عن غيره
 بدفع الريح الكريهة وايصال الراحة اليهم بالريحة الطيبة
 وحسم باب الغيبة اذا شتموا منه ريحة كريهة * والى الفريقين
 الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم من تطيب في الله جاء يوم
 القيامة وريحه أطيب من ريح المسك * ومن تطيب لغير الله
 جاء يوم القيامة وريحه أتفن من الجيفة *

﴿ فصل ﴾

اعلم ان النية لا تدخل تحت الاختيار فلا ينبغي ان تغتر فتقول
 بلسانك وقلبك نويت من القعود في المسجد كذا وكذا * وتظن
 انك قد نويت اذ عرفت من قبل ان النية هي الباعث المتحرك
 الذي لولاه لم يتصور وجود العمل * والنية المتكلفة كقول
 القائل نويت ان احب فلانا واعشقه واعظمه اونويت ان
 اعطش او اجوع او اشبع فان لكل هذه دواعي وصوارف
 وتحققها اسبابها اذ لا يتصور حصولها دون اسبابها * وقول
 القائل نويتها قبل تحققها حديث نفس لا نية * فمن وطئ الغلبة
 شهوة الوقاع من اين ينفعه قوله نويت الوطئ لحرارة الولد

وتكثير عدد من به المباهات بل لا تظفر بانبعث هذه النيات
من قلبك الا اذا قوى ايمانك وتمت معرفتك بمقارة الحظوظ
العاجلة وعظم ثواب الآخرة حتى اذا غلب ذلك عليك انبعث
منك الرغبة ضرورة في كل ما هو وسيلة الى ثواب الآخرة
وان لم ينبعث فلا نية لك * ولمثل هذا توقف السلف في جملة
من الخيرات حتى روي ان محمد بن سيرين لم يصل على جنازة
الحسن البصري * وقال ليس تحضرني النية * وقيل لطاوس ادع
لنا فقال حتى اجعله نية * وقال بعضهم انا في طلب نية لعبادة
رجل منذ شهر فما صحت لي نية بعد * ومن عرف حقيقة النية
وعلم انها روح العمل فلا يتعب نفسه بعمل لا روح له ويحقق
ذلك ان المباح قد يصير افضل من العباداة اذا حضرت فيه نية
فن له نية في الاكل والشرب ليقوى على العباداة وليس تنبعث
له نية الصوم في الحال فلا كل اولى له * ومن مله العباداة وعلم
انه لو نام لعاد نشاطه فالنوم افضل له * بل لو علم مثلاً ان
الترفيه بدعابة وحديث مزاح في ساعة يرد نشاطه فذلك افضل
له من الصلوة مع الملل * قال صلى الله عليه وسلم ان الله لا يعمل

حتى تملوا * وقال ابو الدرداء اني لاستجيم نفسي بشيء من اللهو
 فيكون ذلك عوناً لي على الحق * وقال علي رضي الله عنه رأوا حواء
 النفوس فانها اذا اكرهت عيت * وهذه دقائق يستثقلها
 الظاهريون من الفقهاء كما يستثقل الطبيب الضعيف من الاطباء
 معالجة المحرور باللحم * والحاذاق منهم قد يأمر به ليعود قوة المريض
 حتى يحتمل الدواء النافع بعده ﴿الركن الثاني﴾ في اخلاص النية
 وقد قال الله تعالى ﴿وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين
 حنفاء﴾ وقال الله تعالى ﴿الا لله الدين الخالص﴾ وقال الا الذين
 تابوا واصلاحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله * وقال النبي
 صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى ﴿الاخلاص سرٌّ من سرّي
 استودعته قلب من احببت من عبادي﴾ وقال عليه السلام
 لما ذأخلص العمل يجزك القليل منه * وقال عليه السلام ﴿ما من
 عبد يخلص العمل اربعين يوماً الا ظهرت ينابيع الحكمة من
 قلبه على لسانه﴾ *

﴿ فصل ﴾

حقيقة الاخلاص تجرد الباعث الواحد ويزادُه الاشراك

وهو ان يشترك الباعثان وهو كل ما يتصور ان يمازجه غيره
فان صفها من كل شوب منه يسمى خالصاً * وقد عرفت ان النية
هي الباعث * فمن لا يعمل الا للرياء فهو مخلص * ومن لا يعمل
الا لله فهو مخلص ولكن خصص الاسم باحد الجانبين بالعادة
كالاحاد فانه ميل ولكن خصص بالميل الى الباطل وزوال
الاخلاص بشوائب الرياء قد ذكرناه ولكن قد يزول ايضا
بانغراض آخر فان الصائم قد يقصد مع العبادة ان ينتفع بالحمية
الصالحة الحاصلة بالصوم * وقد يقصد المعتقد ان يتخلص بالعتق
من مؤنة العبد وسوء خلقه * والحاج يحج ليصح مزاجه بحركة
السفر او يهرب من مشقة تعهد العيال او من اذى الاعداء
او من التبرم ^(١) بالمقام مع الاهل * والمتعلم يتعلم العلم ليسهل عليه
طالب المعاش او يكون محروسا بعز العلم عن الظلم او يكتب مصحفا
ليجود خطه او يحج ماشياً ليخفف مؤنة الكراء او يتوضأ
ليتنظف او يتبرد او يغتسل لتطيب رائحته او يمتكف ليخفف
عليه كراء المسكن او يصوم ليخفف عن نفسه تعب الطبخ

(١) التبرم من برم مثل ضجر ضجرا وزنا ومعنى ويتعدى بالهمزة

وشراء الطعام او يتصدق ليدفع عن نفسه ابرام السائل او
 يعود مريضاً ليعاد اذا مرض * فهذه الاغراض قد يتجرد
 وقد يشوب قصد العبادة شوباً خفياً * فاذا خطر شيء من
 هذه الاغراض في الفعل فقد ذهب الاخلاص وذلك عسير
 جداً * ولذلك قال بعضهم في اخلاص ساعة نجاة الابد ولكن
 ذلك عزيز * وقال ابو سليمان الداراني طوبى لمن صحته له خطوة
 واحدة لا يريد بها الا الله عز وجل * وكان معروف الكرخي
 يضرب نفسه * ويقول يا نفسي اخلاصي تتخلصي *

﴿ فصل ﴾

اعلم ان امتزاج هذه الشوائب على مراتب فانها قد تغلب
 وقد تكون مغنورة * وقد تكون مساوية لقصد العبادة ولا
 تمحو اصل الثواب في المباحات ومهما بقي شوب من ارادة
 الله عز وجل فله ثواب بقدر ذلك الشوب والباقي لا ثواب
 عليه * فاما اذا كان في العبادة أمر بان يخلصها لله تعالى فان كان
 الشوب غالباً بطلت العبادة وان كان مساوياً او مغلوباً بطل
 الاخلاص ولكن هل يتوقف انعقاد العبادة وحصول اصلها

على انتفاء الشوائب كلها فيه نظر اشرنا اليه في الرياء * ويطلب
 استقصاؤه من كتاب الاحياء (الركن الثالث الصدق)
 وهو كمال الاخلاص قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا
 الله عليه الآية * وقال النبي عليه السلام ان الرجل ليصدق
 ويتحرى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا * وقال الله تعالى
 واذكر في الكتاب ابراهيم انه كان صديقا نبيا * ويكفي بفضيلة
 الصدق ان يدرك به فضيلة الصديقين (واعلم) ان للصدق مراتب
 ستا من بلغ في جميعها بلغ رتبة الكمال استحق اسم الصدق
 (اولها الصدق في القول) في جميع الاحوال ما يتعلق بالماضي
 والمستقبل والحال * ولهذا الصدق كما لان (احدهما) الحذر عن
 المعارض ايضا فانه وان كان صدقا في نفسه فيفهم خلاف
 الحق * والمحدور من الكذب تفهيم خلاف الحق اذ يكتسب
 القلب صورة معوجة كاذبة بازاء كذب اللسان * واذا مال وجه
 القلب من الصحة الى الاعوجاج لم يتجلى الحق له على الصحة
 حتى لا يصدق رؤياه ايضا * والمعارض لا توقع في هذا المحدور
 لانه صدق في نفسه لکن توقع في المحدور (الثاني) وهو تجهيل

المعنى فلا ينبغي ان يفعل ذلك الا لغرض صحيح ﴿وكما له الثاني﴾
 ان يرعى الصدق في أقاويله مع الله تعالى فاذا قال ﴿وجهت
 وجهي﴾ وفي قلبه في تلك الحالة شئ سوى الله عز وجل فهو
 كاذب واذا قال ﴿اياك نعبد﴾ وهو مع ذلك عبد الدنيا او لنفسه
 او لغيره لم يمكنه تحقيق صدق هذه السكامة في القيامة ولذلك
 قال عيسى عليه السلام يا عبيد الدنيا * وقال نبينا صلى الله عليه
 وسلم تعس عبد الدرهم والدينار ﴿الصدق الثاني﴾ في النية وهو
 ان يتمحض فيه داعية الخير فان كان فيه شوب فقد فات
 الصدق لله يقال هذا صادق الحموضة وصادق الحلاوة اذا كان
 محضاً * فيرجع هذا الى نفس الاخلاص ﴿والصدق الثالث﴾
 في العزم فان العبد قد يعمد على التصديق ان رزق مالا وعلى
 العدل ان رزق ولاية وعزمه تارة يكون مع ضعف وتردد
 وتارة يكون جزماً قوياً لا تردد فيه * فالجزم القوي يسمى قوياً
 صادقاً كما وجدته عمر من نفسه رضى الله عنه حيث قال لان
 اقدم فيضرب عنقي احب اليّ من ان اتأمر على قوم فيهم
 ابو بكر رضى الله عنه * ودرجات عزم الصديقين في القوة

قد تتفاوت وأقصاها ان ينتهي الى الرضاء بضرب الرقبة دون
 الحقيقة ﴿ والصدق الرابع ﴾ الوفاء بالعزم فان النفس قد تسخو
 بالعزم اولا ولكن عند الوفاء ربما تتوانا عن كمال التحقيق
 لان المؤنة في العزم هين * وانما الشدة في التحقيق - ولذلك قال
 تعالى ﴿ رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ﴾ وقال ومنهم من عاهد
 الله لئن آتانا من فضله لنصدقن الى قوله فاعقبهم نفاقا في قلوبهم
 الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون
 ﴿ الصدق الخامس ﴾ في الاعمال بان يكون بحيث لا يدل على
 شيء من الباطن الا والباطن متصف به * ومعناه استواء السريرة
 والعلانية فالماشي على هدوء يدل بحكمه على انه ذو وقار في باطنه
 فان لم يكن كذلك في الباطن والتفت قلبه الى ان يخيل الى
 الناس انه ذو وقار في باطنه فذلك الرياء * وان لم يلتفت الى
 الخلق قلبه ولكنه غافل فليس ذلك برياء ولكن يفوت به
 الصدق - ولذلك قال صلى الله عليه وسلم ﴿ اللهم اجعل سريري
 خيرا من علانيتي واجعل لي علانية صالحة ﴾ وقال عبد الواحد
 كان الحسن البصري اذا امر بشيء كان من اعمال الناس به

واذا نهي عن شيء كان من ترك الناس له ولم ارقط احداً
 أشبه سريره بعلايته منه ﴿الصدق السادس﴾ وهو أعلى ابوابه
 الصدق في مقامات الدين كالخوف والرجاء والحب والرضاء
 والتوكل وغيرها فان لهذه المقامات اوائل ينطلق الاسم بها
 ولها حقايق وغايات اذ يقال هذا هو الخوف الصادق وهي
 الشهوة الصادقة - ولذلك قال تعالى انما المؤمنون الذين آمنوا
 بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الى قوله اولئك هم الصادقون * وقال
 تعالى ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر الى قوله اولئك
 الذين صدقوا الآية * فهذه درجات الصدق فمن تحقق في جميعها
 فهو صديق ومن لم يصب بعضهم اقرتبه بقدر صدقه ومن جملة
 الصدق تحقيق القلب بان الله هو الرزاق والتوكل عليه فلنذكره
 ﴿الاصل السابع في التوكل﴾

قال الله تعالى وعلى الله فليتوكل المتوكلون * وقال الله تعالى
 وعلى الله فتوكلوا ان كنتم مؤمنين * وقال ان الله يحب المتوكلين
 وقال ومن يتوكل على الله فهو حسبه * وقال اليس الله بكاف
 عبده * وقال ان الذين يعبدون من دون الله لا يملكون لكم

رزقا فابتغوا عند الله الرزق * وقال النبي صلى الله عليه وسلم لو
انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغذو
خفاصا وتروح بطانا^(١) وقال من انقطع الى الله كفاه الله تعالى
كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب * ومن انقطع الى الدنيا
وكله الله اليها * وكان رسول الله اذا أصاب اهله خصاصة قال قوموا
الى الصلوة ويقول بهذا أمرني ربي فقال وامر أهلك بالصلوة
واصطبر عليها لانسئلك رزقا نحن نرزقك والعاقبة للمتقوى *

﴿ فصل ﴾

حقيقة التوكل عبارة عن حالة يصدر عن التوحيد * ويظهر أثرها
على الاعمال فهي ثلاثة اركان * المعرفة والحال والعمل ﴿ الركن
الاول المعرفة ﴾ وهي الاصل واعنى بها التوحيد فانها انما يتوكل على
الله من لا يرى فاعلا سوى الله * وكمال هذه المعرفة ترجمه قولك
﴿ لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء
قدير ﴾ اذ فيه ايمان بالتوحيد وكمال القدرة والجود والحكمة التي
يستحق بها الحمد فمن قال ذلك صادقا فخلصا فقد تم توحيدده وثبت

في قلبه الاصل الذي منه ينبعث حال التوكل واعنى بالصدق فيه ان
يصير معنى القول وصفا لازما لذاته غالباً على قلبه لا يتسع لتقدير غيره

﴿ فصل ﴾

هذا التوحيد له لبان وقشران وطباقه اربع كاللوز له لب ثم
الدهن لب له * والقشرة العليا قشر قشره ﴿ فالقشرة العليا ﴾ القول
باللسان المجرد ﴿ الثانية ﴾ الاعتقاد بالقلب جزماً وهو درجة عوام
الخلق ودرجة المتكلمين اذ لا يتميزون عن العوام الا بمعرفة
الحيلة في دفع تشويش المبتدعة عن هذه الاعتقادات ﴿ الثالثة ﴾
وهي اللب ان ينكشف بنور الله عز وجل حقيقة هذا التوحيد
وسره بالحقيقة * وذلك بان يرى الاشياء الكثيرة ويعلم انها
بجملتها صادرة عن فاعل واحد على الترتيب * وذلك بان يعرف
سلسلة الاسباب وكيفية تسلسلها وارتباط اول السلسلة بمسبب
الاسباب * وصاحب هذا المقام بعد في تفرقة لانه يرى
الافعال وكثرتها وارتباطها بالفاعل ﴿ الرابعة ﴾ وهو لب اللب ان
لا يرى في الوجود الا واحداً او يعلم ان الوجود بالحقيقة
واحد وانما الكثرة فيه في حق من تفرق نظره كالذي يرى

من الانسان مثلاً رجله ثم يده ثم وجهه ثم رأسه فيغلب عليه
 كثرتة فان رأى الانسان جملة واحدة لم يخطر بباله الآحاد
 بل كان كما يدرك الشيء الواحد * فكذلك الواحد لا يفرق نظره
 بين السماء والارض وسائر الموجودات بل يرى الكل في
 حكم الشيء الواحد * وهذا له غور ويستدعي كشفه أطولاً
 فاطلبه من كتاب التوحيد والشكر من كتب الاحياء لتقف
 على تلويحات منه * والفناء في التوحيد انما يقع في هذا التوحيد
 وذلك بان يصير مستغرقاً بالواحد الحق حتى لا يلتفت قلبه
 الى غيره ولا الى نفسه فان نفسه من حيث هي نفسه غير
 الله وان لم يتحقق له معنى الغيرية بنظر آخر واعتبار على وجه آخر

(فصل)

حقيقة التوكل انما يستدعي توحيد الفعل ولا يستدعي الفناء
 في توحيد الذات بل المتوكل يجوز ان يرى الكثرة والاسباب
 والمسببات ولكن ينبغي ان يشاهد ارتباط السلسلة بمسببها
 وما عنده ان ذلك يخفى عليك فيما يدخل فيه اختيار الآدميين
 فانك ان رأيت المطر سبباً في النبات فتعلم ان المطر مسخر بواسطة

الغيم * والغيم مسخر بواسطة الريح وابخرة الجبال * وكذلك
 الجبال جمادات مسخرة الى ان ينتهي الى الاول لا محالة * وان
 كنت لا تعرف عدد الوسائط فلا يضرك ذلك وانما الذي
 يخفى عليك افعال الآدميين فانك تقول من اطعمني طعاما
 فانما يطعمني باختياريه ان شاء اعطى وان شاء منع فكيف
 لا أراه فاعلا * وانما مثلك في الالتفات اليه مثل النملة ترى سواد
 الخط على البياض يحصل من حركة القلم فتضيف ذلك الى
 القلم اذ حدقتها الصغيرة الضعيفة لا تمتد الى الاصبع * ومنها الى
 اليد * ومنها الى القدرة المحركة لليد * ومنها الى الارادة التي القدرة
 مسخرة لها * ومنها الى المعرفة التي يتوقف انبعاث الارادة
 وانجازها عليها * ومنها الى صاحب القدرة والعلم والارادة
 فكذلك انت تضيف افعال العباد الى ارادتهم ومعرفتهم وقدرتهم
 اذ ليس يمتد نظرك الى القلم الذي ينسطر المعرفة به في الواح
 القلوب * ومنه الى الاصابع التي ينتهي الى قلوب العباد * ومنها
 الى اليد التي بها خربت طينة آدم * ومنها الى القدرة التي
 بها يتحرك اليد لتخمير الطينة * ومنها الى القادر الذي منه

يبدوا واليه يعود * وذلك لأنك لا تعرف معنى قول النبي صلى
الله عليه وسلم ان الله خلق آدم على صورته * ولا معنى قوله
تعالى خرت طينة آدم بيدي * ولا معنى قوله تعالى علم بالقلم
علم الانسان ما لم يعلم كلا ان الانسان ليطغى * فانك لا تعلم قلما الا من
قصب ولا يدا ولا اصابع الا من لحوم وعظام ولا صورة الا للالوان
والاشكال * فان انكشف لك ذلك علمت انك اذا رميت مارميت
ولكن الله رمى * حيث سيط عليك دواغي جازمة ومعرفة
حاكمة على القطع بان نجاتك في الرمي مثلا حتى انبعثت القدرة
التي انفرد بخلقها خادمة الارادة * والمعرفة خادمة بالتسخير
والاضطرار علمت انك مضطر الى عين الاختيار فتفعل ان
شئت ذلك وتشاء اذا شاء الله شئت ام ابيت * وهذا الآن فيه
سر محرّك قاعدة الجبر والاختيار ويوهم تناقض التوحيد
وتكليف الشرع * وقد شرحناه في كتاب التوحيد والتوكل
والشكر من كتب الاحياء * فاطلبه منه ان كنت من اهله *

(فصل)

لا يكفي الايمان بتوحيد الفعل والذات في اثاره بحالة التوكل

حتى ينضاف اليه الايمان بالرحمة والجود والحكمة اذ به تحصل
 الثقة بالوكيل الحق وهو ان يعتقد جزما او ينكشف لك
 بالمسيرة ان الله تعالى لو خلق الخلايق كلهم على عقل أعقلهم
 بل على أكمل ما يتصور ان يكون عليه حال العقل * ثم زادهم
 اضعاف ذلك علما وحكمة ثم كشف لهم عواقب الامور واطلعهم
 على اسرار الملكوت واطايف الحكمة ودقائق الخير والشر * ثم
 امرهم ان يدبروا الملك والملكوت لما دبروه باحسن مما هو
 عليه ولم يمكنهم ان يزيدوا عليه او ينقصوا منه جناح بموضة
 ولم يستصوبوا البتة دفع مرض وعيب ونقص وفقير وضر
 وجهل وكفر ولا ان يغيروا قسمة الله تعالى من رزق واجل
 وقدرة وعجز وطاعة ومعصية بل شاهدوا جميع ذلك عدلا
 محضا لا جور فيه * وحقا صرفا لا نقص فيه * واستقامة تامة
 لا قصور فيها ولا تفاوت بل كل ما يرون نقضا فيرتبط به كمال
 آخر أعظم منه وما ظنوه ضررا فتحت له نفع أعظم منه لا يتوصل
 الى ذلك النفع الا به * وعلموا قطعا ان الله تعالى حكيم جواد
 رحيم لم ييخل على الخلق اصلا ولم يدخر في اصلاحهم امرا

وهذا الآن بحر آخر في المعرفة يحرك امواجه سرّ القدر
الذي منع من ذكره المكاشفون * وتخير فيه الاكثرون ولا
يعقله الا العالمون * ولا يدرك تأويله الا الراسخون * وان حظ
العوام ان يمتقدوا ان كل ما يصيبهم لم يكن ليخطئهم وما
يخطئهم لم يكن ليصيبهم وان ذلك واجب الحصول بحكم المشية
الازلية وانه لا اراد لحكمه ولا معقب لقضائه بل كل صغير
وكبير مستطر * وحصوله بقدر معلوم منتظر وما امرنا الا
واحدة كلمح بالبصر (الركن الثاني) حال التوكل ومعناه ان تكل
امرنا الى الله عز وجل ويثق به قلبك وتطمئن بالتفويض
اليه نفسك ولا تلتفت الى غير الله اصلا * ويكون مثالك مثال
من وكل في خصومته في مجلس القاضي من علم انه اشفق
الناس عليه واقواهم في كشف الباطل واعرفهم به واحرصهم
عليه فانه يكون ساكنا في بيته مطمئن القلب غير متفكر في
كل الخصومة غير مستعين باحد الناس اعلمه بان وكيله حسبه
وكافيه في غرضه وانه لا يقاومه غيره * فمن تحققت معرفته بان
الرزق والاجل والخلق والامر بيد الله تعالى وهو منفرد به

لا شريك له وان وجوده وحكمته ورحمته لانهاية لها ولا
 يوازيها رحمة غيره وجوده اتكل قلبه بالضرورة عليه وانقطع
 نظره عن غيره فان لم ينقطع فلا يكون ذلك الا لاحد امرين
 ﴿أحدهما﴾ ضعف اليقين بما ذكرناه * وضعف اليقين انما يكون
 لتطرق شك اليه او لعدم استيلائه على القلب * فان الموت
 يقين لا شك فيه ولكنه اذا لا يستولي على القلب فهو كشك
 لا يقين فيه ﴿الامر الثاني﴾ ان يكون القلب في الفطرة جباناً
 ضعيفاً * فالجن والجرأة فطرتان والجن يوجب كون النفس
 مطيعة لا وهام لا شك في بطلانها حتى قد يخاف الانسان
 ان يبيت مع الميت في فراش او في بيت مع علمه بان الله
 لا يحياه وان قدرته عليه كقدرته على ان يقلب في يده العصا
 حية وهو لا يخاف ذلك بل قد يشبه العسل بالعدرة فيتعذر
 عليه تناوله مع علمه بانه تشبيه كاذب * وذلك لخور النفس وطاعة
 الا وهام * فكما لا يخلو الانسان عن شيء منه وان ضعف فكذلك
 لا يبعد ان يحصل اليقين بالتوحيد بحيث لا يخالجه ريب
 ومع ذلك فيفرغ القلب الى الاسباب *

﴿ فصل ﴾

إذا عرفت أن التوكل عبارة عن حالة القلب في الثقة بالوكيل
الحق وقطع الالتفات إلى غيره ﴿ فاعلم ﴾ أن فيه ثلاث درجات
﴿ أحداها ﴾ ما ذكرناه وهو كالثقة بالوكيل في الخصومة بعد
اعتقاد كماله في الهداية والقدرة والشفقة ﴿ الثانية ﴾ وهي أقوى
منها تضاهي حالة الصبي في ثقته بأمه وفزعها إليها في كل ما يصيبه
وذلك لثقته بشفقتها وكفالتها ولكنه في توكله فإن عن توكله
فانه ليس يحصله بفكر وكسب وان كان لا يخلو توكله عن نوع
ادراك * وأما التوكل على الوكيل بالخصومة فكالمكتسب
بالفكر والنظر ﴿ والثالثة ﴾ وهي الأعلى أن يكون بين يدي الله
تعالى كالميت بين يدي الغاسل لا كالصبي فانه يزعم بامه ويتعلق
بذيلها بل هذا كالصبي علم انه وان لم يزعم بامه فانها تطلبه
وان لم يتعلق بذيلها فهي تحمله وان لم يسألها اللبن فهي تبتديء
بارضاعه فيكون هذا الشخص في حق الله عز وجل ساقط
الاختيار لعلمه بانه مجرى القدر فلا يبقى فيه متسع لغير الانتظار
لما يجري عليه * وهذا المقام يأبى الدعاء والسؤال ولا يمتنع الدعاء

في المقام الثاني والاول * ويمتنع التدبير في المقام الاخير ويمتنع
في الثاني أيضاً الا في التعاق بالوكيل فقط * وفي الاول يمتنع
التدبير بالتعاق بغيره ولا يمتنع بالطريق الذي رسمه الوكيل
وسنه له وأمره به *

(الركن الثالث في الاعمال)

وقد يظن الجهال ان شرط التوكل ترك الكسب وترك التداوي
والاستيلاء للمعاصيات - وذلك خطأ لان ذلك حرام في الشرع
والشرع قد أثبت على التوكل وندب اليه فكيف ينال ذلك
بمحظوره * وتحقيقه ان سعى العبد لا يعدو أربعة أوجه وهو
جلب ماليس بموجود من المنفعة أو حفظ الموجود أو دفع
الضرر كيلا يحصل أو قطعه كي يزول (الاول) جلب النافع
وأسابه ثلاثة * اما مقطوع به واما مظنون ظاهراً ظاهراً
يوثق به أو موهوم * أما المقطوع به فمثاله أن لا تمتد اليد الى
الطعام وهو جائع ويقول هذا سعي وأنا متوكل أو يريد
الولد ولا يواقع أهله أو يريد الزرع ولا يبث البذر - وهذا
جهل لان سنة الله تعالى لا يتغير * وقد عرفك ان ارتباط هذه

المسببات بهذه الاسباب من السنة التي لا تجدها تبديلاً * وانما
 التوكل فيه باصرين ﴿ أحدهما ﴾ ان تعلم أن اليد والطعام والبذر
 وقدرة التناول وجميع ذلك من قدرة الله تعالى ﴿ والثاني ﴾ أن
 لا يتكل عليها بقلبه بل على خالقها وكيف يتكل على اليد * وربما
 يفلج في الحال أو يهلك الطعام * وذلك بتحقيق قولك لا حول
 ولا قوة الا بالله * فالحول هي الحركة * والقوة هي القدرة * فاذا
 كان هذا حالك فانت متوكل وان سميت * وأما المظنون
 فكاستصحاب الزاد في البوادي والاسفار فليس تركه شرطاً
 في التوكل بل هي سنة الاولين بل يكون الاعتماد على فضل
 الله تعالى بدفع السراق وابقاء الزاد والحياة والقدرة على التناول
 وأما الموهومات فكالاستقصاء في حيل المعيشة واستنباط
 دقائق الامور فيها * وذلك ثمرة الحرص * وقد يحمل على أخذ
 الشبهة فكل ذلك يناقض التوكل * والدليل عليه ان النبي صلى
 الله عليه وسلم وصف المتوكلين بانهم لا يكتنون ولا يسترقون
 ولم يصفهم بانهم لا يسكنون الا مصار * ولا يكتسبون فمانسبته
 الى السبب كنسبة الرقية والسكي فتركها من شروط التوكل

﴿ الفن الثاني ﴾ من تدبير الاسباب الادخار * فالمتوكل اذا ورث
مالا وادخر لسنة فما فوقه أبطل توكله وان قنع بقوت يومه
وفرقت الباقي فهو تمام التوكل وان ادخر لاربعين يوماً * قال
سهل التستري بطل توكله ولا ينال المقام المحمود الذي وعد
للمتوكلين * وقال الخواص لا يبطل * واتفقوا على أن الزيادة
عليه يبطل التوكل الا اذا كان معيلاً فله أن يدخر قوت عياله
لسنة كذلك فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في حق عياله
وفي حق نفسه كان لا يدخر من غدائه لمشائه ولا شك أن
طول الامل ينافض التوكل * ومهما قلت مدة الادخار كانت
الرتبة أعظم * ولكن سنة الله تعالى جارية بتكرار الارزاق
عند تكرار السنة * فالادخار لاكثر من سنة غاية الضعف
وليس من التوكل في شيء ﴿ فاما ﴾ ادخار الكوز وأثاث البيت
فذلك جائز لان سنة الله تعالى لم تجر بتكررها كتكرار
الارزاق ويحتاج اليها في كل وقت وليس كثوب الشتاء فانه
لا يحتاج اليه في الصيف وادخاره على خلاف التوكل قال
النبي صلى الله عليه وسلم في فقير دفن انه يحشر يوم القيامة

ووجهه كالقمر ليلة البدر ولولا خصلة كان كالشمس الضاحية
 كان اذا جاء الشتاء ادخر حلة الصيف لصيفه ﴿ الفن الثالث ﴾
 في مباشرة الاسباب الدافعة كالفرار من السبع ومن الجدار المائل
 ومجرى السيل ودفع الامراض بالادوية وذلك ايضا له درجات
 فاستنبطها بالقياس الى ما ذكرناه وقد فسرناه في الاحياء *

﴿ فصل ﴾

اعلم ان ترك الادخار محمود لمن غلب يقينه وقوى قلبه واما
 الضعيف الذي يضطرب قلبه لو لم بدخر لم يتفرغ للعبادة
 فالافضل له ان يدع طريق المتوكلين ولا يحمل نفسه مالا
 يطيقه اذ فساد ذلك في حقه اكثر من صلاحه بل يعالج كل
 واحد على حسب حاله وقوته * وقد تنتهي القوة الى ان يجوز
 السفر في البوادي من غير زاد وذلك لمن يصبر عن الطعام
 اسبوعا ويقنع بالحشيش فان ذلك لا يعوزه غالباً في البادية
 فأما الضعيف اذا فعل ذلك فهو عاص ملق نفسه في التهلكة
 والقوي ان حبس نفسه في كهف جبل ليس فيه حشيش ولا
 يجتاز به انسان فذلك ايضا حرام لانه خالف سنة الله تعالى

في خلقه وانما جاز له ذلك في البوادي لان سنة الله جارية
بانها لا تخلو عن الحشيش وقد يجتاز بها الادميون فاذا قوى
كان هلاكه نادراً فلم يكن بذلك عاصياً فله ان يسافر في البادية
متكلداً على لطيف صنع الله تعالى وغير قاصر التفاته على
الاسباب الجميلة الواضحة *

﴿ الاصل الثامن في المحبة ﴾

قال الله تعالى يحبهم ويحبونه * وقال قل ان كان آباؤكم وابناؤكم
واخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها وتجارة
تخشون كسادها ومساكن ترضونها احب اليكم من الله ورسوله
الآية * وقال النبي صلى الله عليه وسلم لا يؤمن احدكم حتى يكون
الله ورسوله احب اليه مما سواهما * وقال عليه السلام احبوا
الله لما يغذوكم به من نعمه واحبوني لحب الله عز وجل * وقال
ابو بكر الصديق رضي الله عنه من ذاق خالص محبة الله عز وجل
منعه ذلك من طلب الدنيا واوحشه من جميع البشر * وقال الحسن
البصري رحمه الله عليه من عرف الله تعالى احبه ومن عرف
الدنيا زهد فيها * والمؤمن لا يلهو حتى يغفل واذا تفكر حزن

﴿ فصل ﴾

اعلم ان اكثر المتكلمين انكروا محبة الله تعالى واولوها * وقالوا
لا معنى لها الا لا متثال أوامرهم والا فلا يشبهه شئ ولا يشبه
شيئا ولا يناسب طباعا فكيف نحبهم وانما يتصور منا ان نحب
من هو من جنسنا وهؤلاء محرومون بجهلهم بحقايق الامور
وقد كشف الغطاء عن هذا في كتاب المحبة من كتب الاحياء
فطالعها لتصادف منها اسراراً تخلو الكتب عنها * فاقنع في هذا
المختصر بتلويحات واشارات *

﴿ فصل ﴾

﴿ اعلم ﴾ ان كل لذيذ محبوب ومعنى كونه محبوبا ميل النفس اليه
فان قوي الميل سمي عشقا * ومعنى كونه مبعوضاً نفرة النفس
عنه لكونه مؤلماً * فان قوي البغض والنفرة سمي مقتاً ﴿ واعلم ﴾
ان الاشياء التي تدركها بحواسك وجميع مشاعرك اما
ان يكون موافقة لك ملائمة وهو اللذيذ او تكون منافية
مخالفة وهو المولم اولا موافقة ولا مخالفة وهو الذي لا ألم
فيها ولا لذة * وكل لذيذ محبوب اي للنفس الملتذة به ميل

لا محالة اليه ﴿ واعلم ﴾ ان اللذة تتبع الادراك والادراك
 ادراكا كان ظاهرا وباطنا * اما الظاهر فبالحواس الخمس فلا
 جرم لذة العين في الصور الجميلة * ولذة الاذن في النغمات الموزونة
 الطيبة * ولذة الذوق والشم في الطعوم والروائح الملائمة الموافقة
 ولذة جملة البدن في ملابسة الناعم اللين * وجملة ذلك محبوبة
 للنفس اي للنفس ميل اليها * واما الادراك الباطن فهو اللطيفة
 التي محلها القلب تارة يعبر عنها بالعقل وتارة بالنور وتارة
 بالحس السادس * ولا تنظر الى العبارات فتغلط بل قال النبي
 صلى الله عليه وسلم ﴿ حجب الي من دنيا كم ثلاث الطيب والنساء
 وقرة عيني في الصلوة ﴾ فتعلم ان الطيب والنساء فيهما حظ الشم
 واللمس والبصر * والصلوة لاحظ فيها للحواس الخمس بل
 للادراك السادس الذي محله القلب ولا يدركها من لا قلب
 له وان الله يحول بين المرء وقلبه * ومن اقتصر من لذته على
 الحواس الخمس فهو بهيمة لان البهيمة تشاركه فيها * وانما خاصية
 الانسان التميز بالبصيرة الباطنة * ولذة البصر الظاهر في الصور
 الجميلة الظاهرة * ولذة البصيرة الباطنة في الصور الجميلة الباطنة *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول ما معنى الصور الجميلة الباطنة ﴿ فاقول ﴾ ما عندي
 انك لا تحس من نفسك حب الانبياء والعلماء والصحابة ولا
 تدرك من نفسك تفرقة بين الملك العادل العالم الشجاع الكريم
 العطوف على الخلق وبين الظالم الجاهل البخيل الفظ الغليظ
 وما عندي انك اذا حكى لك صدق ابي بكر وسياسة عمر
 وسخاوة عثمان وشجاعة علي رضوان الله عليهم لا تجد في نفسك
 هزة وارتياحاً وميلاً الى هؤلاء والى كل موصوف بخلال
 الكمال من نبي وصديق وعالم * وكيف تنكر هذا وفي الناس
 من يقتدي بنفسه ارباب المذاهب ويحمله حبه لهم على البذل
 بالمال والنفس في الذب عنهم وتجاوز ذلك حد المشق وانت
 تعلم ان حبك لهؤلاء ليس لصورهم الظاهرة فانك لم تشاهدها
 ولو شاهدتها ربما لم تستحسنها وان استحسننت * فلو تشوّهت
 صورهم الظاهرة وبقيت صفاتهم المعنوية الباطنة لبقى حبهم
 واذا فتشت عن محبوبك منهم رجع بعد التفصيل الطويل
 الذي لا يحتمله هذا الكتاب الى ثلاث صفات ﴿ العلم والقدرة

والنزاهة عن العيوب ﴿١﴾ اما العلم فكعلمهم بالله وملائكته وكتبه
ورسله وعجايب ملكوته ودقائق شريعة انبيائه ﴿٢﴾ واما القدرة
فكقدرتهم على انفسهم بكسر شهوتها وحملها على الصراط
المستقيم وقدرتهم على العبادة بسياستهم وارشادهم الى الحق
واما النزاهة فكسلامة باطنهم من عيب الجهل والبخل والحسد
وخبائث الاخلاق واجتماع كمال العلم والقدرة مع حسن
الاخلاق وهو حسن الباطن وهي الصورة الباطنة التي لا تدركها
البهيمة ومن في مثل حالها بالبصر الظاهر ﴿٣﴾ ثم اذا احببت هؤلاء
بهذه الصفات وعلمت ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اجمع
منهم لهذه الخصال كان حبك له اشد بالضرورة فارتفع نظرك
الآن من النبي الى مرسل النبي وخالقه والمتفضل على الخلق
ببعثه لتعلم ان بعثه الانبياء حسنة من حسناته ﴿٤﴾ ثم انسب قدرة
الانبياء وعلمهم وطهارتهم الى علم الله سبحانه وقدرته وقدمه
لتعلم انه لا قدوس سوى الواحد الحق وان غيره لا يخلو من
عيب ونقص بل العبودية اعظم انواع النقص فأي كمال لمن
لا قوام له بنفسه ولا يملك لنفسه موتا ولا حياة ولا رزقا

ولا أجلا واي علم لمن يشكل عليه صفات باطنه في مرضه
وصحته بل لا يعلم جميع جوارحه الباطنة وتفصيلها وحكمها
بالتحقيق فضلا عن ملكوت السموات والارض * وانسب هذا
الى العلم الازلي المحيط بجميع الموجودات ومعلومات لانهايه
لها الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الارض
والى قدرة خالق السموات والارض الذي لا يخرج موجود
عن قبضة قدرته في وجوده وبقائه وعدمه * وانسب نزاهته
من العيوب الى قدسه لتعلم انه لا قدس ولا قدرة ولا علم الا
للو احد الحق * وانما لغيره القدرة التي اعطاها ولا يحيطون بشئ
من علمه الا بما شاء وما أوتيتهم من العلم الا قليلا * فانظر الآن
هل يمكنك ان تنكر ان هذه الصفات والمحامد محبوبة أو
تنكر ان الموصوف بكمال الجلال هو الله تعالى وانظر كيف
تنكر حبه بعد ذلك *

(فصل)

ان قصرت بصيرتك عن ادراك الجلال والكمال والميل الى
مطالعة والفرح به والعشق له * فلا تقصر عن الميل الى المنعم

المحسن اليك * ولا تكوننّ اقل من السكاب فانه يحب صاحبه
 الذي يحسن اليه * وتأمل هذا في العالم هل لاحد احسان اليك
 سوى الله تعالى وهل لك حظ ولذة وتنعم في شيء وحرص
 على نعمه الا والله سبحانه خالقها ومبديها ومبقيها وخالق
 الشهوة اليها والتلذذ بها * وتفكر في اعضائك ولطف صنع الله
 تعالى بك فيها لتعبه باحسانه اليك فكون من عوام الخلق
 ان لم تقدر ان تحبه لجماله وجلاله وكما تحبه الملائكة لذلك
 وامثال قوله عليه السلام احبوا الله لما يغذوكم به من نعمه
 واحبوني لحب الله * وعند هذا تكون كالعبد السوء يحب
 ويعمل للاجرة والنفقة فلا جرم يزيد حبك وينقص بزيادة
 الاحسان ونقصانه - وذلك ضعيف جدا بل الكامل من يحب
 الله لجلاله وجماله ومحامد صفاته التي لا يتصور ان يشارك فيها
 ولذلك اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام ان اود الاوداء
 الي من عبدني بغير نوال لكن ليعطى الربوية حقها * وفي الزبور
 من اظلم ممن عبدني لجنة او نار لو لم اخلقجنة ولا ناراً ألم
 اكن أهلاً ان اطاع * ومر عيسى عليه السلام بطائفة من العباد

وقد تخلوا للعبادة * وقالوا نخاف النار ونرجو الجنة * فقال مخلوقا
خفتهم ومخلوقا رجوتهم * وصربقوم آخر كذلك فقالوا انعبده حبا
له وتعظيما لجلاله * فقال أنتم اولياء الله حقاً ومعكم امرت ان اقيم

﴿ فصل ﴾

العارف لا يحب الا الله تعالى فان احب غيره فيحبه الله عز
وجل اذ قد يحبُّ المحبُّ عبدُ المحبوب واقاربه وبلده وثيابه
وضيعة وتصنيفه وكل ما هو منه واليه نسبه * وكل ما في الوجود
صنع الله عز وجل وتصنيفه * وكل الخلق عباد الله تعالى فان
احب الرسول احبه لانه رسول محبوبه وحيده وان احب
الصحابة فلانهم محبوبو ارسوله ولانهم محبوبه وعبيده والمواظبون
على طاعته * وان احب طعاما فلانه يقوى مركبه الذي به يصل
الى محبوبه اعنى البدن * وان احب الدنيا فلانها زاده الى محبوبه
وان احب النظر الى الازهار والانهار والانوار والصور الجميلة
فلانها صنعة محبوبه وهي دلالات على جماله وجلاله ومذكرات
لصفات الحماد التي هي المحبوبة في ذاتها وان احب المحسن
اليه والمعلم اياه علوم الدين فيحبه لانه واسطة بينه وبين محبوبه

في اقبال علمه وحكمه اليه ويعلم انه الذي قبضه لتعليمه
 وارشاده والانفاق عليه من ماله وانه لولا تسليط الدواعي
 اليه واضطراره بسلسلة البواعث والاغراض الى ارشاده
 والانفاق عليه لما فعله * واعظم الخلق احسانا علينا رسول الله
 صلى الله عليه وسلم والله المنة والفضل بخلقه وبمائه كما قال هو
 الذي بعث في الاميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم
 ويعلمهم الكتاب والحكمة * فما الرسول الا عبد مسخر مبعوث
 محمول على تبليغ الرسالة بالاضطرار - ولذلك قال الله تعالى انك
 لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء * وتأمل سورة
 الفتح وقوله تعالى ورأيت الناس يدخلون في دين الله افواجا
 فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا * فقد انزله منزلة النظارة
 وقال اذا رأيت عباد الله يدخلون في دين الله فقل بحمد الله
 لا بحمدى وهو معنى التسييح بحمد ربه * فان التفت قلبك الى
 نفسك وسعيك فاستغفره ليتوب عليك ﴿ واعلم ﴾ انه ليس
 لك من الامر شيء * ومن ههنا نظر عمر رضى الله عنه حيث
 وصل كتاب خالد بعد فتح مكة من خالد سيف الله المسلول على

المشركين الى ابي بكر امير المؤمنين * فقال ان نصر الله المسلمين
نظر خالد الى نفسه ويسميتها سيفاً مسلولا على المشركين * ولو
لاحظ الحق كما هو لعلم ان ليس ذلك بسيفه ولكن الله تعالى
سرى في ارادته بنصرة الاسلام فينصره بخطر واحدة وهو
خاطر رعب يلقيه في قلب كافر فينهزم * وينظر اليه غيره فينهزم
وتعم الهزيمة فينظر خالد ومن هو في مثل حاله انه علا كلمة الاسلام
بصرامته وحدة سيفه * ويطلع عمر رضى الله عنه ومن هو في
مثل حاله من الصديقين والاولياء على حقيقة الحال ويعلم حاجة
خالد الى الاستغفار وان يسبح بحمد ربه اذ رأى ذلك كما أمر
به رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا لا موجب للمحبة الا
أمران ﴿أحدهما﴾ الاحسان ﴿والآخر﴾ غاية الجلال والجمال
بكمال الجود والحكمة والعلو والقدرة والتقديس من العيب
والنقص ولا احسان الا منه ولا جلال ولا جمال ولا قدس
الا له * فكل ما في العالم من حسن واحسان فهو حسنة من
حسنات جوده * يسوقها الى عبادته بخطر واحدة يخلقها في
قلب المحسن فكل ما في العالم من صورة مايسة وهيئة جميلة

يدرك بعين أو سمع أو شم فائر من آثار قدرته وهي بعض
معاني جماله * فليت شعري لمن عرف بالمشاهدة المحقة
والبرهان القاطع جميع هذا كيف يتصور ان يلتفت الى غير
الله تعالى أو يحب غير الله عز وجل *

(فصل)

اعلم أن لذة العارف في الدنيا من مطالعة جمال الحضرة
الربوبية أعظم من كل لذة يتصور أن يكون في الدنيا سواها
وذلك لأن اللذة على قدر الشهوة * وقوة الشهوة على قدر
الملائمة والموافقة مع المشتهى * وكما ان اوفق الاشياء للابدان
الاغذية فاوفق الاشياء للقلوب المعرفة * فالمعرفة غذاء القلب
وأعنى بالقلب الروح الرباني الذي قال الله تعالى فيه ﴿ قل الروح
من أمر ربي ﴾ وقال تعالى ونفخت فيه من روحي فاضافه الى
نفسه * وهذا الروح لا يكون للبهائم ولمن هو في مثل حالها من
الانس بل يختص به الانبياء والاولياء — ولذلك قال تعالى
وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما
الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء

من عبادنا* فالمعرفة أوفق الاشياء لهذه الروح لان أوفق
 لكل شئ خاصية* فالصوت الطيب لا يوافق البصر لانه ليس
 من خاصيته* وخاصية روح الانساني معرفة الحقائق وكلما كان
 المعلوم أشرف كان العلم به الذ* ولا أشرف من الله تعالى ولا أجل
 منه* فمعرفة ومعرفة صفاته وذاته وعجائب ملكه وملاكوته
 الذ الاشياء عند القلب لان شهوة ذلك أشد الشهوات — ولذلك
 يخلق آخر بعد سائر الشهوات* وكل شهوة تأخرت فهي
 أقوى مما قبلها* فاول ما يخلق شهوة الطعام* ثم يخلق له شهوة
 الوقاع فيترك شهوة الطعام لاجله ويستحق فيه* ثم يخلق له
 شهوة الرياسة والجاه والغلبة* ويستحق فيها شهوة المنكح والمطعم
 ثم يخلق له شهوة المعرفة التي هي استيلاء على كل الموجودات
 فيستحق فيها الجاه والرياسة وهي آخر شهوات الدنيا وأقواها
 وكما ان الصبي ينكر شهوة الوقاع ويتعجب ممن يتحمل مؤنة
 النكاح لاجلها* فاذا بلغ شهوة الوقاع اكب عليها وانكر شهوة
 الجاه والرياسة ولم يبال بفواتها في قضاء شهوة الفرج — فكذلك
 المشعوف بشهوة الجاه* والرياسة ينكر لذة المعرفة اذ لم

يخاف فيه بعد شهوتها * وقد ينتهي شهوة شرهه على الجاه
الى مرض قلبه حتى لا يقبل شهوة معرفة الله عز وجل
اصلا كما يفسد مزاج المريض فيسقط شهوته للغذاء حتى
يموت * وقد ينعكس طبعه فيشتهي الطين والاشياء المضرة
المهلكة وهي مقدمات الموت — فكذلك مرض القلب قد
ينتهي الى حد ينكر المعرفة ويبغضها ويبغض أهلها والمقبلين
عليها ولا يدرك اللذة الرياسة أو المطعم والمنكح * وذلك
هو الميت الذي لا يقبل العلاج وفي مثله قيل ﴿ انا جعلنا على
قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان تدعهم الى
الهدى فلن يهتدوا اذا ابدا ﴾ وفيهم قيل أموات غير احياء
وما يشعرون ايان يبعثون *

﴿ فصل ﴾

هذه المعرفة وان عظمت لذتها فلا نسبة لها الى لذة النظر الى وجه
الله الكريم في الدار الآخرة — وذلك لا يتصور في الدنيا لسر لا
يمكن الآن كشفه ولا ينبغي ان تفهم من النظر ما يفهمه العوام
والمستكلمون فيحتاج في تقديره الى جهة ومقابلة — فذلك من

نظر من اقمده القصور في مجبوحة عالم الشهادة حتي لم يجاوز
 المحسوسات التي هي مدركات البهائم لكن ينبغي ان تفهم
 ان الحضرة الربوبية تنطبع صورتها وترتيبها المعجيب على ما هو
 عليه من البهاء والعظمة والجلال والمجد في قلب العارف كما
 ينطبع مثلا صورة العالم المحسوس في حواسك فكذلك تنظر
 اليه وان غمضت عينيك * فان فحنت العين ووجدت الصورة
 المبصرة مثل الصورة المتخيلة قبل فتح العين لا تخالفها في شيء
 الا ان الابصار في غاية الوضوح بالنسبة الى التخيل - وكذلك
 ينبغي ان تعلم ان في ادراك مالا يدخل في الخيال والحس أيضا
 في درجتين متفاوتتين في الوضوح غاية التفاوت * ونسبة الثانية
 الى الاولى كنسبة الابصار الى التخيل فيكون الثانية غاية
 الكشف فيسمى لذلك مشاهدة ورؤية * والرؤية لم تسم رؤية لانها
 في العين اذ لو خلقت في الجهة لكانت رؤية بل لانها غاية
 الكشف وكما ان تغميض الاجفان حجاب من غاية الكشف
 في المبصر * فكدورة الشهوات وشواغل هذا القلب المظلم
 حجاب عن غاية المشاهدة * ولذلك قال الله تعالى لن تراني

وقال تعالى لا تدركه الابصار * فاذا ارتفع هذا الحجاب بعد
الموت انقلبت المعرفة بعينها مشاهدة * ويكون مشاهدة كل
واحد على قدر معرفته — ولذلك تزيد لذة أولياء الله سبحانه
في النظر على لذة غيرهم ويتجلى الله تعالى لابي بكر رضي الله
عنه خاصة ويتجلى للناس عامة * وكذلك لا يراه الا العارفون
لان المعرفة بدو النظر بل هي التي تنقلب مشاهدة كما ينقلب
التخيل ابصارا * فلذلك لا يقتضي مقابلة وجهة * وسر هذا
طويل فاطلبه من كتاب المحبة في الاحياء *

﴿ فصل ﴾

لو كان معشوقك وأنت تراه من وراء ستر رقيق في وقت
الاسفار وفي حالة ضعف الضوء وفي حالة اجتماع عليك تحت
ثوبك عقارب وزنابير تلدغك وتشغلك فلا يخفي ان لذتك من
مشاهدة معشوقك تضعف فلو اشرقت الشمس دفعة فارفع الستر
الرقيق وانصرفت عنك العقارب والزنابير وهجم عليك العشق
المفرط البليغ فلا نسبة لهذه اللذة العظيمة التي تحصل الآن الى
ما كان قبل ذلك — وكذلك فافهم انه لا يشبه لذة النظر الى لذة

المعرفة بل هي أعظم منها كثيرا * والستر الرقيق قالبك *
 والعقارب شواغل الدنيا وغموها وشهواتها * وهجوم العشق
 شدة الشهوة لا تقطاع المضعفات والمنغصات عنها * واشراق
 الشمس هو استمداد حدة القلب لاحتمال تمام التجلي فانها
 في هذه الحياة لا يحتمل بصر الخفاش نور الشمس *

(فصل)

انما ضعفت شهوة معرفة الله تعالى لزجة ساير الشهوات وانما
 خفيت معرفة الله تعالى مع جلائها لشدة ظهورها * ومثاله انك
 تعلم ان اظهر الاشياء المحسوسات * ومنها المبصرات * ومنها
 النور الذي به يظهر لك الاشياء * ثم لو كانت الشمس دائمة لا
 تغيب ولا يقع لها ظل لكنك لا تعرف وجود النور وكنت تنظر
 الى الالوان فلا ترى الا الحمرة والسواد والبياض * فاما النور
 فلا تدركه الا بان تغيب الشمس او يقع لها حجاب بما له ظل
 فتدرك باختلاف الاحوال بين الظلمة والضياء ان النور شيء
 آخر يعرض للالوان فتصير مبصرة ولو تصور الله سبحانه
 غيبة او لانوار قدرته حجاب عن بعض الاشياء لا دركت

من التفاوت ما يضطر معه الى المعرفة ولكن الموجودات كلها لما تساوت في الشهادة خالفها بالوحدانية من غير تفاوت خفي الامر لشدة جلالة * ولو تصور انقطاع انوار قدرته عن السموات والارض لانهدمت وانمحقت وادرك في الحال من التفاوت ما يضطر الى المعرفة بالقدرة والقادر * وهذا مثال ما ذكرناه وتحتته اسرار * وفيه مواقع غلط * فاجتهد لملك تقف على اسراره ولا ترتبك في مواقع غلطه فمنه غلط من قال انه في كل مكان وكل من نسب به الى مكان او جهة فقد ذل فضل ورجع غاية نظره الى التصرف في محسوسات البهائم ولم يجاوز الاجسام وعلايقها * واول درجات الايمان مجاوزتها فيه يصير الانسان انسانا فضلا عن ان يصير مؤمنا

﴿ فصل ﴾

﴿ اعلم ﴾ ان للمحبة علامات كثيرة يطول احصاؤها ومن علاماتها تقديم اوامر الله تعالى على هوى النفس والتوقي بالورع ورعاية حدود الشرع * ومن علاماتها الشوق الى لقاء الله والخلو عن كراهية الموت الا من حيث يتشوق الى زيادة المعرفة

فان لذة المشاهدة بقدر كمال المعرفة فانها تبدو المشاهدة فتختلف
لا محالة باختلافها * ومن علاماتها الرضاء بالقضاء بمواقع قدر
الله عز وجل فلندكر معنى الرضاء حتى لا يغتر الانسان بما
يصادف في نفسه من خطرات تخطر فيظن انها حقيقة
الحب لله تعالى فان ذلك عزيز جداً *

﴿ الاصل التاسع الرضاء بالقضاء ﴾

قال الله تعالى رضى الله عنهم ورضوا عنه * وقال صلى الله عليه
وسلم اذا احب الله عبداً ابتلاه فان صبر اجتباه وان رضى
اصطفاه * وقال عليه السلام اعبد الله تعالى بالرضاء فان لم تستطع
ففي الصبر على ما تكره خير كثير * وقال عليه السلام لطائفة
ما أنتم فقالوا مؤمنون فقال وما علامة ايمانكم فقالوا نصبر
على البلاء ونشكر عند الرضاء ونرضى بمواقع القضاء * فقال
مؤمنون ورب الكعبة وفي رواية انه قال حكماء علماء كادوا
من فقهم ان يكونوا انبياء * ومما اوحى الله تعالى الى داود
عليه السلام ما لا ولياى والهم بالدنيا ان الهم يذهب حلاوة
مناجاتي من قلوبهم ان محبتي من اولياى ان يكونوا روحانيين

لا يفتنون * وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى * انا الله لا اله الا انا فمن لم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي ولم يرض بقضائي فليطلب ربا سواي * وقال عليه السلام قال الله تعالى خلقت الخير وخلقته له اهلا * وخلق الشر وخلقته له اهلا فطوبى لمن خلقته للخير ويسرته على يديه * وويل لمن خلقته للشر ويسرته الشر على يديه * وويل ثم ويل لمن قال لم وكيف * واوحى الله سبحانه الى داود عليه السلام يا داود تريد واريد وانما يكون ما اريد فان سلّمت لما اريد كفيتك ما تريد وان لم تسلم لما اريد اتعبتك فيما تريد ثم لا يكون الا ما اريد *

﴿ فصل ﴾

قد انكر الرضا جماعة * وقالوا لا يتصور الرضاء بما يخالف الهوى وانما يتصور الصبر فقط وانما اوتوا من انكار المحبة ونحن نحققها وعلامتها الرضاء بالبلاء وبما يخالف الطبع والهوى وذلك يتصور من ثلاثة اوجه ﴿ احدها ﴾ ان يدهشه مشاهدة الحب وافراطها عن الاحساس بالالم وذلك مشاهد في حب المخلوقين وفي غلبة الشهوة والغضب حتى ان الغضب ان تصيبه الجراحة فلا

يحس بها في الوقت وحتى ان الحريص تصيبه شوكة في رجله
 فلا يحس بها * ثم اذا سكن غضبه وظفر بمراده عظم ألمه * واذا
 تصور ان ينغمز الم يسير بحب يسير تصور ان ينغمز الم كثير
 بحب قوي بالغ فان كل واحد من الحب والالم يقبل الزيادة
 والشدة ومهما تصور مثل هذا في عشق يرجع الى الميل الى
 صورة مركبة من لحم ودم مشحون بالاقدار والخبائث * وانما
 يدرك بعين ظاهرة يغلب الغلط عليها حتى ترى الكبير
 صغيرا والبعيد قريبا والقيبح جميلا فكيف لا يتصور بالادراك
 جمال الحضرة الربوية والجلال الازلي الابدی الذي لا يتصور
 انقطاعه ونقصانه المدرك بالبصيرة الباطنة التي هي اصدق
 واوضح عند اهلها من البصر الظاهر * ومن هذا الاصل قال
 الجنيد رحمه الله قلت لسرى السقطي رحمه الله هل يجد المحب
 ألم البلاء قال لا قلت وان ضرب بالسيف قال لا وان ضرب
 بالسيف سبعين ضربة ضربة على ضربة * وقال بعضهم احببت
 كل شئ لحبه حتى لو احب النار احببت الدخول في النار
 وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله ما بقي لي فرح الا في موقع

قدر الله تعالى * وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة ايام
 فقيل له لو سألت الله تعالى ان يرده عليك * فقال اعتراضى عليه
 فيما قضى اشد علي من ذهاب ولدي ﴿ الوجه الثاني ﴾ من
 الرضا ان يحس بالالم ويكرهه بالطبع ولكن يرضى به بعقله
 وايمانه لمعرفة بجزالة الثواب على البلاء كما يرضى المريض بالـ
 الفصد وشرب الدواء لعلمه بانه سبب الشفاء حتى انه ليفرح
 بمن يهدي اليه الدواء وان كان بشعا * وكذلك يرضى التاجر
 بعشقة السفر وهو خلاف طبعه * وهذا ايضا يشاهد مثله في
 الاغراض الدنيوية فكيف ينكر في السعادة الاخرية * وروي
 ان امرأة فتحت الموصلي الانصارى عثرت فانقطع ظفرها
 فضحكت فقليل لها اما تجدين ألم الوجع فقالت ان لذة ثوابه
 أزالته عن قلبي مرارة وجهه فاذا من ايقن ان ثواب البلاء
 أعظم مما يقاسيه لم يبعد ان يرضى به ﴿ الوجه الثالث ﴾ ان
 تعتقد أن الله تعالى تحت كل أعجوبة لطيفة بل لطائف — وذلك
 يخرج عن قلبه (لم وكيف) حتى لا يتعجب مما يجري على العالم
 مما يظنه الجاهل تشويشا واضطرابا وميلا عن الاستقامة

ويعلم ان تعجبه كتعجب موسى من الخضر عليه السلام لما
 خرق سفينة اليتام وقتل الغلام وأعاد بناء الجدار كما في سورة
 الكهف * فلما كشف الخضر عن السر الذي اطاع عليه سقط
 تعجبه وكان تعجبه بناء على ما اخفى عنه من تلك الاسرار
 وكذلك افعال الله تعالى مثاله ما حكي عن رجل من الراضين
 انه كان يقول في كل ما يصيبه (الخيرة فيما قدره الله تعالى) وكان
 في بادية ومعه اهله وليس له الا حمار يحمل عليه خبائه وكلب
 يحرسهم وديك يوقظهم * فجاء ثعلب واخذ الديك فقال خيرة
 وجاء ذيب وقتل الحمار فحزن اهله فقال خيرة * ثم اصيب الكلب
 فمات فقال خيرة فتمعجبت اهله من ذلك حتى اصبحوا وقد
 سبي من حولهم واسترق اولادهم وكان قد عرف مكانهم
 بصوت الديك ومكان بعضهم بنبيح الكلب ومكان بعضهم بنهيق
 الحمار * فقال قد رأيتم ان الخيرة فيما قدره الله سبحانه فلو لم
 يهلكهم الله عز وجل لهلكتم وهاكنا * وروى ان نبيا كان يتعبد
 في جبل وكان بالقرب منه عين فاجتاز بها فارس وشرب ونسي
 عندها صرة فيها الف دينار وجاء آخر فاخذ الصرة ثم جاء

رجل فقير على ظهره حزمة حطب فشرب واستلقى ليستريح
 فرجع الفارس في طلب الصرة فلم يرها فاخذ الفقير فطالبه
 وعذبه فلم يجد عنده فقتله * فقال النبي الهى ﴿ ما هذا ﴾ اخذ
 الصرة ظالم آخر وسلطت هذا الظالم على هذا الفقير حتى
 قتله فاوحى الله تعالى اليه اشتغل بعبادتك فليس معرفة
 أسرار الملك من شأنك ان هذا الفقير كان قد قتل ابا الفارس
 فمكنته من القصاص وان ابا الفارس كان قد اخذ الف دينار
 من مال اخذ الصرة فرددته اليه من تركته * فمن ايقن
 بامثال هذه الاسرار لم يتعجب من افعال الله تعالى وتعجب
 من جهل نفسه ولم يقل لم وكيف فرضى بما دبره الله في
 ملكوته * وههنا وجوه اربع تتشعب عن محض المعرفة
 بكمال الجود والحكمة وبكيفية ترتيب الاسباب المتوجهة
 الى المسببات ومعرفة القضاء الاول الذي هو كليم البصر
 ومعرفة القدر الذي هو سبب ظهور تفاصيل القضاء * وانها
 رتب على اكمل الوجوه واحسنها * وليس في الامكان
 احسن منها واكمل ولو كان وادّخر لكان بخلا لا جوداً

وعجزا يناقض القدرة وينطوي تحت ذلك معرفة سرّ
 القدر وكما ان من أيقن ذلك لم ينطو ضميره الا على
 الرضا بكل ما يجري من الله * وشرح ذلك يطول ولا رخصة
 فيه أيضاً فلنتجاوز *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول كيف أجمع بين الرضا بقضاء الله تعالى وبين بغض
 أهل الكفر والمصيان وقد تعبدت به شرعا وذلك مراد الله
 تعالى فيهم ﴿ فاعلم ﴾ أن طائفة من الضعفاء ظنوا أن ترك
 الامر بالمعروف من جملة الرضا بالقضاء وسموه حسن الخلق
 وهو جهل محض بل عليك أن ترضى وأنت تكره جميعا
 والرضا والكراهية يتضادان اذا تواردا على شيء واحد من
 وجه واحد ولا يتناقض أن يقتل عدوك الذي هو عدو
 عدوك أيضا فترضاه من حيث أنه عدوك وتكرهه من
 حيث أنه عدو عدوك * فكذلك للمعصية وجهان وجه الى
 الله تعالى من حيث أنها بقضائه ومشيتها فهو من هذا الوجه
 مرضي به * ووجه الى العاصي من حيث أنه صفته وكسبه

وعلاوة كونه ممقوتا من الله تعالى فهو من هذا الوجه
مكروه * وقد تعبدك الله تعالى ببغض من يبغضه من المخالفين
لامره فعليك بما تعبدك به والامتناع له * ولو قال لك محبوبك
اني أريد أن أمتحن حبك بأن أضرب عدي وارهقه الى أن
يشتمني فمن أبغضه فهو محبي ومن أحبه فهو عدوي فيمكنك
أن تبغض عبده اذا شتمه مع أنك تعلم أنه الذي اضطره الى
الشم وكان ذلك مراداً منه * فيقول أما فعله في الشم فاني أَرْضَى
به من حيث أنه تدبيرك في عبدك ومرادك مما أردت
إبعاده * وأما شتمه من حيث هو صفة وعلاوة عداوته فاني
أبغضه لاني أحبك فابغض لا محالة من عليه علامة عداوتك
وهذه دقيقة زل فيها الضعفاء فلذلك يتهافتون فيها *

﴿ فصل ﴾

كذلك ينبغي أن لا تظن أن معنى الرضا بالقضاء ترك الدعاء،
بل ترك السهم الذي أرسل اليك حتى يصيبك مع قدرتك على
دفعه بالترس بل تعبدك الله عز وجل بالدعاء ليستخرج به
من قلبك صفاء الذكر وخشوع القلب ورقته لتستعمله لقبول

الاطاف والانوار فمن جملة الرضا بقضائه أن يتوصل الى محبوباته بمباشرة ما جعله سبباً له بل ترك الاسباب مخالفة لمحبوبه ومناقضة لرضاه فليس من الرضاء للعطشان أن لا يمد اليد الى الماء البارد زاعماً أنه رضى بالعطش الذي هو من قضاء الله تعالى بل من قضاء الله تعالى ومحبه أن يزال العطش بالماء فليس في الرضا بالقضاء ما يوجب الخروج عن حدود الشرع ورعاية سنة الله تعالى أصلاً بل معناه ترك الاعتراض على الله عز وجل اظهاراً واثماراً مع بذل الجهد في التوصل الى محاب الله تعالى من عباده * وذلك بحفظ الاوامر وترك النواهي *

﴿ الاصل العاشر ذكر الموت ﴾

وحقيقته وأصناف العقوبات الروحانية ﴿ اعلم ﴾ أن المقامات التسع التي ذكرناها ليست هي على رتبة واحدة بل بعضها مقصودة لذاتها كالحبة والرضا فانهما أعلى المقامات * وبعضها مطلوبة لغيرها كالتوبة والزهد والخوف والصبر اذ التوبة رجوع عن طريق البعد للاقبال على طريق القرب * والزهد ترك الشواغل عن القرب والخوف سوط يسوق الى ترك الشواغل * والصبر جهاد مع

الشهوات القاطمة لطريق القرب * وكل ذلك غير مطلوب لذاته بل المطلوب القرب ^(١) وذلك بالمعرفة والمحبة فانها مطلوبة لذاتها لا لغيرها ولا يمكن لا يتم ذلك الا بقطع حب غير الله تعالى عن القلب فاحتيج الى الخوف والصبر والزهد لذلك * ومن الامور العظيمة النفع فيه ذكر الموت فلذلك اوردناه ولذلك عظم الشرع ثواب ذكره اذ به يتنقص حب الدنيا وتنقطع علاقة القلب عنها قال الله تعالى ﴿ قل ان الموت الذي تفرون منه فانه ملائكم ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم أكثروا من ذكر هادم اللذات * وقال عليه السلام من كره لقاء الله كره الله لقاءه ^(٢) وقالت عائشة رضي الله عنها يا رسول الله هل بمحشر مع الشهداء أحد قال نعم من يذكر الموت في اليوم واللييلة عشرين مرة * ومرت رسول الله صلى الله عليه وسلم بمجلس وقد

(١) نعم ما قال قدوة العرفاء الشيخ سعدي الشيرازي في كتابه (بندنامه)

خوش اندل که شید است بر روی دوست

خوش اندل که شد منزلش کوی دوست

(٢) ونعم ما قال صاحب المثنوي حضرة مولانا جلال الدين الباخي

أي لقاءى تو جواب هر سؤال * مشکل از تو حل شود بی قیل وقال

استعلاه الضحك* فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم شوبوا
 مجلسكم بذكر مكدر اللذات* قيل وما هو قال عليه السلام الموت
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم من الموت
 ما يعلم ابن آدم لما أكلتم منها لحما سميناً* وقال عليه السلام كفى
 بالموت واعظاً* وقال عليه السلام تركت فيكم واعظين صامتا
 وناطقاً فالصامت الموت والناطق القرآن* وذكر رجل عند
 النبي عليه السلام وأحسن الشاء عليه فقال عليه السلام كيف
 كان ذكر صاحبكم للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر
 الموت قال إن صاحبكم ليس هناك وقال رجل من الانصار
 يا رسول الله من أكرس الناس وأكرم الناس* فقال أكرههم
 للموت ذكرا وأشدهم لاستعدادا أولئك هم الاكياس ذهبوا
 براحة الدنيا وكرامة الآخرة^(١)*

﴿فصل﴾

﴿اعلم﴾ أن الموت عظيم هائل وما بعده أعظم منه وفي ذكره
 منفعة عظيمة فانه ينغص الدنيا ويبغضها الى القلب وبغضها

رأس كل حسنة كما ان حبهارأس كل خطيئة وللعارف في ذكره
فائدتان ﴿احدهما﴾ النفرة من الدنيا ﴿والاخرى﴾ الشوق
الى الآخرة فان المحب لا محالة مشتاق ومعنى الشوق في
المحسوسات استكمال الخيال بالترقي الى المشاهدة فان
المشتاق اليه مدرك لا محالة بالخيال وغايب عن الابصار وأحوال
الآخرة ونعيمها وجمال الحضرة الربوبية مدرك كل ذلك
للعارف يعرفه ^(١) كأنه نظر من وراء ستر رقيق في وقت
الاسفار وضعف النور فهو مشتاق الى استكمال ذلك بالتجلي
والمشاهدة ويعلم ان ذلك لا يكون الا بالموت * فلذلك لا يكره
الموت لانه لا يكره لقاء الله تعالى ولا سبب لاقبال الخلق
على الدنيا الا قلة التفكير في الموت وطريق الفكر فيه ان يفرغ
الانسان قلبه عن كل فكر سواه * ويمجلس في خلوة ^(٢) ويباشر

(١) وفي النسخة الكردية للعارف معرفة كانها الخ (٢) الخلوة
محادثة السر مع الحق * ونعم ما قال حضرة مولانا جلال الدين البانخي
في كتابه المسمى (بمنوي)

كرشي تور استانه خم شوي * وارهي أز اختران محرم شوي
چون شوي محرم كشاييم باتولب * تا بيبني آفتابي نيم شب

ذكر الموت بصميم قلبه ويتفكر أولاً في أخذانه وأشكاله ^(١)
 الذين مضوا فيتذكرهم واحداً واحداً ويتذكر حرصهم وأملهم
 وركونهم إلى الجاه والمال * ثم يتذكر مصارعهم عند الموت
 وتحسرهم على فوات العمر وتضييعه * ثم يتفكر في أجسادهم
 كيف تمزقت في التراب وصارت جيفة يأكلها الديدان * ثم
 يرجع إلى نفسه ويعلم أنه كواحد منهم أمله كاملهم ومصرعه
 كمصرعهم * ثم ينظر في أعضائه وينظر كيف تنفقت * وإلى
 حدقته كيف يأكلها الدود وإلى لسانه كيف يتهرّى ويصير
 جيفة في فيه * فإذا فعلت ذلك تنغص عليك الدنيا وكنت
 سعيداً إذا سعيد من وعظ بغيره * فلذلك قال رسول الله صلى
 الله عليه وسلم * أيها الناس كأن الموت فيها على غيرنا كتب
 وكأن الحق فيها على غيرنا وجب وكأن الذين نشيخ من
 الأموات سفر عن قريب اليانار اجعون نبوتهم أجداً ثم ونا كل
 تراهم كأننا مفلدون بعدهم قد نسينا كل واعظة وأما كل جائحة

﴿ فصل ﴾

أصل الغفلة عن الموت طول الامل وذلك عين الجهل ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما ﴿ اذا أصبحت
فلا تحدث نفسك بالمساء * واذا أمسيت فلا تحدث نفسك
بالصباح وخذ من حياتك لموتك * ومن صحتك لسقمك * فانك
يا عبد الله لا تدري ما اسمك غداً ﴾ وقال صلى الله عليه وسلم
﴿ ان أخوف ما أخاف على أمتي خصلتان اتباع الهوى وطول
الامل ﴾ واشترى أسامة وليدة الى شهرين بمائة فقال عليه
السلام ﴿ ألا تعجبون من أسامة المشتري الى شهرين ان أسامة
لطويل الامل والذي نفسي بيده ما طرفت عيناى الا ظننت
ان شفري لا يلتقيان حتى يقبض الله عز وجل روحي * ولا
رفعت طرفي وظننت انى واضعها حتى أقبض * ولا لقيت
لقمة الا ظننت انى لا أسيغها حتى أغص بها من الموت
ثم قال يا بنى آدم ان كنتم تعقلون فعدوا انفسكم من الموتى
والذي نفسي بيده انما توعدون لا توماؤنكم بمعجزين ﴾ وقال
صلى الله عليه وسلم ﴿ نجا أول هذه الامة باليقين والزهد ويهلك

آخر هذه الامة بالبخل والامل ﴿ وقال عليه السلام ﴾ اكلكم
يجب أن يدخل الجنة ﴿ قالوا نعم قال عليه السلام ﴾ قصرُوا
آمالكم واجعلوا آجالكم بين أبصاركم واستحيوا من الله
حق الحياء ﴿

﴿ فصل ﴾

﴿ اعلم ﴾ أن العارف الكامل المستهتر بذكر الله تعالى مستغن
عن ذكر الموت بل حاله الفناء في التوحيد لا التفات له الى
ماضي ولا الى مستقبل ولا الى حال من حيث أنه حال بل
هو ابن وقته يعنى انه كالمتردد بمذكوره لست أقول ^(١) متردد
بالذات فلا تعقل فتغلط وتسىء الظن * وكذلك يفارقه الخوف
والرجاء لانهما سوطان يسوقان العبد الى هذه الحالة التى
هو ملابسها بالذوق وكيف يذكر الموت وانما يراد ذكر
الموت لينقطع علاقة قلبه عما يفارقه بالموت * والعارف قد مات
مرة في حق الدنيا وفي حق كل ما يفارقه بالموت فانه قد ترفع
وتنزه عن الالتفات الى الآخرة ايضا فضلا عن الدنيا * وقد

(١) وفي النسخة الكردية كالمتردد لمذكور لست

تغص عليه ماسوى الله تعالى ولم يبق له من الموت الا كشف
الغطاء ايزداد به وضوحا لا ايزداد يقينا وهو معنى قول على
رضى الله عنه ﴿لو كشف الغطاء ما ازددت يقينا﴾ فان الناظر الى
غيره من وراء ستر لا يزداد برفع الستر يقينا بل وضوحا
فقط * فاذا ذكر الموت يحتاج اليه من لقلبه التفات الى الدنيا
ليعلم انه سيفارقها فلا يعتكف بهمة عليها ولذلك قال عليه السلام
ان روح القدس نفث في روعي اُحِب ما احببت فانك مفارقة
وعش ماشئت فانك ميت * واعمل ماشئت فانك مجزي به *

﴿ فصل ﴾

لعلك تشتهي ان تعرف حقيقة الموت وماهيته ولن تعرف
ذلك ما لم تعرف حقيقة الحياة ولن تعرف حقيقة الحياة ما لم
تعرف حقيقة الروح وهي نفسك وحقيقتك وهي اخفى
الاشياء عنك ولا تطمع في ان تعرف ربك قبل ان تعرف
نفسك واعنى بنفسك روحك التي هي خاصية الامر المضافة الى
الله تعالى في قوله ﴿قل الروح من امر ربي﴾ وفي قوله ﴿ونفخت
فيه من روحي﴾ دون الروح الجسماني اللطيف الذي هو حامل

قوة الحسن والحركة التي تنبعث من القلب وتنتشر في جملة
 البدن في تجاوير العروق الضواريب فيفيض منها نور حس
 البصر على العين ونور السمع على الاذن - وكذا ساير القوى
 والحواس كما يفيض من السراج نور على حيطان البيت اذا
 ادير في جوانبه فان هذه الروح تشارك البهائم فيها وتنمحق
 بالموت لانه بخار اعتدل نضجه عند اعتدال مزاج الاخلاط
 فاذا انحل المزاج بطل كما يبطل النور الفايض من السراج
 عند انطفاء السراج بانقطاع الدهن عنه او بالنفخ فيه وبانقطاع
 الغذاء عن الحيوان تفسد هذه الروح لان الغذاء له كالدهن للسراج
 والقتل له كالنفخ في السراج وهذه هي الروح التي يتصرف
 في تعديلها وتقويتها علم الطب * ولا تحمل هذه الروح المعرفة
 والامانة بل الجمال للامانة الروح الخاصة للانسان * ونعني بالامانة
 تقلد عهدة التكليف بان يتعرض لخطر الثواب والعقاب بالطاعة
 والمعصية * وهذه الروح لا تموت ولا تفنى بل تبقى بعد الموت
 اما في نعيم وسعادة او جحيم وشقاوة فانه محل المعرفة والتراب
 لا ياكل محل الايمان والمعرفة اصلا كما نطقت به الاخبار

وشهدت له شواهد الاستبصار ولم يأذن الشرع في ذكر تحقيق
صفته اذ لا يحتمله الا الراسخون في العلم وكيف يذكر * وله
من عجائب الاوصاف ما لم يحتمله اكثر عقول الخلق في حق
الله تعالى فلا تطمع في ذكر حقيقته * وانتظر تلويحا يسيراً
في ذكر صفته بعد الموت *

﴿ فصل ﴾

هذه الروح لا تفنى البتة ولا تموت بل تتبدل بالموت حالها
فقط ويتبدل منزلها فتترقى من منزل الى منزل والقبر في
حقها اما روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النيران
اذ لم يكن لها مع البدن علاقة سوى استعمالها البدن واقتناصها
اوائل المعرفة به بواسطة شبكة الحواس * فالبدن آلتها ومركبها
وشبكاتها * وبطلان الآلة والمركب والشبكة لا توجب بطلان
الصايد * نعم ان بطلت الشبكة بعد الفراغ من الصيد فبطلان
غنيمة اذ يتخلص من ثقله وحمله * ولذلك قال عليه السلام ﴿ الموت
تحفة المؤمن ﴾ وان بطلت الشبكة قبل الصيد عظمت فيه
الحسرة والندامة والالام * فلذلك يقول المقصر * رب ارجعوني

لعلي اعمل صالحا فيما تركت * بل ان كان ألف الشبكة واحبها
وتعلق قلبه بها وحسن صورتها وصنعها وما يتعلق بها كان له
من العذاب ضعفان ﴿ احدهما ﴾ حسرة فوات الصيد الذي
لا يقتنص الا بشبكة البدن ﴿ والثاني ﴾ زوال الشبكة مع تعلق
القلب بها وألفه لها * وهذا مبدأ من مبادي معرفة عذاب
القبر ان استقصيته تحقته قطعا *

﴿ فصل ﴾

لعلك تشتهي الاستقصاء المفضي الى التحقيق ﴿ فاعلم ﴾ ان هذا
الكتاب لا يحتمله فاقنع منه بانموذج يسير * وافهم ان معنى
الموت زمانة البدن وانت تعرف ان زمانة اليد^(١) خروجها عن
طاعتك مع وجود شخصها ببطلان القوة التي بواسطتها
تستعمل اليد * فافهم ان الموت زمانة مطلقة في جميع الاعضاء
ببطلان قواها فيسلب الموت منك يدك ورجلك وعينك وسائر
حواسك وانت باق اعنى حقيقتك التي أنت بها انت^(٢) فانك
الآن انسان الذي كنت في الصبي ولعله لم يبق فيك من

(١) وفي نسخة زمانة البدن (٢) وفي النسخة الـ كربية حقيقتك التي بها أنت

تلك الاجسام شيء بل انحل كلها وحصل بالغاء بدلها وانت
 انت وجسدك غير ذلك الجسد * فان كان لك معشوق تفتقر
 فيه الى حواسك عظم عذابك بفراق معشوقك * وجميع ملاذ
 الدنيا معشوق ولا تبال الا بالحواس * ولا فرق في عذاب
 العاشق بين ان يحجب عنه معشوقه وبين ان يفقأ عينه او
 يسلب هو عنه بان يحمل الى موضع حتى لا يراه فان ألمه من
 عدم الرؤية ومن احب اهله وماله وعقاره وفرسه وجاريته
 وثيابه يألم بفراقها سواء سلبت هذه الاشياء عنه أو سلب هو
 عنها بان حمل الى موضع آخر وحيل بينه وبينها * فالموت
 يسلبك هذه الاشياء ويحول بينك وبينها فيكون عذابك
 بقدر عشقك لها * والموت يخلى بينك وبين الله تعالى ويقطع
 عنك هذه الحواس الشاغلة المشوشة فتكون لذتك في القдом
 على الله تعالى بقدر حبك له وانسك بذكره * ولاجل هذا
 نهيك * وقال الله تعالى ﴿ انا بذكرك الا لازم بذكرك ﴾ واجمع العبارات
 عن نعيم الجنة ان لهم فيها ما يشتهون * واجمع العبارات لعذاب
 الآخرة قوله وحيل بينهم وبين ما يشتهون * ولا ملأ الا الشهوة

ولكن عند مصادمة المشتى ولا مولى الا الشهوة ولكن
 عند مفارقة المشتى * ولا ينبغي ان تغتر الآن وتقول ان كان
 هذا سبب عذاب القبر فانافى امان منه اذ لا علاقة بين قلبي
 وبين متاع الدنيا فان هذا لا تدركه بالحقيقة مالم تطرح الدنيا
 وتخرج عنها بالكلية * فكم من رجل باع جارية على ظن انه
 لا علاقة بينه وبينها * فلما اخذها المشتري اشتعل في قلبه من
 نيران الفراق واحترق بها احترقا ربما ألقى نفسه في الماء
 والنار ليقتل نفسه ويتخلص منها * فكذلك يكون حالك في
 القبر في كل ما يتعلق به قلبك من الدنيا * ولذلك قال لمصطفى
 عليه السلام ^(١) احب ما احببت فانك مفارقة ووراء هذا
 عذاب اعظم منه وهو حسرة الحرمان عن القرب من الله
 تعالى والنظر الى وجهه الكريم * وينكشف بالموت عظم قدر
 ما فات منه وان كان لا يعظم قدره عندك قبل الموت لان الموت
 سبب الانكشاف مالم تكن المكاشفة قبله كما ان النوم سبب
 انكشاف الغيب بمثل أو غير مثال * والنوم أخ للموت ولكنه

(١) قوله قال لمصطفى (أي جبريل) وفي نسخة قال مصطفى

دونه يكبر^(١) فهذان عذابان يتضاعفان على كل ميت كان
غير الله تعالى احب اليه من الله تعالى * وكان أنسه بغير
الله تعالى اكثر من أنسه بالله وهما ضروريان^(٢) ان عرفت
بالحقيقة الروح وبقائه بعد الموت وعلايقه وما يضاده بالطبع
وما يوافقه بالطبع *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول المشهور عند اهل العلم ان الانسان يعدم بالموت
ثم يعاد وان عذاب القبر يكون بنيران وعقارب وحيات وما
ذكرته بخلاف ذلك ﴿ فاعلم ﴾ ان من قال ان الموت معناه
العدم فهو محجوب عن حضيض التقليد ويقاع الاستبصار
جميعا * اما حرمانه عن ذروة الاستبصار فلا تدركه ما لم تستبصر
واما حرمانه عن التقليد فتعرفه بتلاوة الآيات والاخبار * قال
الله تعالى ﴿ ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل احياء
عند ربهم يرزقون فرحين ﴾ الآية هذا في السعداء * واما في
الاشقياء فقد ناداهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر

(١) وفي النسخة المصرية يكثر (٢) وفي نسخة ضروريان بعرفهما

لما قتلوا فكان يقول يافلان يافلان يذكر واحداً واحداً من
صناديدهم * فقد وجدت ما وعدني ربي حقاً فهل وجدتم ما وعد
ربكم حقاً فقيل يا رسول الله اتناديهم وهم اموات * فقال عليه
السلام والذي نفسي بيده ما انتم باسمع كلامي منهم لكنهم
لا يقدرُونَ على الجواب * وقال عليه السلام الموت هو القيامة
ومن مات فقد قامت قيامته * واراد بهذه القيمة الصغرى
والقيمة الكبرى يكون بعده * وشرح قيامة الصغرى ان
اردته فاطلبه من كتاب الصبر من كتب الاحياء * والاخبار
في الدلالة على بقاء ارواح الموتى وشعورهم مما يجري في هذا
العالم ايضاً كثيرة *

﴿ فصل ﴾

اما قولك ان المشهور من عذاب القبر التألم بالنيران والعقارب
والحيات فهذا صحيح وهو كذلك ولكني أراك عاجزاً عن
فهمه ودرك سره وحقيقته الا أني انبهك على النموذج منه
تشويقالك الى معرفة الحقائق والتشعر بالاستعداد لامر الآخرة
فانه نبأ عظيم انتم عنه معرضون * فقد قال عليه السلام المؤمن

في قبره في روضة خضر آء قدورج له قبره سبعمين ذراعاً ويضئ
 وجهه حتى يكون كالقمر ليلة البدر هل تدرون فيما ذا انزلت
 فان له معيشة ضنكا * قالوا الله ورسوله اعلم قال عذاب الكافر
 في قبره يسلط عليه تسعة وتسعون تئينا هل تدرون ما التنين
 تسع وتسعون حية اكل حية تسعة رؤس ينهشونه ويلحسونه
 وينفخون في جسمه الي يوم يبعثون^(١) فانظر الى هذا الحديث
 واعلم ان هذا حق على الوجه الذي شاهده ارباب البصائر
 ببصيرة اوضح من البصر الظاهر * والجاهل ينكره اذ يقول
 اني انظر في قبره فلا ارى ذلك أصلاً * فليعلم الجاهل ان هذا
 التنين ليس خارجاً عن ذات الميت أعني ذات روحه لا ذات
 جسده فان الروح هي التي تتألم وتنتقم بل كان معه قبل موته
 متمكناً من باطنه لئلا يمتنع لم يكن يحس بلدغه لخدر كان فيه لغلبة
 الشهوات فاحس بلدغه بعد الموت * وليتحقق ان هذا التنين
 مركب من صفاته وعدده رؤسه بقدر عدد أخلافه الذميمة
 وشهواته لمتاع الدنيا وأصل هذا التنين حب الدنيا * وتتشعب

(١) وفي النسخة المراقبة ينهشونه ويلحسونه وينفخون في جسمه

عنه رؤس بعدد ما يتشعب عن حب الدنيا من الحسد والحقد والرياء
 والكبر والثروة والمكر والخداع وحب الجاه والمال والمداوة
 والبغضاء * وأصل ذلك معلوم بالبصيرة * وكذلك كثرة
 رؤسه اللداعة أما انحصار عدددها في تسعة وتسعين انما يوتف عليه
 بنور النبوة فقط * فهذا التنين متمكن في صميم فؤاد الكافر
 لا بمجرّد جهله بالكفر بل لما يدعو اليه الكفر كما قال الله تعالى
 ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة * وقال الله تعالى
 اذهبتم طيبتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها الآية * وهذا
 التنين لو كان كما تظنه خارجا من ذات الميت لكان أهون
 اذ ربما يتصور ان ينحرف عنه التنين أو ينحرف هو عنه لا بل
 هو متمكن من صميم فؤاده تلدغه التنين لدغاً أعظم مما تفهمه
 من لدغ التنين وهو بعينه صفاته التي كانت معه في حياته كما
 ان التنين التي تلدغ قلب العاشق اذا باع جاريته هو بعينه
 العشق الذي كان مستكناً في قلبه استكناً في النار في الحرج وهو
 غافل عنه فقد انقلب ما كان سبب لذته سبب ألمه * وهذا
 سرّ قوله عليه السلام انما هي اعمالكم ترد عليكم وقوله تعالى

(يوم تجدد كل نفس ما عملت من خير محضراً وما عملت من سوء تود لو ان بينها وبينه امداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رؤوف بالعباد) بل سر قوله تعالى (كلا لو تعلمون علم اليقين لترون الجحيم) أى ان الجحيم فى باطنكم فاطلبوها بعلم اليقين لترونها قبل أن تدركوها بعين اليقين بل هو سر قوله تعالى (ويستعجلونك بالعذاب وان جهنم لمحيطة بالكافرين) ولم يقل انها مستحيط بل قال هى محيطه * وقوله تعالى (انا اعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها) ولم يقل يحيط بهم وهو معنى قول من قال ان الجنة والنار مخلوقتان * وقد أنطق الله لسانه بالحق ولعله لا يطلع على سر ما يقوله فان لم تفهم بعض معاني القرآن كذلك فليس لك نصيب من القرآن الا فى قشوره كما ليس للبهيمة نصيب من البر الا فى قشوره الذى هو التبن والقرآن غذاء الخلق كلهم على اختلاف أصنافهم ولكن اغتذاؤهم به على قدر درجاتهم * وفي كل غذاء مخ ونخالة وتبن وحرص الحمار على التبن أشد منه من الخبز المتخذ من اللب وأنت شديد الحرص على أن لا تفارق درجة البهيمة ولا تترقى

الى رتبة الانسانية بل الى الملكية فدونك والانسراح في
رياض القرآن ففيه متاع لكم ولا نعامكم *

﴿ فصل ﴾

فان قلت فهل يتمثل هذا التين تمثلا تشاهده مشاهدة تضاهي
ادراك البصر أم هو تألم محض في ذاته كتألم العاشق اذا
حيل بينه وبين معشوقه ﴿ فقول ﴾ لا بل يتمثل لك حتى تشاهده
ولكن تمثلا روحانيا لا على وجه يدركه من هو بعد في عالم
الشهادة اذا نظر في قبره فان ذلك من عالم الملكوت * نعم
العاشق أيضا قد ينام فيتمثل له حاله في المنام وربما يرى حية
تلدغ صميم قواده لانه بعد بالنوم من عالم الشهادة قليلا فيتمثل
له حقائق الاشياء تمثلا محاكيا للحقيقة منكشفا له من عالم
الملكوت والموت أبلغ في الكشف من النوم لانه أقمع
لنوازع الحس والخيال وأبلغ في تجريد الروح عن غشاوة هذا
العالم فلذلك يكون ذلك التمثل تاما متحقيقا دائما لا يزول فانه
نوم لا ينتبه منه الا يوم القيامة (لقد كنت في غفلة من هذا
فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد) ﴿ واعلم ﴾ ان المتيقظ

بجنب النائم ان كان لا يشاهد الحية التي تلدغ النائم فذلك غير مانع من وجود الحية في حقه وحصول الالم به * فكذلك حال الميت في القبر *

﴿ فصل ﴾

لعلك تقول قد أبدعت قولاً مخالفاً للمشهور منكراً عند الجمهور اذ زعمت أن أنواع عذاب الآخرة يدرك بنور البصيرة والمشاهدة ادراكاً مجاوزاً حد تقليد الشرائع فهل يمكنك ان كان كذلك حصر أصناف العذاب وتفصيله * ﴿ فاعلم ﴾ أن مخالفتي للجمهور لا أنكره وكيف تنكر مخالفة المسافر للجمهور فان الجمهور يستقرون في البلد الذي هو مسقط رؤسهم ومحل ولادتهم وهو المنزل الاول من منازل وجودهم * وانما يسافر منهم الآحاد ﴿ واعلم ﴾ أن البلد منزل البدن والقالب * وانما منازل الروح الانسانية عوالم الادراكات * والمحسوسات منزله الاول والمتخيلات منزله الثاني * والموهومات منزله الثالث * وما دام الانسان في المنزل الاول فهو دود وفراش * فان فراش النار ليس له الا الاحساس ولو كان له تخيل وحفظ للتخيل

بعد الاحساس لما تهافت على النار مرة بعد أخرى * وقد تأذى بها أولا فان الطير وسائر الحيوان اذا تأذى في موضع بالضرب يفر منه ولم يعارده لانه بلغ المنزل الثاني وهو حفظ المتخيلات بعد غيبوبتها عن الحس * وما دام الانسان في المنزل الثاني بعد فهو بهيمة ناقصة انما حده أن يحذر عن شيء تأذى به مرة وما لم يتأذى بشيء فلا يدري انه يحذر منه وما دام في المنزل الثالث وهو الموهومات فهو بهيمة كاملة كالفرس مثلاً فانه قد يحذر من الاسد اذا رآه أولاً وان لم يتأذى به قط فلا يكون حذره موقوفاً على ان يتأذى به مرة بل الشاة ترى الذيب أولاً فتحذره * وترى الجمل والبقرة وهما أعظم منه شكلاً وأهول منه صورة ولا تحذرهما اذ ليس من طبيعتهما ايذاء * وهؤلاء الى الآن تشاركهم البهائم ^(١) فبعد هذا يترقى الانسان الى عالم الانسانية فتدرك أشياء لا يدخل في حس ولا تخيل ولا وهم ويحذر به الامور المستقبلية ولا يقتصر حذره على العاجلة اقتصار حذر الشاة على ما يشاهده في الحال من الذيب ومن ههنا يصير الى

حقيقة الانسانية ^(١) الحقيقة هي الروح المنسوبة الى الله تعالى في قوله ﴿ ونفخت فيه من روحي ﴾ وفي هذا العالم يفتح له باب الممالكوت فيشاهد الارواح المجردة عن كسوة التلبيس وغشاوة الاشكال وهذا العالم لا نهاية له * أما عوالم المحسوسات والمتخيلات والموهومات فمتناهية لانها مجاورة الاجسام وملتصقة بها * والاجسام لا يتصور أن يكون غير متناهية والسير في هذا العالم مثاله المشي الى الخيال على الماء ثم يترقى منه الى المشي في الهواء ولذلك لما قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان عيسى صلوات الله عليه وسلامه مشى على الماء فقال عليه السلام ﴿ نعم ولو ازداد يقيناً لمشى في الهواء ﴾ وأما التردد على المحسوسات فهو كالمشي على الارض وبينها وبين الماء عالم يجري مجرى السفينة وفيها يتولد درجات الشياطين حتى يجاوز الانسان عوالم البهائم فينتهي الى عالم الشياطين * ومنه يسافر الى عالم الملائكة وقد ينزل فيه ويستقر - وشرح ذلك يطول وهذه العوالم كلها منازل الهدى ولكن الهدى المنسوب الى

الله تعالى يوجد في هذا العالم الرابع وهو عالم الارواح وهو قوله تعالى ﴿ قل ان الهدى هدى الله ﴾ ومقام كل انسان ومحلّه ومنزله في العلو والسفل ^(١) بقدر ادراكه وهو معنى قول علي رضي الله عنه ﴿ الناس أبناء ما يحسنون ﴾ فالانسان بين أن يكون دوداً أو حماراً أو فرساً أو شيطاناً ثم يجاوز ذلك فيصير ملكاً * وللملائكة درجات * فمنهم الارضية * ومنهم السماوية ومنهم المقربون المترفعون عن الالتفات الى السماء والارض القاصرون نظرهم على جمال الحضرة الربوبية وملاحظة الوجه خاصة وهم أبداً في دار البقاء اذ ملحوظهم على الوجه الباقي وما عدا ذلك فالى الفناء مصيره اعني السماء والارض وما يتعلق بهما من المحسوسات والمتخيلات والموهومات وهو معنى قوله ﴿ كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ﴾ وهذه العوالم منازل سفر الانسانية يترقى من حضيض درجة البهائم الى يفاع رتبة الملائكة * ثم يترقى من رتبتهم الى رتبة العشاق منهم وهم العاكفون على ملاحظة

جمال الوجه * يسبحون لوجهه ويقدمونه بالليل والنهار لا يفتر
 فانظر الآن الى خسة الانسان وشرفه والى بعد مراقبه
 في معارجه * والى انحطاط درجاته في تسفله وكل آدميين
 مردودون الى أسفل السافلين * ثم الذين آمنوا وعملوا الصالحات
 يترقون منها فلهم اجر غير ممنون وهو جمال الوجه - وبهذا يفهم
 معنى قوله تعالى ﴿ انا عرضنا الامانة على السموات والارض
 والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الانسان ﴾ الآية
 لان معنى الامانة التعرض للمهدة والخطرة ولا خطر على سكان
 الارض وهم البهائم اذ ليس لهم امكان الترقى من المنزل الثالث
 ولا خطر على الملائكة اذ ليس لهم خوف الانحطاط الى
 حضيض عالم البهائم * وانظر الى الانسان وعجائب عوالمه كيف
 يمرج الى السماء العلو رقياً ويهوي الى أرض الحقارة هويًا
 متقلداً هذا الخطر العظيم الذي لم يتقلده في الوجود غيره
 فيما مسكين كيف تهددني بالعاقبة وتخوفني مجاوزة الجمهور
 ومخالفة المشهور وبذلك فرحى وسروري * ان الذين
 يكرهون منى ذلك الذي يشتهي قلبى * فاطو طومار الهزيان

ولا تنفعني بعد هذا بالشنان (١)

﴿ فصل ﴾

وأما مطالبتك ايي بتفصيل عذاب الآخرة وذكر أصنافه فلا تطمع بالتفصيل فذلك داعية الى الملل والتطويل * وافنع بذكر الاصناف فقد ظهر لي بالمشاهدة ظهورا أوضح من البيان ان أصناف عذاب الآخرة ثلاثة أعنى الروحاني منها حُرقة المشتبهات وخزي خجالة المفضحات * وحسرة فوات المحبوبات * فهذه ثلاثة أنواع من النيران الروحانية يتعاقب على روح من آثر الحياة الدنيا الى أن ينتهي الى مقاسات النار الجسمانية فان ذلك يكون في آخر الامر * فخذ الآن شرح هذه الاوصاف ﴿ الصنف الاول ﴾ حُرقة فرقة المشتبهات فصورته المستمارة من عالم الحس والتخيل التبيين الذي وصفه الشرع * وعدد رؤسه وهي بعدد الشهوات * ورذائل

(١) في القاموس وما يقع له بالشنان بفتح القافين يضرب لمن لا يتضح لحوادث الدهر ولا يروعه مالا حقيقة له والقعاقع تتابع أصوات الرعد والشنان كسحاب لغة في الشنان وكغراب الماء البارد وككتاب وادبالشام انتهى

الصفات تلدغ صميم الفؤاد لدغاً مولماً وإن كان البدن بم عزل عنه * فقدر في عالمك هذا ما كما مستولياً على جميع الارض متمكناً من جميع الملاذ متمتعاً بها مستهتراً بالوجوه الحسنات منها الكا عليها مشعوفاً بالامارة واستعباد الخلق بالطاعة مطاعاً فيهم غافضه عدوه ^(١) واستترقه واستعمله على ملأ من رعيته في تعهد الكلاب وصار يتمتع بنعمه ويتمتع باهله وجواريه بين يديه ويتصرف في خزائنه وذخائره أمواله فيفرقها على أعدائه وممانيه * وانظر الآن هل ترى على قلبه تليناً ذا رؤس كثيرة تلدغ صميم فؤاده وبدنه بم عزل عنه وهو يريد ان يبتي بدنه بامراض وآلام ليتخلص منه فتوهم هذا فر بما تشم به قليلاً من رائحة الخطمة التي فيها نار الله الموقدة التي لا تطام الا على الافئدة اعدت لمن جمع مالا وعدده يحسب ان ماله اخذه ﴿ واعلم ﴾ ان عذاب كل ميت بقدر رؤس هذا التين * وعدد الرؤس بقدر المشتبهات فلهذا من كان اقفر وتمتع بالدنيا اقل كان العذاب عليه اخف

(١) قوله غافضه أي فاجأه وأخذه على غرة

ومن لا علاقة له مع الدنيا أصلاً فلا عقاب عليه أصلاً الصنف
 الثاني ﴿ خزى خجلة المفضحات ﴾ فقدّر رجلاً خسيساً رذيلاً
 فقيراً عاجزاً قرّبه ملك من الملوك ورفعه وقوّاه وخلع عليه
 وسلم إليه نيابة ملكه ومكنه من دخول حريمه وجعله خزانته
 اعتماداً على أمانته فلما عظمت عليه النعمة طغى وبغى وصار
 يخون في خزائنه ويفجر باهل الملك وبناته وسريانه وهو في
 جميع ذلك يظهر الأمانة للملك ويعتقد أنه غير مطلع على
 خيائنه فبينما هو في غمرة فجوره وخيائنه إذ لاحظ روزنة
 فرأى فيها الملك مطالعاً عليه منها* وعلم أن الملك كان يطلع عليه
 كل يوم وليلة ولكنّه كان يغض عنه ويمهله حتى يزداد خبثاً
 وفجوراً ويزداد استحقاقاً للنكال ليصب عليه في الآخرة
 أنواع العذاب صلباً* فانظر الآن إلى قلبه كيف يحترق بنار
 الخزي والحجالة وبدنه بمعزل منه* وكيف يود أن يعذب بدنه
 بكل عذاب وينكتم خزيه فكذلك أنت تتعاطى في الدنيا أعمالاً
 هي مشتهياتك* ولتلك الأعمال أرواح وحقايق خبيثة قبيحة
 وانت جاهل بها معتقد حسنهما* فينكشف لك في الآخرة

حقايقها في صورها القبيحة فتختزي وتخبجل خجلة تؤثر عليها
 آلاماً بدنية * فان قلت كيف ينكشف الى ارواحها وحقايقها
 (فاعلم) ان ذلك لا تفهمه الا بمثال فمن جمله مثلاً ان يؤذن المؤذن
 في رمضان قبل الصبح فيرى في المنام ان بيده خاتماً يختم به افواه
 الرجال وفروج النساء * فيقول له ابن سيرين هذا رأيتك لا ذاك
 قبل الصبح * فتأمل الآن انه لما بعد بالنوم قليلاً عن عالم الحس
 الجسماني انكشف له روح عمله لكن لما كان بعد في عالم التخيل
 لان النائم لا يزول تخيله غشاء الخيال بمثال متخيل وهو الخاتم
 والختم ولكنه مثال ادل على روح العمل من نفس الاذان
 لان عالم المنام اقرب الى عالم الآخرة * فالتلبيس فيه اضعف
 قليلاً وليس يخلو عن تلبيس ولا جله يحتاج الى التعبير * ولو قال
 قائل لهذا المؤذن اما تستحيى ان تختم افواه الرجال وفروج
 النساء لقال معاذ الله ان افعل هذا فلان أقدم ويضرب
 عنقي احب الي من ان افعل ذلك فهو ينكره لانه يجمله مع
 انه فعله لان روحه قاصرة عن ادراك ارواح الاشياء * وكذلك
 لو اكلت لحماً طيباً على اعتقاد انه لحم طير * فقال قائل أما

تستحي ان تأكل لحم اخيك الميت فلان لقلت معاذ الله ان
افعل ذلك ولان اموت جوعاً أهون علي من ذلك فنظرت
فاذا هو لحم اخيك الميت قد طبخ وقدم اليك ولبس عليك
فانظر كيف تختزي وتفتضح به وبدنك في معزل من الله
فكذلك يرى المغتاب نفسه في الآخرة ولان روح الغيبة
تمزيق اعراض الاخوان والتفككه بها * وفي عالم الآخرة ينكشف
ارواح الاشياء وحقايقها — وكذلك لو كنت ترمي حجارة الى
حائط * فقال لك قائل اما تستحي ان تفعل ذلك والحجارة ترد
من الحائط وتقع في دارك وتصيب حدة اولادك فقد غيبت
احدا فيهم كلهم قلت معاذ الله ان افعل ذلك * فقال ادخل دارك
فدخلت فاذا هو كذلك * فانظر كيف تفتضح ويحترق قلبك
تحسرا على عملك الذي ظننته هيناً وهو عند الله عظيم * وهذا
روح حسدك ل اخيك فانك تحسده ولا تضره وتنعكس
عليك ويهلك دينك وينقل حسناتك الى ديوانه وهي قرّة
عينك لانها سبب سعادة الابد فهي اعز من حدة الولد * فاذا
انكشف لك هذه الروح * فانظر كيف تحترق بنيران الفضيحة

ويدنك بمزل عنه فالقرآن كثير اما يعبر عن الارواح ولذلك قال
 تعالى في الغيبة ﴿أحب احدكم أن يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه﴾
 وقال الله تعالى في الحسد ﴿يا أيها الناس إنما بغيتكم على انفسكم﴾
 فيكفيك من الامثلة مثال الاذان والغيبة والحسد * فقس عليه
 كل فعل نهالك الشرع عنه فذلك لقبح روح الفعل وحقيقته
 وحسن ظاهره اي ظاهره حسن للبصر الظاهر * وباطنه قبيح
 للبصيرة الناضرة من مشكاة نور الله تعالى * وعن هذا عبر
 الشرع حيث قال تعرض الدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شوهاء
 زرقاء صفتها كيت وكيت لا يراها احد الا ويقول اعوذ بالله
 منها * فيقال هذه دنياكم التي كنتم تنها لكون عليها فيصادفون
 في نفوسهم من الخزي والفضيحة ما يوثرون النار عليه * وان
 اردت ان تفهم كيفية هذه الخجلة ﴿فاسمع﴾ حكاية رجل
 من ابناء الملوك زوج باجل امرأة من بنات الملوك * فشرب
 تلك الليلة فسكر واخطأ باب الحجرة فخرج من الدار وضل
 فرأى ضوء سراج فقصدته على ظن انها حجرتها * فدخل
 الموضع فرأى جماعة نياما فصاح بهم فلم يجيبوه فظن انهم

نيام فطلب العروس فرأى واحدا نائما في ثياب جديد فظن انها
 العروس فضا جمعها واخذ يقلبها ويغشاها ويجعل لسانه في فيها
 ويمتص ريقها متلذذا بذلك في سكره غاية التلذذ ويتمسح
 بالوطبات التي تصيبه من جميع بدنها على ظن ان ذلك عطر
 ادخرته له * فلما اصبح افاق فاذا هو في ناووس المجوس *
 واذا النيام موتى * وهذه عجوز شوها، قريبة العهد بالموت
 عليها الخنوط وكفنها الجديد فصادف في فمه وانفه من
 رطوبات ريقها ومخاطها وعلى بدنه من قاذورات اسافلها *
 فاذا هو من قرنه الى قدمه ممتلىء في قاذوراتها * ثم تفكر في
 غشيانته اياها وابتلاعه ريقها فخرج على قلبه من الخزي ماتمى
 ان يخسف الله به الارض حتى ينسى ما جرى عليه ولا يزال
 يماود ذكره ولا ينساه اصلا بل تجد نفسه ماعمله من سوء
 محضرا يود لو ان بينها وبينه امدا بعيدا * وبدينه بمزل من هذه
 المخازى والآلام وهو في عذاب دائم في الغشيان والقيء وتذكر
 تلك المخازى ويحذر ان يطالع عليه أحد فيتضاعف حزنه فاذا
 هو باييه وجميع حشمة قد جاؤا في طلبه واطلموا على جميع

مخازيه فهذه حال من تمتع بالدنيا ينكشف له كذلك في الآخرة
روحاً وحقيقته وهي معنى قوله تعالى ﴿ وحصل ما في الصدور ﴾
أي يعرض عليها حاصلها أي روحها وحقيقته وهي معنى قوله تعالى
﴿ يوم تبلى السرائر ﴾ أي يكشف عن أسرار الأعمال وأرواحها
القييحة أو الحسنة وكما أن ألد الأطعمة رجميعه اقدر وانتن فالذ
تعمات الدنيا وحاصلها وسرها في الآخرة أفصح وأفضح ولذلك
شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا بالطعام وعاقبته بالرجيع
﴿ الصنف الثالث حسرة فوات المحبوبات ﴾ فقد رفسك مع
جماعة من اقرانك دخلتم في ظلمة فكان فيها حجارة لا يرى
ألوانها فقال اقرانك احمل من هذا ما تطيق فاعله يكون فيها
ما ينتفع بها اذا خرجنا من الظلمة فقات فاذا أصنع بها أتحمل
في الحال ثقلها واكبد بنفسى فيها وأنا لا أدري عاقبتها ما هذا
الا جهول عظيم فان العاقل لا يترك الراحة نقداً بما يتوقعه نسيئة
ولا يستيقنه فأخذ كل واحد من اقرانك ما أطاق أخذه
وأعرضت عن ذلك تستحمتهم وتسخر بهم لأنهم ينوءون
تحت أعبائه وثقله وأنت مرفه في الطريق تمسكوا وتضحك

منهم فلما جاوزوا الظلمة نظروا فاذا هي جواهر وياقوت يساوي
 كل واحد الف دينار فاقبلوا على بيعها وتوصلوا بها الى الجاه
 والنعمة وأصبحوا ملوك الارض فأخذوا فاستسخروا لكم لتعبد
 دوابهم لينفقوا عليكم في كل يوم قدرا يسيرا من فضلات
 الطعام فكيف ترى اشتغال نيران الحسرة في قلبك وبدنك
 بمعزل منه وكم تقول يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله
 ويا ليتنا نرد ونعمل غير الذي كنا نعمل * فتقول لهم أفيضوا علينا
 من الماء مما أفيض عليكم * فيقولون لك هذا حرام عليك ألم
 تكن تسخر منا وتضعك علينا فلا بد وان تسخر اليوم منك
 كما سخرت منا فلا يزال ينقطع نياط قلبك من التحسر ولا
 ينفعك التحسر ولكن تتسلى وتقول الموت يخلصني من هذا
 ﴿فاعلم﴾ أن حال تارك الطاعات في الآخرة كذلك ينكشف له
 ولكن لا مطمع في الموت المخلص بل هي حسرة أبدية دائمة
 والألم يتضاعف كل يوم وان كان البدن بمعزل عنه وعنه العبارة
 بقوله تعالى أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله
 حرمها على الكافرين وكذلك يفيض على أهل المعرفة

والطاعة من أنوار جمال الوجه ما تحصل به من اللذة مبلغ
لا يوازيه نعيم الدنيا بل يعطي آخر من يخرج من النار مثل الدنيا
عشر مرات كما ورد به الخبر لا بمعنى تضاعف المقدار بالمساحة
بل بتضاعف الأرواح كما أن الجواهر يكون عشرة أمثال
الفرس لا بالوزن والمقدار بل بروح المالة إذ قيمته عشرة أمثاله
﴿واعلم﴾ أن تحريم تلك اللذات وإفاضتها عليهم ليس من جنس
تحريم لرجل نعمة على عبده بغضب أو باختيار حتى يتصور تغييره
بل هو كتحريم الله تعالى على الأبيض أن يكون أسود في حالة
البياض وعلى الحار أن يكون باردا في حالة الحرارة وذلك
لا يتصور فيه التبديل بل مثال ذلك أن يقول للعالم الكامل
رجل شيخ هرم من الجهال الذي كان بليدا في أصل الفطرة
ولم يمارس قط علما ولم يتعلم لغة * أفض على قلبي من دقائق
علومك فيقول إن الله حرمه على الجاهلين معناه أن الاستعداد
لقبوله إنما يكتسب بذكاء فطري وممارسة طويلة للعلم بعد تعلم
اللغة والعربية وأمور آخر كثيرة وإذا بطل الاستعداد وفات
استحالة الإفاضة كما يستحيل إفاضة الحرارة على البرودة مع

بقاء البرودة فلا تظن ان الله تعالى يغضب عليك فيعاقبك
انتقاما ثم تخدع نفسك برجاء العفو فتقول لم يعذبني ولم يضربه
معصيتي بل يلزم العذاب من المعصية كما يلزم الموت من السم
﴿ واعلم ﴾ ان هذه الحسرة دأبة لان منشأها تضاد صفتين
لا يزول تضادهما أبدا * مثاله ان الذي يعلق بحبل في عنقه أو
رجله انما يتألم لتضاد الصفتين لا لصورة الحبل والتعلق اكن
صفته الطبيعية تطلب الهوي الى أسفل والمنع القهري بالحبل
يمنع الصفة الطبيعية فيتولد الألم فيه من تمانيهما فكذلك
روح الانساني من الروح الروحاني الآلهي باصل فطرته فله
بحكم الطبع حنين وشوق الى عالم العلو عالم الارواح والى
مرافقة الملائكة الاعلى ولكن أغلال الشهوات وسلاسلها يجذبها
الى أسفل السافلين وهي شهوات الدنيا وهي صفة عارضة قهرت
الصفة الطبيعية ومنعتها عن نيل مقتضاها والألم يتولد من بينهما
والنار أيضا انما تؤلم للمضادة فان الملائكة لا تتركيب بقاء الاتصال
والنار تضاد الاتصال بالتفريق بين الاجزاء ولو لم يكن قد
رأيت النار وسمعت بان شيئا لطيفا لنا يماس بدنك فيؤلمك

لا ستذكرته وقلت شي لا صلاحية فيه كيف يؤلم باللمس ﴿واعلم﴾ أن
 التضاد مؤلم سواء كان بسبب خارج أو داخل فإن سم العقرب
 في العضو يؤلم لفرط برودته المضادة لحرارة البدن فلا تظن أن
 الآلام كلها تدخل من خارج ﴿فإن قلت﴾ أن العقرب إنما
 لدغت من خارج ﴿فاعلم﴾ أن ألم السن وألم العين لا يقصر عنه
 وإنما سببه انصباب خلط داخل مضاد لمزاج العين والسن
 وليس ذلك باهون من لدغ العقرب والحية ﴿واعلم﴾ أن تضاد
 الصفات في القلب يؤلم القلب إيلاً لا ينقص عما يؤلم السن
 والعين ومثاله في أضعف الصفات أن البخيل المرأى إذا طلب
 منه عطية على ملاء من الناس عند من يريد أن يعرفوه
 بالسخاء يتألم قلبه لتضاد صفتين إذ البخل يتقاضاه أن لا يعطى
 وحب الجاه يتقاضاه أن يعطى وقلبه بين هاتين الصفتين
 كشخص ينشر بمشار بنصفين فهذا مثال حسرة الفوت
 وعظمها بقدر ما ينكشف من جلالة قدر الفات ولا تعلمه
 بالحقيقة في هذا العالم بل في عالم الكشف وهو نبأ عظيم
 أنتم عنه معرضون ﴿واعلم﴾ أن هذه الاصناف الثلاثة لها ترتيب

﴿ فالصاف الاول ﴾ الذي يلقاه الميت الممذب هو حرقه فرقة
المشتهيات وذلك تنين حب الدنيا - ولذلك أضيف ذلك الى القبر
وانما سبق هذا لان أغلب الاشياء على قلب الميت في الحال
فراق ما يفوته في الدنيا من جاه ومال ومنصب ونعمة - ثم بعد
ذلك ينكشف له أرواح الاعمال وحقائقها القبيحة وذلك عند
الانقمار التام في الموت وبعد العهد بغشاوة صفات الدنيا * وكل
ما كان اعقابه في الموت أشد فهو لا يكشف أقبل فيفيض عند
ذلك عليه الخزي والفضيحة * ولذلك أضيف هذا الى القيامة لانه
وسط بين منزل القبر وبين دار القرار * ولذلك قال الله تعالى
﴿ يوم لا يخزي الله النبي والذين آمنوا معه ﴾ أى يوم القيامة
﴿ وأما حسرة فوت المحبوبات ﴾ فيستولى عليه آخره عند القرار
في النار * ففيها يقول أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله
وذلك أن بعد العهد عن الدنيا بما يخفف عنه عذاب النزوع اليها *
وطول العهد بالكشف يوجب خروجه عن خزي الافتضاح
فان سورة عذاب الخزي تكون عند هجوم الافتضاح *
ثم يألف الفضيحة والخزي إلفا * ثم عند فتورها قليلا

تذبح حسرة الفوت اذ يظهر جلاله الفوايت ثم تبقى حسرة
الفوت آخره ويشبه ان يكون ذلك لا آخره * وهذا كله تعرفه
قطعا اذا عرفت نفسك وعرفت انك لا تموت لكن تعمى
عينك وتضم اذنك وتفاج * أعضاؤك فأما الحقيقة التي أنت بها
أنت فلا تفنى بالموت أصلا بل يتغير حالك فقط فيبقى معك جميع
معارفك وادراكاتك الباطنة وشهواتك وانما تمذك بفراق
ما أحببت * وافتضحك بظهور ما ينكشف في تلك الحال
وتحسرك على فوات ما تعرف عظم قدره بعد الموت لا قبله
وهذا كله مقدمات العذاب الحسي البدني - وذلك أيضا حق
وله ميعاد معلوم كما ورد به الآي والخبار * فاقنع الآن بهذا
القدر فان هذا الكلام يكاد يجاوز حد مثل هذا الكتاب
ولا بد وان يحرك سلسلة الحمقى الجاهلين ولكنهم أخس من
أن يلتفت اليهم * قال الله تعالى ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْ تَوَلَّى عَنْ
ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ذَلِكِ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ ﴾ فلنقتصر
على هذا ولنختم به ﴿ أَصُولُ الْأَرْبَعِينَ ﴾ لنختم به كتاب جواهر
القرآن ومن طلب مزيدا على هذا فليطلبه من كتاب ذكر

الموت من كتب الأحياء * فالغرض لا يظهر من هذا الكتاب
التلويحات مع التشويق الى الاستقصاء المذكور في ذلك
الكتاب ففيه تنكشف أسرار علوم الدين ولا يفتر عن طلبه
الا مشغوف بالدنيا لا يطلب من العلوم الا ما يتخذة شبكة للحطام
وآلة لكسب الحرام فلا يناسبه علوم ذلك الكتاب ولا
يناسبها اصلا البتة * ﴿ خاتمة في مناظرة النفس ﴾

﴿ اعلم ﴾ انا قد نبهناك وشوقناك فان اعرضت عن الاصفاء
أو اصغيت بظاهر قلبك كما تصنى الى الكلام الرسمي فقد
خبت وخسرت وما ظلمت الا نفسك ﴿ ومن أظلم ممن
ذكر بآيات ربه فأعرض عنها ونسى ما قدمت يداه انا
جما لنا على قلوبهم أكنة ان يفقهوه وفي آذانهم وقرا وان
تدعهم الى الهدى فلن يهتدوا اذا أبدا ﴾ وان اصغيت اصفاء
ذي فطرة وبصر حديد وتفكرت تفكر من له قلب عتيد *
وقد ألقى السمع وهو شهيد * فأخرج عن جميع ما يسدك عن
سلوك الصراط المستقيم * وما يصد عنها الاحب الدنيا والغفلة عن
الله تعالى واليوم الآخر * واجتهد أن تفرغ قلبك كل يوم ساعة

عقيب صلوة الصبح وذلك عند صفاء الذهن * فتفكر في شأنك
وتنظر في مبدئك ومعادك * وتحاسب نفسك * وتقول لها اني
مسافر وتاجر * وربحي سعادة الابد ولقاء الله تعالى * وخسراني
شقارة الابد والحجاب عن الله تعالى * ورأس مالي عمري وكل
نفس من الانفاس كنز من الكنوز وجوهرة من الجواهر
اذ تجارته به سعادة الابد * وأي كنز أعظم من هذا * واذا فني
العمر انقطعت التجارة وحصل اليأس * وهذا اليوم يوم جديد
قد أمهاني الله تعالى فيه ولو توفاني لكنت أشتهي ان يرجعني الى
الدنيا لا عمل صالحا * فاحسبي يا نفسي انك توفيت ورجعت الى
الدنيا يوما واحدا * واجتهدي في هذا اليوم الواحد * وانظري
لنفسك فان لم تمهلي للغد فقد استوفيت ربح هذا اليوم ولم
تخسري * وان أمهلت فاستأثفتي للغد مثل ذلك ولا تخدعي
نفسك بتمني العفو فان ذلك ظن قد يكذب ولا ينفع التحسر
ثم هب أنه قد عفى عنك أليس قد فاتك ثواب المحسنين
وناهيك به حسرة وندامة * فاذا قالت نفسك ماذا أعمل وكيف
اجتهد * فتقول أتركي ما يفارقك بالموت والزمن بدك الا لازم

وهو الله تعالى واطلبي الانس بذكركه * فاذا قالت فكيف اترك
 الدنيا فقد استحكمت علايقها في قلبي * فتنقول اقبلي على قطع
 علايقها من باطن القلب كما أعلمناك في الاصول العشرة من
 الممالك * ففتش عن أغلب علاقة من علايقها من حب مال
 أو جاه أو حسب أو عداوة أو شهوة بطن أو فرج أو غير
 ذلك من الممالك فليس الا أن يتفكر في عظم آفاتهما وإهلاهما
 اياك * فتنبهت لجهادتها ومخالفة مقتضاها فقد تخلصت
 منها وأيدك الله بتوفيقه ومعاونته * فقد رى انك مربية العمر
 مدة الحياة وقد أنبأك طبيب تظني صدقه أن ملاذ الاطعمة
 تضرك وان الادوية البشعة تنفعك ألست تتصبرين بقوله على
 مرارة الدواء طمعا في الشفاء * ألست تتصبرين على الكد والتعب
 في السفر الطويل طمعا في الاستراحة في المنزل وأنت مسافرة
 ومنزلك الآخرة * والمسافر لا يستريح ويحمل التعب والكد
 فان استراح انقطع في الطريق وهلك * ويقول يا نفس ما الذي
 تطالبين من الدنيا ان طلبت المال ووجدته وهيبات فتكون في
 اليهود جماعة أغنى منك * وان طلبت الجاه ونلت وهيبات

فيكون في أجلاف الانراك وحقى الا كرا من يستولى عليك
 ويكون جاهه أعظم من جاهك * فان كنت لا تدري آفة الدنيا
 وشدة عذابها في الآخرة وبلائها أفلا تترفعين عنها نخسة
 شركائها أما تعلمين انك لو أعرضت عن الدنيا وأقبلت على
 الآخرة كنت وحيد الدهر فريد العصر لا يوجد في الاقاليم
 نظيرك * وان طالبت الدنيا كان في اليهود والحقى من سبقك
 بها * فأف لدنيا سبقك بها حير * فتفكرى يا نفس وانظرى لنفسك
 فلا ينظر لك أحد غيرك * وكذلك لا تزال تناظر نفسك حتى
 تطاوعك على سلوك الصراط المستقيم الى الله تعالى * فهذه
 المناظرة أهم لك ان كنت عاقلا من مناظرة الحنفية والشفعية
 والمعتزلة وغيرهم فلم تعادهم وتجادلهم ولا يضررك خطوهم
 ولا خطأ غيرهم ولا هم يقبلون منك ولا أنت تقبل منهم
 الصواب وان صار أظهر من الشمس وتترك أعدى عدوك
 بين جنبيك لا تنازعه ولا تناظره بل تساعده على ما يطالبك
 به من شهواته الباطلة الباطنة * فتستنبط بالفكر الدقيق الحيل
 لقضاء الشهوة هل هذا الآعين الانعكاس والانتكاس على قبة

الرأس فهل رأيت قط رجلا يشاهد تحت ثوبه حيات وعقارب
أقبات عليه لئلا يهلكه فأخذ المروحة ليدفع الذباب عن وجهه غيره
فهل يستحق من يفعل ذلك الا الخزي ﴿فاعلم﴾ ان هذا حالك في
اشتغالك بمناظرة غيرك واعراضك عن مناظرة نفسك * وفي هذا
المعرض ينكشف لك روح عملك يوم تبلى السرائر كما نبهتك
على كيفية مكاشفات الآخرة بالسرار الاعمال وأرواحها * وما
لم تناظر نفسك مدة طويلة لا تخليك لمناجات ربك وذكره
والاقبال عليه * ثم طريقك مع النفس اذا خافتك ان تعاقبها بما
يؤجرها * وتعلم انها كالكلب لا يتأدب الا بالضرب وان أردت
ان تتعلم طريق مناظرتها ومراقبتها ومحاسبتها ومعاقبتها * فاطلبه
من كتاب المحاسبة والمراقبة * فان هذا الكتاب لا يحتمله والله
تعالى يوفقنا وإياك بفضلته وجوده وكرمه ﴿تم﴾

بعد الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله * يقول مصححه
وناشره المفتقر الى رحمة ربه المعيد المبدي * المحتاج الى عفوه تعالى محيي
الدين الكردي * لما كانت كتب الامام الغزالي على الاطلاق * كملاج
ناجع لدواء الاخلاق بالاتفاق * وكان من بينها ﴿كتاب الاربعين﴾

الذي جعله قسما مستقلا من كتابه جواهر القرآن هو الآية الكبرى في البيان والحجة البالغة عند ذوي العرفان ومنتهى ما تصل اليه في التفصيل قوة الانسان * وكذا في زمن احوج الى تقويم الاخلاق وتربية النفوس على الوفاق * وفقدنا المرشد الحقيقي الصافي الجوهر النقي وكان هذا الكتاب مع ما اشتمل عليه من نفائس الحكم وجوامع الكلم قد جرّ عليه الدهر ذيل النسيان وسدل عليه ليل الجهالة رداء الاختفاء عن العيان * أتاح لي القدر ان عثرت على نسخة من اصح النسخ فوجدت (مصر) مع انتشار الكتب فيها وكثرة المطابع بها خلوا من مثل هذا السفر الذي كان حقه ان يكتب بمداد التبر * فتاقت نفسي الى طبعه وتعبيق ارجاء المكاتب بنشره فوجدت مع بعض كبار مشايخ الاكراد نسخة قديمة من اصح النسخ منه مكتوبة في قرن السابع الاسلامي * فاصطحبتها لاقابل ما فيها على ما في نسختي * ثم وجدت نسخة دمشقية وأخرى مصرية فصار اربع نسخ جمعتها وقابلتها حتى استخلصت من بينها نسخة خرجت بريئة من الخطأ سائمة من التحريف والزلل * ثم بذلت جهد المستطاع في تصحيحها ولم ادع ذرة من الافكار في تنقيحها حتى بدت في عالم المطبوعات ذرة فريدة وحلمية الافكار خريدة وحيدة ﴿ اما موضوع الكتاب ﴾ فاسمه يغني عن بيانه * وعنوانه يكفي عن تبيانته فقد جمع مكارم الاخلاق وبث روح الحياة والوفاق * فهو في نصحه مرشد عارف وفي وعظه حكيم

واصف * قد سبر الاخلاق مريضها وسليمها وقوم المعوج منها فتراه
يحدث عن العيوب فيها كانه المشاهد * وبحكى عن فضائلها حديث
الرأي لها والشاهد لا سيما الفه بعد الاحياء وكيماء السعادة وغيرها
فهو زبدة الكل * وقد نبجز طبعه في يوم الاربعاء الموافق (٥) رجب
سنة ١٣٢٨ هجرية على صاحبها افضل الصلاة وازكى التحية

﴿ فهرست كتاب الاربعين في اصول الدين للامام الغزالي ﴾
﴿ القسم الاول في جمل العلوم واصولها وهي عشرة ﴾

صفحة

- | | |
|----|--|
| ٣ | ﴿ الأصل الأول في الذات ﴾ |
| ٤ | ﴿ الأصل الثاني في التقديس ﴾ |
| ٥ | ﴿ الأصل الثالث في القدرة ﴾ |
| ٦ | ﴿ الأصل الرابع في العلم ﴾ |
| ٠ | ﴿ الأصل الخامس في الإرادة ﴾ |
| ١٠ | الكلام في المعتقدات القدرية والجبرية والمعتزلة الخ |
| ١٤ | الكلام في تعريف القضاء والقدر وتوضيح البحث |
- فيها بمثال صندوق الساعات

- ١٩ ﴿ الاصل السادس في السمع والبصر ﴾
- ٢٠ ﴿ الاصل السابع في الكلام ﴾
- ٢١ ﴿ الاصل الثامن في الافعال ﴾
- ٢٢ ﴿ الاصل التاسع في اليوم الآخر ﴾
- ٢٤ ﴿ الاصل العاشر في النبوة ﴾
- ٢٥ خاتمة في التنبيه على الكتب التي تطلب فيها حقيقة
هذه العقيدة
- ٢٩ (القسم الثاني في الاعمال الظاهرة وهي ايضا عشرة اصول)
- ٠ الاصل الاول في الصلوة والكلام في التحفظ عليها
- ٣٦ الاصل الثاني في الزكاة والصدقة وبيان بعض اسرارها الخ
- ٤١ ﴿ الاصل الثالث في الصيام ﴾
- ٤٢ الكلام في ان طب القلوب قريب من طب الابدان
- ٤٣ الكلام في درجات اسرار الصوم
- ٤٤ ﴿ الاصل الرابع في الحج وآدابه واسراره ﴾
- ٤٧ ﴿ الاصل الخامس في قراءة القرآن ﴾

- ٤٩ الكلام في مقدار القراءة وبيان اسرارها والتدبر فيها
- ٥٤ الكلام في ان للقرآن ظاهرا وباطنا وحدا ومطاما
- ٥٨ الاصل السادس ذكر الله عز وجل في كل حال وله اقسام
- ٦٢ الكلام في الفناء في النفس والفناء في الله والذهاب اليه
- ٦٦ الكلام في ان القرآن هو المشتغل على صنوف المعارف الخ
- ٧١ ﴿ الاصل السابع في طلب الحلال ﴾
- ٧٢ فصل في ان طيب المطعم له خاصية في تصفية القلب الخ
- ٧٨ فصل اياك تشدد على نفسك فتقول اموال الدنيا كلها حرام
- ٨٣ (الاصل الثامن في القيام بحقوق المسلمين وحسن الصحبة معهم وكيفية المماشرة مع عموم الخلق وغير ذلك من الاخلاق والآداب الفاضلة)
- ٩٤ فصل من اصول الدين في امر الصحبة اتخاذ الاخوان في الله
- ٩٦ الاصل التاسع في الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
- ١٠٠ فصل في ان عمدة الحسبة شيثان الخ
- ١٠٦ الاصل العاشر في اتباع السنة

١١٦ (القسم الثالث في تزكية القلب عن الاخلاق المذمومة
وهي ايضا عشرة اصول)

١١٧ الاصل الاول شره الطعام

١١٨ فصل في تعظيم الجوع ومناسبته لطريق الآخرة الخ

١٢٣ الاصل الثاني شره الكلام

١٢٤ فصل ان للسان عشرين آفة الخ

١٢٥ فصل في تفصيل بعض هذه الآفات الخ

١٢٦ فصل في ان الكذب حرام في كل شيء الا لضرورة

١٢٩ الآفة الثانية الغيبة

١٣٢ فصل في ان علاج النفس وكفها عن الغيبة ان يتفكر

في الوعيد الوارد فيها

١٣٣ الآفة الثالثة المراء والمجادلة

١٣٤ الآفة الرابعة المزاح الخ

١٣٥ الآفة الخامسة المدح * وفي المدح ست آفات الخ

١٣٧ فصل حق على الممدوح ان يتأمل في خطر الخاتمة الخ

... (الاصل الثالث في الغضب)

١٣٩ فصل في بيان دواء الغضب وعلاجه

١٤١ (الاصل الرابع في الحسد)

١٤٢ فصل في ان الحسد من الامراض العظيمة للقلب ولا

يдаوى الا بمعجون العلم والعمل

١٤٣ فصل في عدم مطاوعة النفس الخ

١٤٤ (الاصل الخامس في البخل وحب المال)

١٤٥ فصل في ان اصل البخل حب المال

١٤٦ فصل ان المال ليس مذموما من كل وجه

١٤٩ فصل في معرفة مقدار الكفاية من المال

١٥٣ فصل في معرفة حد البخل

١٥٤ فصل في فهم علاج البخل الى آخره

١٥٥ (الاصل السادس الرعونة وحب الجاه)

١٥٦ فصل في ان حقيقة الجاه ملك القلوب

١٦١ فصل في طريق قمع حب المال من القلب

- ١٦٢ فصل في ان الباعث في طلب الجاه حب المدح
- ١٦٤ الأصل السابع حب الدنيا وانه رأس كل خطيئة
- ١٦٦ فصل في ان هذه الدنيا المذمومة هي عينها مزرعة الآخرة
- ١٦٧ فصل من عرف نفسه عرف ربه وعرف زينة الدنيا وعرف الآخرة
- ١٧٢ الأصل الثامن في الكبر
- ١٧٤ فصل في ان حقيقة الكبر ان يرى نفسه فوق غيره الخ
- ١٧٥ فصل في العلاج الجملي كقمع رذيلة الكبر
- ١٨٢ الأصل التاسع العجب
- ١٨٣ فصل في ان حقيقة العجب استعظام النفس الخ
- ٠٠٠ فصل في ان العجب جهل محض فعلاجه العلم المحض
- ١٨٥ فصل من العجائب ان يعجب العاقل بعلمه وعقله الخ
- ١٨٦ الأصل العاشر في الرياء
- ١٨٨ فصل في ان حقيقة الرياء طالب المنزلة في قلوب الناس الخ
- ١٩٢ فصل في ان الرياء على درجات الخ

١٩٥ فصل في ان بعض الرياء جلي وبعضه أخفى من ديب النمل

١٩٧ فصل لملك تقول ما اقدر على انفكاك الرياء الخفي الخ

١٩٩ فصل في معالجة الرياء الخ

٢٠٤ (خاتمة في مجامع الاخلاق ومواقع الغرور فيها)

٢٠٨ فصل طريق اصلاح هذه الاخلاق كلها المجاهدة والريضة

٢١٠ فصل انك تظن بنفسك حسن الخلق وأنت عاطل عنه

٢١١ فصل ينبغي ان تفقد هذه الاخلاق من قلبك وتبدأ بالاهم

٢١٣ فصل لملك تقول عواقب امور الدنيا قد انكشف لي

باليمان واطمان قلبي اليها وأما امر الآخرة فلم اشاهده الخ

٢١٧ القسم الرابع في الاخلاق المحمودة وهي ايضا عشرة اصول

... الاصل الاول التوبة فانها مبدء طريق السالكين

... فصل في أن حقيقة التوبة الرجوع عن طريق البعد الخ

٢١٨ فصل اذا عرفت حقيقة التوبة انكشف لك انها واجبة الخ

٢٢١ فصل التوبة اذا اجتمعت شرائطها فهي مقبولة لا محالة

٢٢٢ فصل علاج التوبة حل عقدة الاصرار

- ٢٢٥ فصل التوبة من الذنوب كلها مهمة الخ
- ٢٢٧ (الاصل الثاني في الخوف)
- ٢٢٩ فصل في ان علاج الخوف وتحصيله على رتبين الخ
- ٢٣١ فصل في ان الخوف سوط يسوق العبد الى السعادة
- ٢٣٣ (الاصل الثالث في الزهد)
- ٢٣٥ فصل في ان للزهد في الدنيا حقيقة واصل وثمره الخ
- ٢٤٠ فصل في ان الزهد على درجات
- ٢٤١ فصل ان كان الزهد هو الزهد في الزهد
- ... فصل في ان الزهد على ثلاث درجات
- ٢٤٤ (الاصل الرابع في الصبر)
- ٢٤٥ فصل في حقيقة الصبر الخ
- ٢٤٧ فصل في ان الصبر له ثلاث درجات
- ٢٤٨ فصل ان الحاجة الى الصبر عامة في جميع الاحوال
- ٢٥٢ (الاصل الخامس الشكر)
- ٢٥٣ فصل في ان الشكر من المقامات العالية الخ

٢٥٨ فصل انما يتمكن في كمال الشكر من شرح الله صدره الخ

(الاصل السادس الاخلاص والصدق) ٢٦١

٢٦٢ فصل حقيقة النية هي الارادة الباعثة للقدرة المنبعثة

عن المعرفة وفي هذا البحث خمسة فصول

٢٧٥ (الاصل السابع في التوكل)

٢٧٦ حقيقة التوكل عبارة عن حالة يصدر عن التوحيد الخ

٢٧٧ فصل في ان هذا التوحيد له لبان وقشران الخ

٢٧٨ فصل حقيقة التوكل انما يستدعي توحيد الفعل الخ

٢٨٠ فصل لا يكفي الايمان بتوحيد الفعل الخ

٢٨٥ الركن الثالث في الاعمال وقد يظن الجهال ان شرط

التوكل ترك الكسب الخ

٢٨٨ فصل ان ترك الادخار محمود لمن غلب يقينه وقوى قلبه

٢٨٩ (الاصل الثامن في المحبة)

٢٩٠ فصل ان اكثر المتكلمين انكروا محبة الله تعالى الخ

... فصل كل لذيذ محبوب فان قوى الميل سمي عشقا الخ

٢٩٦ فصل في ان العارف لا يجب الا لله تعالى الخ

٣٠٥ فصل في ان للمحبة علامات كثيرة الخ

٣٠٦ (الاصل التاسع الرضاء بالقضاء)

٣٠٧ فصل قد انكر الرضا جماعة وقالوا لا يتصور الرضاء بما

يخالف الهوى ويذكر في هذا البحث فصلا

٣١٤ (الاصل العاشر ذكر الموت)

٣١٦ فصل في ان الموت عظيم هائل وما بعده اعظم منه

٣١٩ فصل في ان اصل الغفلة عن الموت طول الأمل

٣٢٠ فصل العارف المستهتر بذكر الله مستغن عن ذكر الموت

٣٢١ فصل لعلك تشتهي أن تعرف حقيقة الموت الخ

٣٢٣ فصل هذه الروح لا تنفى البتة ولا تموت وفي هذا

البحث خمسة فصول وفيها بيان بعض المسائل المهمة

٣٣٨ فصل واما مطالبك ايها بتفصيل عذاب الآخرة

وذكر أصنافه فلا تطمع بالتفصيل واقنع بذكر الاصناف

٣٥٢ خاتمة في مناظرة النفس الخ (تمت)

﴿ اصلاح الخطأ والتحريف الذي وقع في هذا الكتاب ﴾

صحيفه	سطر	خطأ	صواب
٩	٧	ايدهم	ايديهم
١٩	١	للمشهورات	المشهورات
١٩	١١	وتفهم	وتفهم
٣٦	٣	والله يضاعفها	والله يضاعف
٧٢	١٢	حذارا	حذرا
٨٩	٣	مع	من
٩٧	٣	اولياء بعض	بعضهم اولياء بعض
٩٨	١	المفتات	المفتاب
١٥٦	٢	ينحكوا	ينكحوا
١٦٠	١١	واما	اما
١٨٢	٥	بجمله	بجملها
٢٠٦	٣	والباطن	والباطل
٢٦٣	١٢	الموصولين	الموصلين